



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية العلوم السياسية

## المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية- الجامعة المستنصرية

### في هذا العدد

- اثر المفكرات الدولية في القيم الاخلاقية والاجتماعية العربية
- التحولات العالمية وانكسالات الاصلاح السياسي في الوطن العربي
- اثر النفط في العلاقات العراقية الكويتية (١٩٦٨-٢٠٠٥)
- العلاقات الصينية- الاسرائيلية
- اثر التهذيب في الهندسة الاجتماعية
- المجتمع الاسرائيلي
- الطريق الثالث: خطوة في مدال التخريب السياسي ما بعد الحرب الباردة
- ا. د. ابراهيم سعيد البيضاني
- ا. د. م. ثامر كامل محمد
- ا. م. د. د. قيس جواد علي
- د. م. احمد عبد الامير الانباري
- م. م. رعد قاسم صالح
- م. م. سعد حميد ابراهيم
- م. م. خضير ابراهيم سلمان

### عرض الكتب

- امبراطورية العقل الامريكي

م. م. سهيلة عبد الانيس





وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية العلوم السياسية

## المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

٢٠٠٦ - ٢٠٠٧

العدد السادس

السنة الثانية

أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور

عميد الكلية المشرف العام

رئيس التحرير..... أ.م.د. عبد الأمير محسن جبار

مدير التحرير..... م.م. علاء جبار احمد

المدير الفني..... السيد ماجد قاسم نعمان

### هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور سعيد حميد دحود

الأستاذ المساعد الدكتور وائل محمد اسماعيل

الأستاذ المساعد الدكتور حبيب عبد القادر الشاوي

الأستاذ المساعد الدكتور ذوار محمد ربيع

الأستاذ المساعد الدكتورة ملوك حميد

الأستاذ المساعد الدكتور حميد نفل النحاي

ISSN = 1991-8984



# المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية معتمدة تصدرها كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

## الهيئة الاستشارية



الأستاذ الدكتور احمد يوسف احمد

عميد معهد الدراسات والبحوث العربية - الجامعة العربية - القاهرة

الأستاذ الدكتور احمد عبد الرحيم الخاليلة

رئيس مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية - عمان - الاردن

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

امين عام لاتحاد المؤرخين العرب

الأستاذ الدكتور محمد جواد علي

مركز الدراسات الدولية - جامعة بغداد

الأستاذ الدكتور جعفر عباس حميدي

استاذ التاريخ العراقي المعاصر - جامعة بغداد

الأستاذ المساعد الدكتور ثامر كامل محمد

مديرية الاشراف والتقويم العلمي - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - بغداد

الأستاذ المساعد الدكتور خيري عبد الرزاق جاسم

رئيس مركز الدراسات الدولية - جامعة بغداد



## قواعد النشر

ترحب المجلة السياسية والدولية والتي تصدرها كلية العلوم السياسية في الجامعة المستنصرية بإسهامات الكتاب والمفكرين من الكليات في الجامعات العراقية والعربية والمتخصصة بالقضايا السياسية والعلاقات العربية-العربية-الدولية، مع الاهتمام بشكل خاص بما يتعلق بالمشروع السياسي والحضاري والنهضوي العربي وتحيطكم علماً بشروط النشر فيها:

١. ان تعالج القضايا بأسلوب علمي موثق.
٢. ان يكون التوثيق بذكر المصادر والمراجع بأسلوب اكاديمي، يتضمن الكتب والمجلات.
٣. معيار النشر هو للموضوعية والندقة ودرجة التوثيق.
٤. ترسل البحوث بنسختين مع قرص مرن.
٥. ان لا يزيد حجم الدراسة او البحث عن اربع عشر صفحة A4.
٦. يشترط ان لا تكون البحوث او الدراسات قد نشرت في مجلات اخرى.
٧. تخضع البحوث او الدراسات المرسلة الى التحكيم العلمي من جانب الهيئة الاستشارية في المجلة.
٨. تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة المجازة وفق خطة التحرير.
٩. لا تدفع المجلة او الكلية أي مكافآت مالية عما تقبله من النشر فيها ويعد النشر اسهاماً معنوياً من الكاتب.

أن الآراء الواردة في البحوث والدراسات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة او الكلية

الاشتراك في المجلة تراجع كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

بغداد- باب المعظم - صندوق بريد ٤٦١٥٩

هاتف ٤١٤٠٨٥١ ، ٤١٤٠٨٥٢ ، ٧٩٠١٩٢٣١٥٢

البريد الالكتروني : Psc\_Mustainsiriyah@yahoo.com

E-mail: politicalcollege@yahoo.com





المحتويات

رقم الصفحة

اسم المادة

المتاحية العدد

- ١ اثر المعطرات الدولية في القيم الاخلاقية والاجتماعية العربية  
الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاوي
- ١٣ التحولات العالمية واشكاليات الاصلاح السياسي في الوطن العربي  
الاستاذ المساعد الدكتور لأمير كامل محمد
- ٤٧ قضية لواء الاسكندرون ١٩٣٦-١٩٣٩  
الاستاذ المساعد الدكتور عبد الامور محسن جبار الاسدي
- ٨٩ الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق  
الاستاذ المساعد الدكتور حميد نفل النشوي
- ١٠٩ اثر النفط في العلاقات العراقية الكويتية ١٩٦٨-٢٠٠٥  
الاستاذ المساعد الدكتور قيس جواد علي
- ١٢٩ العلاقات الصينية-الاسرائيلية  
المدرس المساعد احمد عبد الامير الانباري
- ١٤٣ اثر التهذيب في المنظمة الاجتماعية  
المدرس المساعد رعد قاسم صالح
- ١٦٩ المجتمع الاسرائيلي "دراسة في النشأة والتكوين"  
المدرس المساعد سعد حميد ابراهيم
- ١٩٥ اثر اللوبي اليهودي في المجتمع السياسي الامريكي  
المدرس المساعد علاء جبار احمد
- ٢٠٩ الطريق الثالث: خطوة في مجال التحريب السياسي ما بعد الحرب الباردة  
المدرس المساعد مختار ابراهيم سلمان
- ٢٢١ عرض كتاب: اميرطورية العقل الامريكي  
المدرس المساعد سهيلة عبد الانيس
- ٢٢٧ عرض رسالة: الدولة القطرية العربية بين العولمة والخيال القومي العربي  
المدرس المساعد مختار ابراهيم سلمان

كلية العلوم السياسية  
الجامعة المستنصرية



المجلة  
السياسية  
والدولية

6

2007-2006

ISSN  
1991-8984



## الافتتاحية

على الرغم من تأخر صدور هذا العدد، إلا أن التزامنا، ومن خلال الإصرار، في هذه الظروف الصعبة، على بذل المزيد من العطاء العلمي والاكاديمي، باصدار هذا العدد الذي يحمل في طياته العديد من البحوث والدراسات في مواضيع شتى تهم القارئ والمختص، يؤكد تعهدنا الذي قطعناه في اول خطوة بدأناها في ارساء هذا التقليد العلمي، باصدار المجلة السياسية والدولية، لتشكل لبنة واساس متين لكيان متكامل علمي رصين لكلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية، التي دأبت باصدار دوريتها ونشرتها الشهرية، ومن خلال تحليل موضوعي والتزام اخلاقي ومبدئي بقضايا الشعب والامة، مستمدة من غناهما الحضاري والانساني طريقاً لبناء المستقبل، لعراق يحفل بالامن والاستقرار.

والله الموفق.....

المشرف العام

الأستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور

عميد كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية



## اثر المتغيرات الدولية في القيم الاخلاقية والاجتماعية العربية "مكافحة الإرهاب أنموذجاً"

الاستاذ الدكتور

ابراهيم سعيد البيضاني<sup>(١)</sup>

تتأثر للقيم الأخلاقية لأي مجتمع بالأوضاع السياسية وبالتطورات الاقتصادية والظروف التي يعيشها ذلك البلد، فضلاً على تأثرها بالظروف والتطورات الدولية، وهذا الوصف ينطبق على المجتمع العربي بشكل كبير، فالوطن العربي يتمتع بخصائص جغرافية واقتصادية واستراتيجية جعلت منه يحتل أهمية في قلب الصراعات والتنافس الدولية، وشهدت ساحته صراعات وتحركات وتنافس دولية، ولحلت أرضه وأصبحت مسرحاً رئيسياً ومهما للأحداث.

لذلك فإن ما يجري في العالم من تطورات ومتغيرات ومن غياب لقوى سياسية وعسكرية كبرى وظهور لقوى جديدة يؤثر بشكل مباشر في أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإن الحرب العالمية الأولى كمفترق دولي مهم في العلاقات الدولية انتهت سيطرة الدولة العثمانية من جهة ولكنها أدخلت للوطن العربي في دوامة جديدة من الاحتلال والانتداب والنفوذ الأوربي، واستغلت موارده وعاش أوضاع اجتماعية واقتصادية متردية ومتدهورة نتيجة لذلك.

أضف الى ذلك ان الحرب العالمية الثانية أفرزت ظواهر ونتائج اجتماعية ألقت بضلالها على المجتمع من خلال تردي الأحوال الصحية وانتشار الأمراض، فضلاً على ان التضخم النقدي وارتفاع مستوى المعيشة أدى الى ضعف وتدهور في مستوى التعليم، وتدهور في الأوضاع الاجتماعية بين العمال والفلاحين، وخلق أزمات وظواهر سلبية سلوكية<sup>(٢)</sup>، بالإضافة الى ذلك فإن نتائج الحرب العالمية الثانية أفرزت معطيات جديدة في إطار العلاقات الدولية وظهور قطبين رئيسيين في السياسة الدولية.

وبالنظر لما يحتله الوطن العربي من أهمية في الموقع وفي الأهمية الاقتصادية فقد احتفظ بأهميته في إطار الصراع الدائر خلال الحرب الباردة، وألقت الحرب الباردة بظلالها وتأثيرها الواضحين على المجتمع العربي، فانقسم الوطن العربي بين مؤيد لهذا الطرف أو

<sup>(١)</sup>أكلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

<sup>٢</sup> جعفر عباس حمودي، الأثر الاجتماعي للحرب العالمية الثانية على العراق، مجلة الحكمة العدد ٢ لسنة ١٩٩٨، ص ٦٦-٨٤.

ذلك من طرفي الصراع والتنافس ، إذ كانت المصالح الاستراتيجية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مؤثرة وفاعلة في الإحداث التي تجري في الوطن العربي<sup>(١)</sup>.  
 رافق قيام النظام الدولي الجديد محاولة فرض منطلقات وقيم غربية هدفها الهيمنة على العالم ووظفت الأمم المتحدة لتحقيق هذا الهدف، مستغلة الأوضاع في الوطن العربي التي تعاني من هشاشة في مجال حقوق الإنسان والتي تعاني من انتهاكات كبيرة في هذا المجال ، وأيضاً لأن في مجتمعنا العربي أقليات دينية وقومية متعددة مما جعلها مهددة للتوتر، وفسح فرصة أكبر للتدخل من قبل القوى والدول الكبرى، لذلك مارس النظام الدولي الجديد تدخلًا وبمعايير مزدوجة انتقائية في شؤون الدول بهدف تحقيق مصالح سياسية واقتصادية<sup>(٢)</sup>.  
 ومنذ إحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ أصبح العالم يعيش وضعاً دولياً رسم أفق مرحلة جديدة شكلت منعطفاً مهماً في العلاقات الدولية تمت صياغتها تحت عنوان جديد هو مكافحة الإرهاب .وبهدف معالجة موضوع البحث نشير إلى تأثير المتغيرات الدولية في القيم الأخلاقية والاجتماعية في الوطن العربي وبالتحديد نموذج مكافحة الإرهاب كمتغير دولي من جانبين الأول كانعكاس الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب على الواقع السياسي والاجتماعي العربي والثاني أثر تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وهي التقنية التي وظفت بشكل فاعل في النظام العالمي الجديد والتي جعلت من العالم قرية صغيرة .

#### أولاً: انعكاسات الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب على المجتمع العربي

يعد الحادي عشر من أيلول منعطفاً مهماً في تاريخ الولايات المتحدة وفي العلاقات الدولية بل إنها وظفته وأعطته بعداً خارجياً لرسم سياستها الخارجية وفق أهداف ومخططات تؤكد زعامتها لقيادة العالم الجديد ، إن عدة الحرب التي أعلنتها الولايات المتحدة على الإرهاب أقرب إلى أن تكون عدة حرب عالمية ركيزتها الأساسية انتشاراً عسكرياً لا مثيل له. وإذا كانت الولايات المتحدة قد بدأت حربها في أفغانستان بهدف إسقاط حكومة طالبان ومطاردة تنظيم القاعدة، فإنها وسعت من خطتها بحجة حرمان الإرهابيين من أي ملاذ لمن في العالم، وهذا يتطلب انتشار واسع لقواتها العسكرية في العالم، فضلاً على أن مهمات تدريب لهذه القوات تحت هدف مكافحة الإرهاب ، وهكذا بعدما انتشرت القوات الأمريكية في أفغانستان وباكستان وآسيا الوسطى في إطار المرحلة الأولى من الحرب، انطلقت "مهمات للتدريب" من الفلبين إلى كولومبيا ومن جورجيا إلى اليمن، ومعها تدفق المال الأمريكي والأسلحة في كل اتجاه لتثبيت قواعد جديدة في العالم<sup>(٣)</sup>. وبذلك فإن الولايات المتحدة أعلنت الحرب في العالم ونشرت الات للدمار والقتل وأدخلت المجتمع الدولي في حالة من الخوف

<sup>٢</sup> موسى محمد آل طويرش ، تاريخ العلاقات الدولية من كندي حتى غورباتشوف ١٩٦١ - ١٩٩١ ،

بغداد ٢٠٠٥ ، ص ٧٢ .

<sup>٣</sup> بسل بمتاني وآخرون ، النظام الدولي الجديد .. آراء ومواقف ، ص ٧٤ .

<sup>٤</sup> خليل حسين، الاستراتيجية الإمبراطورية في وثيقة الأمن القومي الأمريكي.

والتفاق وعدم الاستقرار وفي حرب لا تعرف ما هي أهدافها وما هي حدودها. وكان نصيب الوطن العربي كبيراً في مجال الحشود والتحركات والعمليات العسكرية ، وأصبح المجتمع العربي يعاني ويتأثر بشكل مباشر وغير مباشر بالانتشار العسكري الأمريكي في ساحة الوطن العربي لو في مناطق الجوار.

وفي الوقت الذي يدرك فيه المنتفع للحملة العسكرية الأمريكية في العراق انها لم تحقق أهدافها المعلنة في الحد من الإرهاب ، فقد تكونت قناعات انها أدت الى تغذيتها، وما يؤكد ذلك ان الأعمال الإرهابية والتفجيرات التي جرت في العراق وفي مناطق أخرى من العالم تؤكد ان الحرب الأمريكية ضد كل من أفغانستان والعراق وتعاملها مع القضية الفلسطينية كلها سهلت من عمل هؤلاء الذين يقومون بتجنيد عناصر تنظيم القاعدة وزيادة الأعمال الإرهابية<sup>(٥)</sup>. فقد نجحت الولايات المتحدة في إسقاط أنظمة لكنها لم تنجح في مكافحة الإرهاب، وجعلت المجتمعات فريسة للفساد وعدم الاستقرار. وتازم الاوضاع في الوطن العربي لا يقتصر على العراق وحده، بل انعكست على القضية الفلسطينية وعلى سوريا ولبنان وتطورات الاوضاع في مصر واليمن.

فالحرب على العراق لم تؤدي الى إزالة الخطر والتهديد الذي تتعرض له الولايات المتحدة ، فضلاً على ان الأخيرة عجزت عن مواجهة تنظيمات القاعدة في العراق، وان الحرب على العراق واحتلاله جعلت الولايات المتحدة أكثر تعرضاً وفتحت لها جبهة جديدة لتجنيد الإرهابيين<sup>(٦)</sup>. ان الأوضاع المأسوية التي عاشها العراق في ظل الاحتلال من جهة وفي مواجهة الإرهاب من جهة أخرى، جعلته يعيش أوضاع اجتماعية في غاية التعقيد، انعكست على قيمه وأخلاقه وبرزت معطيات جديدة قد تؤدي في حالة استمرارها لمدة طويلة الى انعكاسات خطيرة.

ومن النتائج السلبية التي رافقت الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب ومسار العلاقات الدولية الجديدة هو ازدهار تجارة الأفيون ، إذ ان لهذه التجارة انعكاساً كبيراً وخطيراً على حياة المجتمعات ومنها المجتمع العربي ، وقد ذكرت وزارة الخارجية الأمريكية في تقريرها لسنة ٢٠٠٢ ان مكافحة تهريب المخدرات تشكل عنصراً في المعركة ضد الإرهاب، وعبرت وزارة الخارجية الأمريكية عن قلقها خصوصاً من استئناف إنتاج الأفيون في أفغانستان ومن الوضع في كولومبيا ، وأكد التقرير ان هذه التجارة تهدد السلام والاستقرار العالمي. وقدر الإنتاج غير المشروع من الأفيون الأفغاني بـ ١٢٧٨ طناً في ٢٠٠٢ مقابل ٧٤ طناً فقط في ٢٠٠١ السنة التي عجزت فيه الولايات المتحدة أفغانستان<sup>(٧)</sup>. وقد عجز للتواجد العسكري في

<sup>٥</sup> الان غريش ، موجة الفوضى الضارية .

<sup>٦</sup> جون غورشمين ، امريكا امنة في عالم امن ، تقرير نشر في مجلة المستقبل العربي العدد ١٣٠ لسنة ٢٠٠٤ ، ص ١٥٤.

<sup>٧</sup> تقرير وزارة الخارجية الأمريكية ، شبكة الإنباء المعلوماتية .

أفغانستان عن مكافحة المخدرات، بل أنه أسهم في تنجوعها وزيادة إنتاجها وان المجتمع العربي بالتأكيد يتأثر سلباً بهذه التجارة كاسواق أو طريق لمروها .

والتغير الدولي الذي تمت صياغته تحت أهداف مكافحة الإرهاب انعكس على المجتمع الاسلامي عامة والمجتمع العربي خاصة ، في الوقت الذي يدرك فيه الجميع ان الإسلام تتناهى قيمه وتعاليمه السمحة مع الجرائم التي ترتكب بحق المواطن وبحق المجتمع الدولي ، فإن الولايات المتحدة حاولت ان تعبئ الرأي العام الأمريكي والأوروبي نحو المسلمين في أوروبا وفي الولايات المتحدة ، فضلاً على توجيه الأنظار الى العرب والمسلمين عامة بوصفهم حاضنة للإرهاب.

وقد عينت الولايات المتحدة الرأي العام نميةً خاطئة ضد أبناء الجاليات العربية والإسلامية، زيادة على ذلك استغلت أجهزة الإعلام الصهيونية بشكل خاص استغلال الحادث من خلال إثارة مشاعر العداوة ضد كل من ينتمي إلى المجتمعات والجاليات العربية والإسلامية، وزرع الشكوك والمخاوف في صفوف أبناء تلك المجتمعات، وقد أحدث ذلك ضجيجاً وشكوكاً وعدم اطمئنان بين الغرب وأمريكا من جهة والدول العربية والإسلامية من جهة ثانية، وأوجد شكوكاً أثرت في مصالح الجميع. لأن الإرهاب خطر على الجميع بولابد أن تستخدم وسائل عدة لمواجهته<sup>(٨)</sup>.

وألقت الحملة بظلالها على القضية الفلسطينية، إذ أنه على الرغم من ان الخطاب الفلسطيني يدين العمليات الإرهابية ودين الجماعات الإرهابية ضد المدنيين ويتصل من العمليات التي تنفذها جماعات ضد المدنيين، ويميز هذا الخطاب بين الإرهاب وبين المقاومة المشروعة للشعب الفلسطيني، بل عد أعمال المنظمات الإرهابية عرقلة لجهود الشعب الفلسطيني، واستعداد السلطة الفلسطينية كجزء من المجتمع الدولي للمشاركة في الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب ، ولكن الحملة التي تقودها الولايات المتحدة وقفت ضد أمال وطموحات الشعب الفلسطيني ، واعتمدت الولايات المتحدة خطاً مقصداً بين الإرهاب والمقاومة، ووصفت المنظمات الفلسطينية المجاهدة من أجل تحرير بلادها بأنها منظمات إرهابية<sup>(٩)</sup>. وبذلك جاءت السياسة الأمريكية مطابقة للمصالح الصهيونية وظفت الحملة لصالحها وحددت مسارها تجاه الوطن العربي وتجاه القضية الفلسطينية والعراق وفق ما تقتضيه المصالح للصهيونية.

فالحرب التي تقودها الولايات المتحدة تحت عنوان مكافحة الإرهاب، كانت مساحتها الرئيسية الوطن العربي ودول الجوار المحيطة به كإفغانستان وإيران ، إذ شملت العراق وفلسطين ولبنان وسوريا ، وغداً مصر ، مما خلق أوضاعاً مضطربة كان المواطن

<sup>٨</sup> علي عدا الله صالح رئيس الجمهورية اليمنية في حديث لصحيفة الأهرام المصرية ٢٠٠٢/١/١١.

<sup>٩</sup> عزمي بشارة ، الخطاب في سيقاه ليس مجرد كلام ، ١٢ حزيران ٢٠٠٣ .



العربي يدفع ثمنها ويفقد فيها حريته وأمنه واستقراره ويعرض قيمه وأخلاقياته ومبادئه للخطر.

وعلى الرغم من أن استراتيجية الولايات المتحدة للأمن القومي ترى أن مكافحة الإرهاب تتحقق من خلال الترويج للحرية والديمقراطية وتعزيز المؤسسات الديمقراطية وتشجيع الدول التي تسير بهذا الاتجاه، وترى أن الدعوة إلى الديمقراطية هي السبيل لمكافحة الإرهاب، إلا أنها في حقيقة الأمر أضرت بالديمقراطية وأساعت إلى حقوق الإنسان، إذ أن قبائنها للعالم تحت ما تسميه مكافحة الإرهاب

وفرت مناخا لكثير من الدول والحكومات لمن قوانين مكافحة الإرهاب وظفتها ضد المعارضة الديمقراطية ومارست من خلالها كثير من الانتهاكات لحقوق الإنسان، وبذلك دخلت كثير من منظمات تطالب بالديمقراطية والتعددية في خانة الكيانات التي تهدد الأمن القومي والعالمي وواجهه الكثير من المدافعين عن حقوق الإنسان والعاملين في مجالات الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان تهما بالتمرد والأضرار بسمعة بلادهم، ووظفت المحاكم وإجراءاتها القانونية لمضايقة الناشطين في هذه الميادين، واعتمدت إجراءات تعسفية بمراقبة منظمات المجتمع المدني والتضييق عليها<sup>(١٠)</sup>.

وبذلك فإن الوطن العربي تأثر بالمتغيرات الدولية والاضوايح السياسية الدولية خلال الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب من خلال عدم جديده منهجها المعلن في تعزيز الديمقراطية وإن دعواتها في مسألة الديمقراطية خلقت أوضاعا مرتبكة في الوطن العربي ولم تحقق نتائج إيجابية بهذا الشأن.

حول العلاقة بين الفقر والإرهاب، فإن هناك رأيان يشير إلى أنه ليس هناك علاقة بينهما والقول أن الفقر لا يسبب الإرهاب والرخاء لا يعالجه، وأن الإرهابيين ليسوا فقراء ولا يأتون من مجتمعات فقيرة، وأن ظاهرة الإرهاب ليست منتشرة في أفقر خمسين دولة في هذا العالم، وقد أكدت الدراسات أن هناك تخلفا ثقافيا وفكريا وليس تخلف اقتصادي واجتماعي، وساهمت الصراعات القومية والعرقية والدينية والقبلية بشكل كبير وملحوس بظاهرة الإرهاب<sup>(١١)</sup>.

وهناك رأي آخر قد يكون مختلفا عنه يقول أن التناقض الدولي والمتغيرات الدولية أشاعت الفقر في العالم، وأن فقراء العالم سينفجرون نتيجة ما يعانونه من ماسي ومن فقر، فقد قدم جورج ماكغفرن السفير الأمريكي السابق لدى منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (فاو)، ففي مقال له نشرته صحيفة (نيويورك تايمز) الصادرة في ٩/١/٢٠٠٢، خلاصة تجربته بالقول أنه بالإمكان وضع نهاية للجوع في العالم من خلال توظيف ما يقارب من ١٥% من الميزانية التي ترصدها بلاده لمكافحة الإرهاب وتخصيصها لتحسين الانتاج

<sup>10</sup> الأطر الأساسية للحملة الدولية من أجل القضاء على الإرهاب، 22 شباط ٢٠٠٦.

<sup>11</sup> Wwalter Liqueur, to come the Terrorisom ,

الزراعي والنهوض بالاحوال المعيشية والمعونات الغذائية<sup>(١٢)</sup> مما يؤكد ان هناك اهدافا ودوافع للبرامج والسياسات الامريكية بشأن مكافحة الارهاب وان هذه الاموال التي تخصص للحملة هدفها تحقيق اهداف سياسية تؤكد زعامة الولايات المتحدة وليس مكافحة الارهاب ، ولذا كانت الولايات المتحدة غير جادة في محاربة الفقر فان برنامج مساعداتها هو الاخر خاضع لاهداف سياسية اخرى غير تلك المعلنة .

وفي اعقاب احداث الحادى عشر من سبتمبر تغير الدور الذى يلعبه برنامج المساعدات الامريكية من اجل التنمية تغيرا جذريا وذلك فى مجال السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وان تلك المعونة يمكنها ان تكون اداة قوية فى حملتها الكبيرة على الإرهاب الدولى. هذا علاوة على ان تلك المعونة كانت تخدم أغراضاً أخرى أهمها المساعدة فى محاربة الفقر الذى تقضى على نطاق عالمى. ولعل الولايات المتحدة كانت دائما تستخدم المعونة بطريقة استراتيجية فبرنامج مارشال الكبير للمساعدات للخارجية، كان مبعثه دائما قلق الولايات المتحدة بالنسبة لأمنها القومى علاوة على رغبتها فى إيقاف التوسع السوفيتى فى أوروبا. وأثناء الحرب الباردة توزعت المعونة الأمريكية على دول مثل كوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية وزاتير، وكل هذه الدول كانت حليفة لأمريكا فى حربها ضد الشيوعية. ولقد استخدمت المعونة الأمريكية لأغراض أخرى مثل دعم وتقوية لجندات الأمن الإقليمى. وتعد إسرائيل ومصر هما الدولتان المستفيدتان من مثل هذا الدعم وذلك بعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد. ولكن سرعان ما اكتسبت المعونة الأمريكية مؤخرا أبعادا استراتيجية أكبر وذلك بالنسبة لصانعي السياسة الذين غالبا ما كانوا يميلون إلى الربط بين الأمن والفقر الدولى وحالة الدول الفقيرة، وكان صانعو استراتيجية الأمن القومى فى أمريكا يزعمون أن الفقر وضعف المؤسسات القومية والفساد يمكن أن تعرض هذه الدول للضعف لهجمات الإرهابيين وشبكاتهم ومافيات المخدرات وعصاباتاها<sup>(١٣)</sup>.

#### ثانيا: تأثير وسائل وتقنيات العولمة فى المجتمع العربى:

اقترن المتغير الدولى الجديد فى ظل العولمة واخذ مدى اكبر ووسع الان بالتزامن مع الوضع الدولى الجديد فى الحملة الدولية لمكافحة الارهاب ، بالثورة المعلوماتية الهائلة التى حققتها التطورات التكنولوجية فى مجال المعلومات والتطور الالكترونى وانعكاساتها على التطورات العلمية الحديثة ، فضلا على تاثر العلوم الاجتماعية والمجتمع بأسره لهذه التطورات.

زيادة على ذلك وفرت الثورة للمعلوماتية وعصر المعرفة بعدد لتفتتار الثقافة الالكترونية وتطور وسائل النشر الالكترونى قدرة هائلة فى تطوير وسائط تخزين حاسوبية

12 خالد الخيرو ، بعيدا عن استقراز التقنيات الغرب والشرق - من حق المجتمع الدولى أن يرى المنتصر ملتزما بقواعد القانون الانسانى .

13 الحرب للكونية على الارهاب وبرنامج المعونة الامريكية للتنمية ، اعداد علي محمد السيد ، قراءات استراتيجية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

اعتيادية ، و قدرة معالجة وبحث الكترونية سريعة ، ووفرت فرصة لوسع آساق الكتاب الالكتروني العربي والعالمي وبنوك المعلومات ، وهذا كله انعكس بدوره على مستقبل النشر المعرفي في الوطن العربي <sup>(١٤)</sup> .والذي أصبح لا يولكب هذه التطورات الهائلة.

ووفر التتدفق الحر للمعلومات الذي حققته ثورة الاتصالات فرصة منح المجتمعات البشرية الدخول الى مجتمع المعلومات ومن ثم الانتقال الى مجتمع التكنولوجيا الرقمية والانخراط في ثورة الاتصالات المعاصرة وتطوير المعلوماتية وتمكينها من التغلغل اجتماعيا وعالما والمكتبة الجامعية مرشحة للانخراط ضمن مجتمع المعلومات والحقاق بركب مجتمع التكنولوجيا الرقمية <sup>(١٥)</sup> مما يعني ان هناك ثقافة جديدة يقتضي التعامل معها ، اذ أصبحت هي سمة العصر الذي نعيشه.

لذلك تصاعدت الدعوات والضغوط في الوطن العربي للإصلاح والتغيير ، اذ ان العالم أصبح يعيش في ظل استحقاقات العولمة السياسية والفكرية والاقتصادية والثقافية تفرض تبني إصلاحات تؤهل المجتمع العربي التعاطي مع هذه التحولات السياسية والعلمية والاقتصادية تفرض تغييرات اجتماعية واقتصادية <sup>(١٦)</sup> .

وقد تكون فهم مشترك يدعو الى ضرورة تحصين الذات حيال حجم التحديات العظام غير المسبوقة التي تواجه الأمة العربية من المشرق الى المغرب ، والى تغيير نمط العلاقات الدولية التي خلفتها العولمة ضمن القرية الدولية الواحدة ، والى ظهور ظاهرة الإرهاب ، والحرب على الإرهاب بعد أحداث ١١ من أيلول.

وقد توصلت دراسة صدرت عن مركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية بجامعة الكويت الى ان التنمية السياسية التي تعد وسيلة لتحقيق التنمية الشاملة المستدامة ، لا يمكن أن تتم الا من خلال قطاعات النظم في طرحها وتبنيها غاية لا وسيلة او شعارا يرفع دون تنفيذ وتطبيق ، فالتنمية السياسية التي تعني المشاركة الفاعلة عند الفرد في بناء بلده مما ينعكس على أمته ، تتم من خلال قطاعات لدى الحاكم والمحكوم ، بان الانتماء لآراب وطنه وعالمه العربي ، وهو انتماء ذاتي وشعار مقدس ، يجب ان يزداد يوما بعد يوم ليكبر كل من المواطن والمواطن بالآخر ، والولاء للنظام والسنور والسلطات ومؤسسات الوطن من العوامل الأساسية للوصول الى مجتمع عربي متقدم ، والتفاعل بين أفراد المجتمع هو الطريق الصحيح نحو العمل المثمر الذي يصب في غاية الإصلاح المنشودة من اجله ومن اجل وطنه وأمته كلما انعكس ذلك إيجابا في حل كافة المشاكل المختلفة سواء الاقتصادية ، لم الاجتماعية ، لم الثقافية ، كما ان المجتمع العربي بما يمتلكه من قواسم مشتركة عند أبنائه ، وما يحتويه من مكانة جيوبولوتكية ، قادر على الوصول الى وضع أفضل ، وانه أصبح من اليقين بمكان ان

<sup>١٤</sup> هاني شحادة الخوري ، الكتاب ومستقبل النشر الالكتروني ، ٢٣ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

<sup>١٥</sup> كما بطوش ، المكتبة الجامعية العربية في ظل مجتمع المعلومات :ختمية مواكبة ثورة التكنولوجيا الرقمية ، ٩ شباط ٢٠٠٤ .

<sup>١٦</sup> محمد بن مبارك العريمي ، التحولات الراهنة ودورها في أحداث التغيير في العالم العربي .

تولي القيادات السياسية العربية اهتمامها بقدراتها الذاتية في عملية الاعتماد على الذات دون الانحراف الملموس لسياسات الخارج.

والثقافة الجديدة التي عرفت بالثقافة الالكترونية التي دخلت مع الحاسوب وشبكات المعلومات والانترنت تعد ثورة حقيقية لها فوائد مهمة ويومية في حياتنا نشاهدها في المطارات وفي البنوك والمكتبات ووسائل الاتصال وحقت فوائد كثيرة للمجتمع ، ولكنها تستعمل للخير والشر ، اذ ان الخطر يكمن فيما لو استخدمت لترسيخ الفساد والانجراف ونشر الرذيلة والاحلال وهذا يجعل من دورها واستخدامها ينعكس سلبا على المجتمع<sup>(١٧)</sup>. اذ من خلالها وينفـس وسائلها تنفذ جرائم وممارسات أخلاقية تنعكس سلبا على التكوين الاجتماعي ، منها تصفح المواقع الجنسية الإباحية والاختراقات والجرائم المالية وتكوين مواقع معادية وارتكاب القرصنة وغيرها من المشكلات<sup>(١٨)</sup>.

زيادة على ذلك فأنها وفرت وسيلة سهلة أمام مرتكبي الجرائم لانتهاك الأعراض والحرمات والتغريب بالأطفال وتشويه السمعة، والإساءة الى سمعة المجتمعات الإسلامية ، فضلا على عمليات تزوير بطاقات الائتمان ودعارة الأطفال ، واستخدام الانترنت في الابتزاز والتهديد وجرائم انتهاك الشخصية والتغريب والاستتراج التي تستخدم مع الأطفال من مستخدمي الانترنت من خلال الإغراء بنشر الأقلام والصور الإباحية ، وهذه المخاطر الناجمة عن استخدام وسائل الاتصال المتطورة دفعت دول العالم الى عقد مؤتمر في بودابست لتوقيع الاتفاقية الدولية الأولى لمكافحة الإجرام عبر الانترنت<sup>(١٩)</sup>. لذلك فان هذه التقنيات التكنولوجية في مجال المعلومات المرافقة للعولمة قد انعكست على التكوين الاجتماعي وخاصة في الوطن العربي .

ويدعم الإرهاب اليوم باستخدام واسع ومتنامي لنظم المعلومات والاتصالات عالية التقنية ، وقد وفرت هذه النظم المعلوماتية والاتصالية المتطورة للإرهابيين وسائل اتصال آمنة وسهلة وغير مكلفة وأعطتها مساحة تغطي العالم كله<sup>(٢٠)</sup>.

أسهمت شبكات الحاسوب والعلاقة بينوك المعلومات الضخمة والأقمار الصناعية في صياغة النظام الدولي الجديد وقيام الاقتصاد العالمي الجديد والتجارة الحرة العابرة للحدود وفتحت الأسواق وخلقت ثقافة كونية جديدة ، وأصبح امتلاكها شرطا من شروط المشاركة في غمار الصراعات والتنافسات الدولية حول صياغة مفهوم العلاقات الدولية والزعامة على العالم ، اذ ان ما يميز العولمة التي نعيش عصرها الآن هو امتلاكها التقنيات المتطورة وتفتقر بانتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة وما تميزت به من الصراخ وإعادة صياغة العلاقة بالزمان والمكان ، ونقص للفضاء العالمي واهتمت المجتمعات البشرية بحاضرها

17 احمد فضل شبلول ، ثقافة الطفل في عصر التكنولوجيا ، ٢٠٠٣/٥/١٥ .

18 محمد بن عبدالله بن علي المنشاوي ، جرائم الانترنت في المجتمع السعودي ، رسالة جامعية .

19 ميرفت صوف ، جرائم الانترنت . زلوا ابنائكم نارها .

20 محمد قدرى سعيد ، ارهاب بدون قيادة . العالم والارهاب الجديد ، التقرير الاستراتيجي العربي ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية .

وانقطعت عن الماضي وصرفت اهتمامها بالمستقبل<sup>(٢١)</sup>، مما جعلها تمتلك وسائل التأثير والتغيير في التفكير المجتمعي وإشاعة ثقافة جديدة لها قواعدها وأسسها .

فضلا عن ان هذه الثقافة الجديدة خلقت فجوة بين الأبناء من جهة والوالدين من جهة أخرى نتيجة ما يمتلكه الأبناء من ثقافة واسعة هائلة في حجم المعلومات وسرعة الاتصال، انعكست على العلاقات الأسرية الاجتماعية ، إذ توفر هذه الخدمة المعلوماتية قدرة تأثير في الأفراد قد يوظفها الآخرون للتأثير السلبي منهم وإلحاق الأذى الاجتماعي والنفسي لهم ونفع الأبناء القاصرين إلى الملوك غير الموي . ومع أهمية نشر الثقافة الالكترونية والبرامج المكثفة التي تدفع نحو امتلاك وسائلها المتطورة الحديثة تبرز أهمية التنقيف والتوعية والتربية الحديثة لحماية الأفراد وحماية الشباب من النتائج والممارسات السلبية المرافقة لاستخدام هذه الوسيلة وبناء شخصية الفرد والمراهق في الطريقة التي يتعامل بها مع هذه التقنيات والحد من أضرارها ونتائجها الجانبية .

وانشرت بفضل الاستخدام الواسع للإنترنت ما يعرف بالعامية الانترنيتية وهي اللغة التي استخدمت وطورت بين مستخدمي الإنترنت ، إذ ضيبت حروفها واقتصرت كلماتها لكي تساعد على الاختصار والسرعة في استخدام لوحة الإنترنت والنقر فيها، فأدت هذه اللغة إلى كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية وخلقت مفاهيم مختلفة بين جيلين ، جيل يتمسك بثقافة الإنترنت ولغته الجديدة المختصرة وجيل يبحث عن التمسك بلغته واستخدام الكلمات كاملة ليحافظ على معنى وشكل الكلمات، وعموما فإن الثورة المعلوماتية وتكنولوجيا الاتصالات خلقت تحد جديد للمجتمع العربي في لغته العربية ، وإشاعة مفاهيم وكلمات وأخطاء من خلال غرف الدردشة والرسائل النصية ، وهذه الثقافة الجديدة ستعكس على ثقافة الجيل الجديد ويحدث انقراض بينهم وبين لغتهم وثقافتهم وهويتهم<sup>(٢٢)</sup> .

ان التقدم الكبير في نظم الاتصالات وخاصة الإنترنت والأقمار الاصطناعية ساعدت على نقل المعلومات بكثافة عالية وزيادة نوعية وكمية في نقل المعلومات مما أدى إلى تغييرات جوهرية في مفاهيم التنشئة الاجتماعية والتدريب مما يتطلب وجود ثقافة جديدة تتعامل مع معطيات ثورة الاتصالات ، فضلا على ان حجم المعلومات الفكرية والثقافية والترفيهية والعلمية ويسر الحصول عليها والتعامل معها وجاذبيتها تجعل منها قسادة على التأثير في المجتمعات وعلى النشئ الجديد وعلى ثقافة وتقاليد وقيم المجتمع<sup>(٢٣)</sup> . وأحدثت لتكنولوجيا الحديثة تغييرات مهمة وميلاد مجتمع جديد يقوم على المعلومات والمعرفة والسرعة الفعالة وأحدثت تغييرا شاملا ، وأصبحت المعلومات والمعرفة مبدءا عاما ينظم أمور الأفراد والمجتمعات ، وان مجتمع المعلومات يتطلب قدرة لتنامجية متطورة جدا<sup>(٢٤)</sup> .

21 قاسم حجاج ، المفهوم والأهمية المعرفية .

22 فاطمة البريكي ، لماذا تلوّقت العامية الانترنيتية على اللغة العربية .

23 عثمان بن صالح العامر ، دور المؤسسات التعليمية في تحقيق الامن الخلقي والمجتمعي في

عصر العولمة ، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والامن المنعقد بكلية فهد الامنية.

24 عز الدين بويريان ، المختصون في المكتبات والمعلومات ودورهم في ارساء مجتمع المعلومات ،

٩ شباط ٢٠٠٤ .

فضلا على ذلك فأنها أحدثت تأثيرا كبيرا في صياغة الواقع الاجتماعي ومفاهيم التفاعل والاتصال التقليدية ، وفُتحت الأفاق واسعة رحبة للأفكار والاتجاهات والوسائل والانتماءات وتعكست على التكوين الاجتماعي والثقافي حتى أصبح لا مكان للتباين والاختلاف في تكوين الأفراد والمجتمعات ، وأسهمت في انفرط عقد للكيانات الاجتماعية التقليدية ، بل جعلت من هذه للنظم الاجتماعية واحدة أمام منظومة ثقافية عالمية تمتلك إغراءات ووسائل تأثير يصعب مقاومتها (٢٥).

ويمثل تأثير تكنولوجيا المعلومات وثورة الاتصالات المرافقة للنظام الدولي الجديد في التكوين المجتمعي في أعلى صورته في ارتباطه الوثيق وتأثيره الكبير في ميدان التربية والتعليم الذي يلقي بظلاله على المجتمع . إذ أصبح لا مفر من استخدام هذه التقنيات وقبول التطورات والنتائج والانعكاسات التي ترافقها ، إذ لابد من مراعاة ضرورة مولكية التطورات العصرية التي تنسم بثورة هائلة في مجال المعلومات والتكنولوجيا وأصبح استخدام الحاسوب الآلي وشبكة الانترنت ضرورة حتمية أحدثت تغييرا في أنماط التربية ووسائل التعليم الحديثة ، دفعت لى وضع الخطط الكفيلة بشأن التعامل مع أحدث التطورات والآليات الحديثة والتعامل مع مشكلاتها المعقدة.

تتبعكس التكنولوجيا المتطورة في مجال المعلومات والاتصالات على تربية الطفل وعلى تربية المجتمع بشكل عام ، إذ إن أي تكنولوجيا لا تحقق أهدافها إلا من خلال جعلها مناحة لجميع الناس ولكل شرائح المجتمع ، وإن تنصهر في الكيان المجتمعي ، وهي بذلك تصبح أكثر أهمية وأكثر تأثيرا في مجال تربية الطفل وتعد اليوم من الأمور الضرورية لمواجهة تحديات العصر ، فالعالم يعيش في قرية الكترونية صغيرة الحجم والمساحة وكل شئ فيها يتحرك عن بعد وبواسطة الأزرار ، إذ أصبح الكمبيوتر للشخصي بكل مكوناته واستخداماته هو الأساس والركيزة للتطور الذي يشهده المجتمع اليوم وفي المستقبل (٢٦).

إن الاهتمام بالتعليم وامتلاك وسائل وتكنولوجيا الاتصال واعتماد وسائل متطورة في الإدارة والإنتاج وبناء إستراتيجية وطنية لإعادة صياغة الواقع الاجتماعي الذي يساير ويواكب لغة العصر المعلوماتية ونتمكن من أن يكون لنا حضور فاعل في صياغة النظام العالمي والمنظومة العالمية ويكون ذلك أكثر فاعلية وواقعية من اعتماد آليات لمنع والحجب والانسزال (٢٧).

ويواجه المجتمع ضغطا ثقافيا تفرضه طبيعة الوسائل والقدرات المستخدمة في وسائل الإعلام والتقنيات العالية وشبكة الانترنت ، مما يتطلب برنامجا واسعا لمواجهة هذا الضغط الثقافي الذي وفرته التقنيات والثقافة الالكترونية وجعلت منه أكثر فاعلية وتأثيرا ، وإن هذه الحاجة للأمن الثقافي تتطلب الانفتاح وعدم الانغلاق وتتطلب توفير وإشباع الحد الأدنى من الحاجات الثقافية والجمالية والرمزية والمعلوماتية للناس ، وإن نبني مؤسسات تمتلك

25 عبدالله الطويرقي ، مستقبل بلا سلطات .. بلا نخوم ، جريدة الشرق الأوسط ٢١ آب ٢٠٠١ .

26 احمد فضل شبلول ، ثقافة الطفل في عصر التكنولوجيا ، ٢٠٠٣/٥/١٥ .

27 عبدالله الطويرقي ، مستقبل بلا سلطات .. بلا نخوم ، جريدة الشرق الأوسط ٢١ آب ٢٠٠١ .

مواصفات وشروط المنافسة العصرية ، لكي نتمكن من امتلاك برنامجا ثقافيا تنفذه أجهزة ووسائل متطورة في تقنياتها<sup>(٢٨)</sup>. إن مجرد ركوب الموجة دون امتلاك وضوح في البرنامج والروى وبدون تحقيق قدرة إشباع الرغبات ومواكبة التطور ، ستجعل منا مستسلمين تائبين . فالشبكة العالمية للمعلومات توفر الوسيلة الفعالة التي من خلالها نقدم خطابنا ونقدم فلسفتنا ووجهة نظرنا ورؤيتنا للحياة ، إذ أصبحت هذه التقنية عاملا في تحقيق التقارب والتفاعل بين الثقافات والحضارات .

### مضامين وتصورات نهائية :

- ومثلما إن الإرهاب لحق الضرر بالمجتمع العربي والمجتمع الدولي عامة وأشاع نوعا من عدم الاستقرار وزرع الخوف وغياب الأمان والأمن الإنساني ، فإن الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب دفعت الأوضاع الى مزيد من التعقيد وألحقت الضرر بالمجتمع العربي ، وجعلت منه ساحة مهمة من ساحات تنفيذ المخططات الدولية والسياسات التي تمثل المصالح والاستراتيجيات للقوى الكبرى ، فعاثت المنطقة حالة من عدم الاستقرار والفوضى .
- ظلت مفاهيم حقوق الإنسان والمجتمع المدني والديمقراطية مجرد شعارات وأهداف بعيدة عن الواقع ، بل أنها استخدمت كمبررات للضغط والتدخل في الشؤون الداخلية ، وارتبطت هذه المؤسسات بالمخططات الدولية الخارجية ، لذلك فأنها لم تؤد الأهداف المنشودة لها في الارتقاء بالمجتمع العربي والانتقال به الى مرحلة جديدة يسودها الاستقرار والحوار والتفاعل والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان .
- ان امتلاك القوى الكبرى للتكنولوجيا المتطورة في مجالات الاتصالات والمعلومات ، جعلها أكثر قدرة وتأثيرا في اعم وشعوب العالم ، فأصبح الغزو الثقافي القيمي الأخلاقي هو الممهد وهو الوسيلة الأكثر تأثيرا لتأمين وتحقيق السيطرة والنفوذ ، بل أصبح تأثير الثقافة الجديدة أكثر من تأثير المدفع والسلاح .
- ان المجتمع العربي بحاجة الى إصلاح الكيان السياسي بإرادة داخلية وطنية دون الخضوع للسياسات والارادات الخارجية ، إذ ان أي تدخل أجنبي في التعبير والإصلاح سيؤدي الى نتائج عكسية ومدمرة ، فضلا على ضرورة ان يكون الإصلاح سلميا وبرنامج حكومي شعبي مشترك ، ينطلق نحو تنفيذ برنامج وطني لبناء مجتمع جديد يمتلك وسائل البناء التي رأسها امتلاك التكنولوجيا والتطور العلمي. ان امتلاك القوى الكبرى للفاعلة في النظام العالمي الجديد للقدرات العسكرية والتكنولوجية والتطور العلمي الهائل أمام غياب وضعف القدرات والبرامج وامتلاك مقومات التطور العلمي في الوطن العربي يجعل من المجتمع العربي متلقي ومستسلم لما يجري حوله وتجعل منه عرضة للتأثر بمجريات الأحداث والتطورات الدولية.

- لا تزال الصورة التي تصف العلاقة بين الوطن العربي والقوى الغربية الكبرى بأنها صورة سلبية قاتمة ، اذ كان المجتمع العربي ضحية دائما لسياسات ومخططات هذه القوى .
- لا يمكن المراهنة على بناء اجتماعي قيمي او الحفاظ على أسس بناء اجتماعي موروث او تحقيق تطور اجتماعي دون إصلاح النظام السياسي العربي واملاك ارادة وطنية مستقلة .
- ان تحصين المجتمع العربي أمام التحدي الثقافي والفكري والأخلاقي يأتي من خلال امتلاك الوسائل والتقنيات نفسها ، وامتلاك شرط التطور العلمي ، وليس الوقوف السلبي من هذه التطورات الهائلة في مجالات المعلوماتية والاتصالاتية، والاهتمام بالتطورات التقنية والوسائل الحديثة في مجالات التربية والتعليم .



## التحولات العالمية واشكاليات الإصلاح السياسي في الوطن العربي

الاستاذ المساعد الدكتور

ثامر كامل محمد الخرزجي (\*)

### المقدمة

تزعّم تكهنات عديدة وإحصائيات رقمية وتصريحات رسمية أن الوطن العربي الذي يحفل بامتداد جغرافي وثروة بشرية، وقضايا وأهداف وقدرات، وتحديات، يمكن أن يكون في مطلع القرن الحادي والعشرين ميداناً لحراك اجتماعي وسياسي، ففي هذا الفضاء يحتشد قرابة ٣٠٠ مليون نسمة وتتضارب السياسات والطموحات وتتعاظم الأوار وتتكاثر المساعي للتعاون فعلياً على خطوط الخلافات والنزاعات والتنافسات. وإن هذا الفضاء الذي يعتمد على قاعدة شعوبه وأهمية منطقتيه الجغرافية تتوافر لديه إمكانيات التمتع بنمو ديناميكي مستمراً لصالحه نراه وتتوّه وإمكانية انفتاحه، وهو مع ذلك ظل يواجه معضلات في ميادين التنمية الاقتصادية والسياسية والبشرية، وأزمات أمن واستقرار، فضلاً عن مواجهة معظم نظمته السياسية لإشكاليات مختلفة. ومن خصائص هذا الفضاء الرّحب، إن دلالاته الجغرافية يمكن أن تعينه على تعظيم قدراته وتدعيم عملية الإصلاح، فهو ينشأ في محيط الأطلسي، ويحتضن شواطئ كل من البحر المتوسط والبحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي. بيد أن هذا الفضاء لم يستثمر بما فيه الكفاية هذه المزية بل أصبحت توفر فرصة للضغط عليه بالوجود العسكري والأمني الأجنبي وعرض القوة العسكرية.

إن هذا البحث ينطلق من حقيقة وفرضية وتساؤل. الحقيقة: هي إن هذه للمعضلات والإشكاليات ليست مقطوعة الجذور في البيئة العربية، بل لها امتدادات في التاريخ المتوسط والغريب، والدعوة إلى معالجتها تعتمد على خلفية فكرية واجتماعية تعود إلى عصر النهضة العربية، وفي السياق ذاته الذي أصبح يتزايد باطراد بروز الاهتمام بمسألة الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتبلورت رؤية وأفكار جريئة حول المجتمع المدني: مفهوماً، وبناءً، ومؤسسات، ودوراً، وتحديات، ومستقبلاً. والفرضية: هي إن الذي حدث في البيئة الدولية خلال العقدتين الماضيتين قد أسبغ سمات أساسية وجديدة يمكن أن تكون لها تأثيرات وأفضليات تتباين عن تلك التي سالت أبان الانهيارات الكبرى (انهيار الاتحاد السوفييتي السابق)، (انهيار جدار برلين)، ولا يمكن للوطن العربي أن يعفي نفسه من تلك التأثيرات التي غدت توظف في سياقها خماسية

(\*) استاذ جامعي - باحث أكاديمي

أضلاع (القوة، الثروة، الإعلام، ثورة المعلومات، كونية الاتصالات) فضلاً على القدرات الإستخبارية وأوبيات مراكز البحوث والتخطيط الإستراتيجي للولايات المتحدة التي تروحت تقيمتها للأحداث بين النقد والدعوة للترشيد والتحرير، وإعداد سيناريوهات دراماتيكية وآليات وتوصيات لتنفيذها.

وفي الوقت الذي ترددت الأنظمة السياسية العربية أو معظمها عن الاستجابة لصوت الإصلاح النابع من بيئتها المحلية خشية أن تقودها عملية الإصلاح إلى المغامرة بمستقبل وجودها، تولت الدعوات والضغط الخارجية التي تدعو هذه الأنظمة ووحدايتها القرارية إلى الإسراع في تطبيق برامج الإصلاح، مستغلة هشاشة وضعف الإنجاز في ميادين تعزيز سلطة القانون والديمقراطية وحقوق الإنسان من ناحية، وإصرار الأنظمة السياسية العربية الحاكمة على تحكمها بكل العملية الاجتماعية، ومحاولتها فرض نفسها مركزاً وحيداً للشرعية إلى جانب كونها مصدرأ وحيداً للقوة. وإن مانقوخي إثباته هنا هو إن الإصلاح السياسي والتحول الديمقراطي في الوطن العربي ينبغي أن يكون تعبيراً عن رؤية وطنية وقومية واستجابة لمطالب اجتماعية وميسابية واقتصادية وثقافية ذاتية، ويقتضي أعمار المجتمع المدني وبناء علاقات تقاعلية سليمة بينه وبين المجتمع السياسي أو الدولة. وللتساؤل: ينطلق من إن للمشاكل المفهومية والبنوية باتت تدور حول كم من التغيير قد حصل في البيئة الدولية إلى القدر الذي يمكن أن يضعنا أمام استقراء هل إن القادم من التطور قد اكتمل في ضوء الافتراضات والتأثيرات والاهتمامات السابقة، أو إنه أصبح يتأسس في ضوء الجديد من التغييرات؟ لاسيما وإن أي عملية تحليل دقيقة لسمات الهيمنة الجديدة تقضي إلى تأكيد حقيقة أنها تتخذ من القوة العسكرية وسيلة وظهيراً، والاقتصاد والتجارة طعماً، والديمقراطية شعاراً، وحقوق الإنسان عصاً.

وعلى هذا فإن هذا البحث يمثل محاولة لتوصيف طبيعة أداء الأنظمة السياسية في الوطن العربي وفرضيات الإصلاح، وتحليل ما نحسبها أهم العوامل المؤثرة في تدعيم إرادة الإصلاح السياسي، واستشراف مشاهدته المحتملة في الوطن العربي. وهو تعبير عن رؤية استراكية لمعالجة أزمت الحكم وعمليات اتخاذ القرار، ويمثل في المعنى ذاته دعوة لأماسة المجتمع المدني والارتقاء بآلياته ونفيعيل أداء مؤسساته انطلاقاً من إدراك حقيقة أن للمجتمع المدني الحديث لا يمكن أن يوجد إلا في إطار الدولة، وإنه بقدر ما تكون الدولة تعبيراً عن مختلف قوى وفئات المجتمع المدني، وتفسح المجال وتوفر القنوات لهذه القوى لتوصيل مطالبها والتعبير عن تصوراتها يمكن أن تعمق وتجذر شرعيتها في المجتمع، وتحقق جوهر غاية الإصلاح والتحول الديمقراطي، ذلك إن الحقيقة والحكمة لديهما فرصة أكبر في الظهور حيثما تتوافر المشاركة وتوجد المناقشة الحرة المفتوحة.

## المبحث الأول

### أداء الأنظمة السياسية في الوطن العربي وفرضيات الإصلاح

إن تحليل وجهات النظر الواردة في الدراسات العربية حول نشأة الدولة في الوطن العربي وطبيعة تلك النشأة، ولماطها، وصيرورتها، يفيد الاستنتاج بأنها عموماً لم تستطع أن تستكمل عناصر الحدثة وظلت تحمل معها ظواهر نقيضة للحدثة كالاستبداد السياسي وحكم الفرد وشخصنة السلطة بين الحاكم وبين الدولة، ومحاولة اندماجها مع الواقع الاجتماعي بتضييق الخناق أمام تشكل مجتمع مدني يتسم باستقلالية نسبية، وتبعاً لذلك فإن معظم الأنظمة السياسية التي سادت في الوطن العربي يؤخذ عليها عدم السماح بقيام المجتمع المدني وذلك لكونها تقوم على مفاهيم السيطرة والتحكم والتبعية والتشكيل الإداري للأفراد والجماعات، بينما يمثل المجتمع المدني ميدان نشوء وتهيكّل علاقات وسلطات ورهانات مستقلة عن السلطة السياسية وغير تابعة لها<sup>١</sup>. فالدولة العربية الحديثة في مرحلة ما بعد الكولونيالية كانت تجهل وتتجاهل الديمقراطية السياسية باعتبارها صيرورة نمو المجتمع المدني، وقد حظرت ممارسة السياسة على الصعيد الداخلي، وألغت لمدة طويلة حرية الفرد وحقوق الإنسان والمواطن<sup>٢</sup>.

ومع ما حدث من تطور في علاقة الدولة بالمجتمع خلال العقدين الماضيين في معظم الدول العربية، فإن المجتمع المدني في الوطن العربي عموماً يجد نفسه مع نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الجديدة في وضع الأزمة، ذلك إن الوقائع تشير إلى دولة لا تنق في المجتمع المدني، وأيضاً مجتمع مدني لا يتق في الدولة، فالعوامل البنائية التاريخية أسهمت ومازالت تسهم في ضعف الثقافة المدنية، والآليات الداخلية للنظم السياسية العربية تضعف من فاعلية منظمات المجتمع المدني، ويدخل في هذا النطاق ضالة قيمة العمل الجماعي ومحدودية قبول فكرة تداول السلطة، وترجيح التسلسلية، والتعامل مع أهل الثقة بدلاً من أهل الخبرة، وضعف المشاركة في المسؤولية<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> سامي خالده، المجتمع المدني: المفومات والمعوقات، الطريق، العدد الثامن، السنة السادسة والخمسون، (بيروت، آذار - نيسان / مارس - أبريل ١٩٩٧)، ص ٦٢.

<sup>٢</sup> توفيق المديني، المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي - دراسة - ، (دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧)، ص ٨٢٤.

<sup>٣</sup> أمّتي فتّيل، المجتمع المدني في مصر : في مطلع الألفية الجديدة، (القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٠)، ص ١٥٥.

وقد تعزز إدراك المجتمع لمعضلة الدولة في الوطن العربي، نتيجة إدراك صيرورتها التاريخية وضعف مصادر شرعيتها، وضعف ومحدودية أدائها، الذي غنّته الهزائم المتكررة التي منيت بها المشاريع التحررية ونتائج التجارب التنموية التي باءت بالفشل. الأمر الذي أعاد النقاش مرة أخرى إلى مستواه الحقيقي وتسبب في فقدان الدولة بعض جاذبيتها، وعلى هذا فإن النقد الموجه للدولة في الوطن العربي اليوم لا ينحصر في المستوى العملي حيث تتأسس عناصره السياسية والاقتصادية بل يتجاوز إلى اللا اجتماعي والعبور إلى الاجتماعي. وهو قائم حتى الآن على إدراك الهوة التي تفصل بين المجتمع والدولة، وبخاصة إن فقدان الدولة لجاذبيتها يتلاقى مع اكتشاف الممارسة السياسية لدى الفاعلين الاجتماعيين، تلك الممارسة التي تخلو عنها طويلاً لصالح الدولة في سبيل قضايا كانت ولا تزال محور اهتمامات المواطن العربي وتطلعاته<sup>4</sup>.

وإذا جاز التسليم بدرجة كبيرة ونسبية بان الدولة الوطنية في المجتمعات العربية قد أضعفت المجتمع واستقوت عليه وأنهكته عبر شبكة المنوعات التي أقامتها باسم بناء الدولة والدفاع عنها، فلا بد من النظر إلى المجتمع المدني نظرة إيجابية لإقامة التوازن بين ضعف المجتمع وقوة الدولة، لكن الرغبة في وجود الشيء لا تكفي لإيجاده وذلك لكثرة العوائق التي تعيق أعمار للمجتمعات المدنية في بلداننا العربية<sup>5</sup>.

وعلى هذا فإن أول متطلبات الإصلاح السياسي أن يؤهل المجتمع المدني لدوره في الديمقراطية، من خلال تنظيمات أهلية مؤسسية حزبية ونقابية وثقافية، اتحادات وجمعيات وأنماط شتى من أشكال العمل الجماعي غير الحكومي، تقيمه فئات اجتماعية تحمل رؤية مشتركة، هدفها الدفاع عن مصالح مشتركة، لفئة أو فئات اجتماعية معينة داخل المجتمع، ويأتي عملها في إطار تنظيم المصالح المتباينة داخل المجتمع والدفاع عنها، ويتم العمل في هذه التنظيمات بأسلوب جماعي وديمقراطي وعلاقات داخلية تقوم على الحوار والوعي وتبني أهدافاً واضحة مشروعة يمكن تحقيقها، وبهذه الطريقة تبدأ مسيرة التنظيم الاجتماعي وتمتكم بناء التنمية السياسية والاجتماعية، بمعنى إن التنمية السياسية التي كانت في الماضي اجتهداً في إطار دولة الموظفين وليس دولة المجتمع، مطلوب الآن عكس الاتجاه لتأتي للتنمية السياسية بمشاركة مجتمع الدولة المنظم والواعي بشكل واسع، أي أن يتحول المجتمع إلى عون للإدارة ورافد لها وليس عبئاً عليها ويقتضي منطق الأمور أن يكون النظام الحديث

<sup>4</sup> فهمية شرف الدين، الواقع العربي وعوائق تكوين المجتمع المدني، المستقبل العربي، العدد ٢٧٨، (بيروت، م.د.ع، ٢٠٠٢)، ص ٤٨.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص ٤٢.

نظاماً ديمقراطياً بالفعل وتعبوياً قادراً على التكيف والمواجهة واستيعاب المتغيرات والتشكيلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، ويضع التقدم غاية أيديولوجية له وليس مجرد تحسن في الظروف العامة<sup>٦</sup>. فالهامش الذي جرى التحرك خلاله عبر الزمن في إطار مرحلتي للتغير والتكيف كان ضيقاً جداً لتحقيق التطور الداخلي في معظم الأنظمة السياسية العربية، بحيث أصبحت هيكلياً وربما موضوعياً متخلفة عن بنية المجتمعات التي تحكمها، وربما حاولت بعض هذه الأنظمة التجدد، ولكن ضمن سياقات محكومة سلفاً وتحت ضغوط دولية قبل أن تكون داخلية، ولهذا فمن أجل إدراك مدى وجدية سعي الأنظمة السياسية العربية للتطور باتجاه الأنظمة الحديثة وللتأكد من ذلك يمكن تعريف كل منها على حدة لمجموعة من الأسئلة الاستكشافية والمعارية وعلى الوجه الآتي<sup>٧</sup>:

- ١- في ضوء ما استقر العمل عليه في مؤسسات النظام: ما هي الفرص المتاحة لتجديد النظام السياسي العربي المعني من حيث القدرات والكفاءات والنخب المسيطرة على مقاليد الأمور؟ وبعبارة أخرى ما هو المعيار الذي بموجبه يتم تداول السلطة بين النخب السياسية وهل خرجت هذه النخب من دوائرها التقليدية؟
- ٢- ما هي قدرة النظام السياسي العربي المعني على التكيف السلمي مع الشروط الموضوعية للحركة الاجتماعية الداخلية، التعاون مع المعارضة الحقيقية، أو استيعابها أو الثقة بها كمؤسسة وطنية؟ وماهي قدرة ذلك النظام على الانفتاح على الحركة الدولية والتفاعل الإيجابي مع المتغيرات الدولية مشاركة وليس مساومة، وعياً وخياراً وطنياً وليس إيتباعاً واضطراباً؟
- ٣- ما هي قدرة النظام السياسي العربي المعني على الحشد والتعبئة والفعل اللازم لمواجهة التحديات بصورتها الداخلية والخارجية، وإعداد الأفراد للمواطنين بالاقتناع للدفاع عن النظام وسياساته العامة، والتضحية من أجل ذلك؟
- ٤- ما هي درجة فعالية النظام السياسي العربي المعني في أداء الوظائف السيادية والأمنية والإدارية والاستجابة للظروف الطارئة؟
- ٥- ما هي درجة ادراك النظام السياسي العربي المعني لازمات التنمية المتمثلة بـ (أزمة الهوية، أزمة الشرعية، أزمة المشاركة، أزمة التغلغل، أزمة التوزيع،

<sup>٦</sup> محمد عبد الكريم محافظة، عبد الله حسن، التنمية السياسية: الإطار المفاهيمي النظري للمصطلح، ط١، (عمان، دار نور الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص ٣٦-٣٧، ٤٢.

<sup>٧</sup> ينظر بالتفصيل، المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٦.

لزمة الانتماء، لزمة التنظيم، لزمة الاستقرار السياسي) ودرجة حدتها على ذلك النظام، ومدى قدرته على مواجهتها وحل إشكالياتها ؟  
في ضوء الإجابات المحتملة يتحدد مستوى حداثة النظام ومدى ملائمته للداخل والخارج وقدرته على الإصلاح السياسي ومواجهة الضغوط المحتملة.

الإجابة المحتملة لمعظم الأنظمة السياسية العربية لا يمكن أن تكون بالنفي إطلاقاً أو بالإيجاب إطلاقاً، بمعنى أنها عموماً مدعوة لإجراء إصلاحات سياسية حقيقية تتجاوب مع التطورات المعاصرة، وينبغي أن تقضي هذه الإصلاحات إلى إحداث تغيير جوهري على طبيعة العلاقات التقليدية القائمة في غير نظام عربي، وإن لا تكون تعبيراً عن استعراضات جديدة لإعادة التوزيع والأدوار، ذلك أن الإصلاحات السياسية المطلوبة والتي يمكن أن تحظى بالنجاح والقبول يفترض أن تؤدي إلى نتيجتين هامتين<sup>٨</sup>:

**الأولى:** إذا كان الإصلاح السياسي الحقيقي يتناقض مع مصالح قادة الدوائر الغربية المبشرة به والتي ترى أن يكون الإصلاح شكلياً خدمة لهذه المصالح، فإن من مصلحة الأنظمة السياسية العربية أن تعمل على إجراء إصلاحات حقيقية وجادة لتأكيد شرعيتها ولإلزام مواطنيها بالدفاع عنها وعن سيادتها فيما لو واجهت تحديات من أي نوع.

**الثانية:** إن الإصلاح الشكلي تجاوباً مع أي طرف يؤدي إلى إيهام بعض القوى السياسية التي تقبل المساومة وبيع بعض الحلول الجزئية بأنها أصبحت شريكة في النظام السياسي وستحول من ثم إلى جانب القوى المعادية للتغيير والتطور وتضاعف من الأزمات القائمة أو المحتملة، ولا تشكل في النهاية إضافة نوعية للنظام السياسي.

وعلى ذلك فإن تطور المجتمع في الدول العربية باتجاه المجتمع المدني الديمقراطي المفتوح وتطور المؤسسات باتجاه سيادة القانون كغايات أساسية للإصلاح السياسي والتقدم، يعد المحدد لأي خطوة من خطوات الإصلاح السياسي في الوطن العربي الآن وفي المستقبل.

وفي سياق ترسيخ وتوظيف التنمية السياسية في الوطن العربي والنهوض بها باعتبارها آلية من آليات الإصلاح السياسي والاجتماعي فيوسع معناها ليمثل برنامج عمل يستهدف تخليص المجتمع من قلة التخلف السياسي بكل سماته المتمثلة في غيبة فكرة المواطنة، وافتقار المجتمع إلى التكامل والاستقرار الميسيين، وتدني معدلات

<sup>٨</sup> المصدر نفسه، ص ٤٦.

مشاركة المواطنين في الحياة السياسية وتضالول قدرة الحكومات العربية على إعمال قوانينها ومؤسساتها داخل أرجاء أقاليم دولها كافة. وعدم كفاءتها فيما يتصل بتوزيع القيم والموارد الاقتصادية المتاحة توزيعاً عادلاً ، فضلاً على شيوع ظاهرة شخصنة السلطة، وإفقادها للشرعية وعدم استنادها إلى أساس قانوني فيما يتصل باعتمادها وممارستها وتداولها، إلى جانب تركيز السلطين التشريعية والتنفيذية في هيئة واحدة وعدم الفصل بينهما.

وفي ضوء ذلك تكون التنمية السياسية : عملية سياسية متعددة الغايات تستهدف ترسيخ فكرة المواطنة، وتحقيق التكامل والاستقرار داخل البيئة الاجتماعية للنظم السياسية العربية، وزيادة معدلات مشاركة المواطنين في الحياة السياسية، وفسح المجال لنمو مؤسسات المجتمع المدني، وتدعيم قدرات الحكومات العربية على إعمال قوانينها ومؤسساتها على سائر أقاليم دولها، ورفع كفاءة هذه الحكومات فيما يتصل بتوزيع القيم والموارد الاقتصادية المتاحة، فضلاً على إضفاء للشرعية على السلطة في الدول العربية بحيث تستند إلى أساس قانوني لاسيما فيما يتصل باعتمادها وممارستها وتداولها وزرضا المواطنين عنها، مع مراعاة الفصل بين الوظيفتين التشريعية والتنفيذية بحيث تقوم على كل منها هيئة مستقلة عن الأخرى، فضلاً على إتاحة للوسائل الكفيلة بتحقيق الرقابة المتبادلة بين الهيئتين<sup>٩</sup>.

<sup>٩</sup> أحمد وهبان، التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية: رؤية جديدة للواقع السياسي في العالم الثالث، (الإسكندرية، شركة الهلال للطباعة، ٢٠٠٠)، ص ١٤٣-١٤٤.

## المبحث الثاني آليات الإصلاح السياسي في الوطن العربي

### أولاً: المأسسة

المأسسة هي مجموعة علاقات اجتماعية منظمة لتوظيف وتنظيم جهود الأفراد من أجل تحقيق الأهداف المشتركة، كما إن تنوع الحاجات في المجتمع يكون باعثاً على إنشاء مؤسسات متنوعة ومتعددة، وإذا كانت المجتمعات تتماثل من ناحية الحاجات الإنسانية كالغذاء والمأوى والملبس وغير ذلك من الحاجات المادية الأخرى، وضمان الأمن والنظام والتحرر من الخوف المادي والمعنوي وإشاعة الحرية والمشاركة ومواجهة التحديات الخارجية وهي حاجات تتشابه فيها كل المجتمعات الإنسانية، فإنها من ناحية أخرى تختلف في كيفية أداء وظائفها<sup>10</sup> وعلى هذا فإن ربط موضوع الإصلاح السياسي للدولة والمجتمع بالديمقراطية والحرية والمأسسة، يمثل إعطاء نوع من المشروعات السياسية لمشروع الحدائق الذي تمثله الدولة، إنه محاولة لإعادة بناء العقيدة الحديثة للنخبة، وهو بذات الوقت مقاومة ومواجهة تيارات نقص الدولة أو رفضها. فالتنظيمات المؤسسية المدنية هي البنية الوسيطة التي تشغل المجال الحيوي من الحراك الاجتماعي، وهي التنظيمات التي لا يخلو منها أي مجتمع بشري منظم، وضموره (أي المجتمع المدني) أو تفككه سواء لصالح تعميق السلطة أو لصالح تنامي المؤسسات التقليدية يقود إلى سيادة منطق الفوضى وعدم الاستقرار... ولكن مع ذلك تبقى هذه التنظيمات المدنية غير كافية للقيام بجميع الوظائف التي تحتاجها عملية الاستجابة والتفاعل مع التطورات الحضارية في البيئة الدولية<sup>11</sup>.

### ١- التحديت الداخليّة:

لم يعد من المبالغة القول إن الحديث المتزايد اليوم عن المجتمع المدني بمعنى تنظيمات المجتمع المدني ومؤسساته الحديثة التي ينظر لها وكأنها في مواجهة مع التنظيمات المدنية القديمة، الدينية أو العائلية، ينطوي على ثمة نزعة تصفية وإستيعابية لا ينبغي التقليل من مخاطرها، إن هذا التوصيف لا نفترض بأنه يعني إن التكوينات التقليدية تنطوي على أو تخفي نزعة ديمقراطية، بل إن المقصود منه عدم إمكانية تجاهل العلاقة بين النظام السياسي والنظام الاجتماعي المدني، بمعنى ضرورة

<sup>10</sup> صافي الأسود، علم الاجتماع السياسي: أسسه وإبعاده، (بغداد، دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩١)، ص ٢٨١.

<sup>11</sup> قرّن مع: برهان غليون، المجتمع المدني في الوطن العربي: دور العوامل الداخلية والخارجية، ورقة قدمت إلى ندوة المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، (بيروت، م.د.ع، ١٩٩٢)، ص ٧٣٤-٧٣٥، ٧٤٨-٧٤٩.



تأكيد هذه العلاقة، مع التشديد على أن كل نظام سياسي لا ينجح في خلق فرص وإيجاد آليات لاحتواء تناقضات المجتمع المدني والعمل على تجاوزها أو السيطرة عليها ، يكون قد أخفق في إدراك مقومات استمراره ويمكن أن تتعاظم إشكالياته وتحدياته وتصبح شرعيته موضع تساؤل فيما أن يسقط فعليا، أو أن يتحول إلى نظام تعسفي قهري ويسقط في نظر مجتمعه. وتبدو الإشكالية في البيئة العربية متأثرة حسب تشخيص بعض المختصين من الباحثين، من عدم وجود مجتمع مدني متسق أساسا، فضلا على انقسام هذا المجتمع وتشتته بين نزوعين مختلفين ومتعارضين بشدة: الأول نحو الاندماج بالخارج والثقفي ينطلق من رد فعله على الضغط الخارجي، وينفع باتجاه العودة المستمرة نحو الماضي. بما في ذلك الدعوة للتمسك بالمؤسسات والتكوينات التقليدية.

إن رواج فكرة المجتمع المدني في البيئة العربية ونقد التمرکز والتمحور في العمل الوطني حول الدولة، كانت بحد ذاتها في مرحلة ما بعد مأسسة الدولة، تعد وتحسب من قبيل الأعمال الموجهة ضد سلطة الدولة الشمولية، وكان هاجس الدولة ينصب حول كيفية سد منافذ العمل السياسي العام، أي الذي يتخذ من تغيير السلطة أو حتى تعديل سلوكها منطلقا للتكثيرة وممارسته، بمعنى أن السلطات الحاكمة كانت قد نجحت في فرض حصار شامل على المجتمع وعلى كل مظاهر العمل السياسي، وهو ما دفع بالنخب المثقفة وبدافع من وعيها لازمة هذه العلاقة ولتدراك احتمالات تفاقمها، إلى العمل على إحياء وتشغيل البنى الاجتماعية المدنية ما تحت السياسة كوسيلة لتفعيل المجتمع وإعادة تكوين القوى التي يمكن أن تشارك لاحقا في العملية السياسية التغييرية، وكان الحافز وراء هذا السلوك وما يرتبط به من آليات تحرك وعمل، هو الاعتقاد بتوفير إمكانية للمراهنة على أن السلطات الحاكمة قد لا تشعر بالخطر الشديد على وضعها ووجودها عندما يتعلق الأمر بإحياء التنافس والصراع حول سلطات لامركزية نقابية أو دينية أو اجتماعية أو ثقافية، ومع ذلك فقد قاومت الدولة والسلطات المركزية الحاكمة فيما سبق كل محاولات التغيير التي راهنت على تفعيل عناصر القوة في المجتمع المدني.

وقد أظهرت عملية تحليل سوسيولوجيا البيئة العربية بوجه أعم أن مؤسسات المجتمع القديم قد فقدت الكثير من فاعليتها ومقوماتها الذاتية، وفي المقابل لم تظهر مؤسسات المجتمع المدني الحديث أي قدرة على أن تقوم بنفسها وتعمل باستقلال عن الدولة ومن دون حمايتها وكفالتها، وإذا كان يصعب على المجتمع المدني في البيئة العربية تكوين حركة مستقلة قوية وقائمة بذاتها نتيجة انعدام فرص الإجماع الممكن، فيبقى ثمة احتمال للتغاطر بين النخب المختلفة، لاسيما في ظل مطالبة واستجابة حقيقية لعملية تجديد جذري لمفهوم السلطة والسياسة وإصلاح عميق وحقيقي للدولة. ومعنى

ذلك إن عمليات إعادة تجديد المجتمع المدني بالعمق، أي على مستوى القيم والأخلاقيات والثقافة يجب أن تترافق اليوم بإستراتيجية تألفات كبرى لتغيير السلطة وتجديد بنى الدولة ومفهومها ووسائل عملها، وعلى ذلك فمن غير الممكن اليوم الاحتفاظ بدعم الجمهور والمجتمع المدني وكسب ثقته من قبل الانتخابات الجديدة الراجية في التغيير من دون طرح مشروع وطني منطقي وواقعي وعقلاني للإصلاح السياسي. فالحل لا يكمن إذاً في رفض للدولة ولا في المعارضة بين الدولة والمجتمع المدني، ولكن في تغيير الدولة ذاتها من الداخل، أي في تبديل نمط الإرادة التي تسييرها وتحويلها من إرادة خارجية، إلى إرادة داخلية، أي نابعة من المجتمع ذاته وتابعة له<sup>11</sup>. إذ لا يمكن الحديث عن مجتمع مدني فاعل ومتطور في إطار دولة ضعيفة وهشة وتسلطية وتابعة وناقصة أو فاقدة الشرعية، ومن ثم فإن عملية الإصلاح السياسي تتضمن قبل أي شيء بناء مؤسسات المجتمع المدني وفي الوقت نفسه إعادة بناء الدولة، بحيث تصبح دولة للمؤسسات والقانون، أي دولة ملتزمة بمجتمعها ومتفاعلة معه ومعبرة عنه وليست دولة غريبة وخارجة عنه.

## ٢- التحديات الخارجية:

لقد أسهمت التجديدات الاقتصادية والتقنية والعلمية التي عرفتها المجتمعات الأوروبية أولاً والتي تحققت تعميمها، في شكل أو آخر، على بقية أنحاء العالم عن طريق الرأسمالية وانتشار الاستعمار وغزوه الشامل العسكري ثم الاجتماعي والاقتصادي، في إحداث تغيير في نمط السياسة المدنية، وبشكل خاص في طبيعة العلاقة القائمة بين المجتمع المدني والدولة. ونتيجة ذلك تم تعميم نمط جديد من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى تغيير بنية المجتمع المدني وبرزت قوى اقتصادية واجتماعية جديدة، ولا يزال القسم الأكبر من مجتمعات العالم التي تعرضت إلى تحدي التغيير والتحول ومنها العديد من مجتمعات البيئة العربية يعاني من إشكاليات في العلاقة مع نظمها السياسية الأمر الذي كان باعثاً للتنافرات وعدم الاستقرار. ومما يزيد من الإشكالية ضعف قدرة هذه الأنظمة في مواجهة تيارات التغيير العالمي وتحدي الثورة الحضارية وتعاقب الإنجازات العلمية والتقنية وتأثيرات ثورة المعلومات وعالمية الاتصالات والتداول السريع والواسع للأفكار والمعلومات والقيم والمعاني والرموز الناجمة عنها، التي محور نشاطها وتفاعلها بيئة كونية لا تعترف بالحدود والمسافات، وبعبارة أخرى انفتاح الفرصة أمام توحيد المجال الكوني<sup>12</sup>، بيد أن ذلك لا يعني البتة

<sup>12</sup> المصدر نفسه، ص ٧٥١ - ٧٥٢.

<sup>13</sup> ينظر: المصدر نفسه، ص ٧٣٩ - ٧٤٠؛ وكذلك: نبيل علي، العرب وثورة المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٨٤، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٤)، ص ١٠٠ - ١٠٢. وكذلك: محمود علم الدين، ثورة المعلومات ووسائل الحصول والتأثيرات السياسية لتكنولوجيا

إمكانية التعامل أو الاستفادة بالقدر نفسه للجميع أو من قبل كل الأقطار والأوطان بل على العكس تماماً، إذ إن هذا الأمر قد أدى إلى تراجع مستمر ومتقادم في مقدرة بعض النظم السياسية أو الدول التابعة أو الضعيفة على مسايرة تغييرات المجتمع المدني والسيطرة عليها، أو بشكل أدق إمكانية التوافق والاتساق بين بنى المجتمع المدني والمجتمع السياسي أو الدولة. فتعاظم دور المدن وحجمها، وتقلص دور الريف وزيادة ارتباطه كما لم يحصل من قبل واندماجه رمزياً أو سياسياً أو مادياً بالمدينة، وتبدلت علاقات الجماعات داخل المدينة وفيما بينها، فانفتحت الأحياء المختلفة بعضها على بعض بعد أن كانت تشكل عوالم مستقلة ومنفصلة ومتنافسة أو معادية أحياناً. وازداد بشكل عام حجم التبادل والتواصل بين جميع السكان وأبناء المجتمع، وتعاظمت درجة الاندماج والتعارف بين جميع أجزاء البلد الواحد، وهو ما يعني نشوء بنية مدنية تنتج ظهور بنية وطنية لسلطة الدولة الوطنية<sup>١٤</sup>.

وهذا التغيير لا يمثل نقاؤاً مطلقاً بأن المجتمع المدني العربي قد أصبح مجتمعاً عصرياً، أي ينتج قيم العصر ويقوم عليها ويحققها معاً، وإن كان قد أصبح حديثاً. فالحداثة لا تعني هنا المعاصرة، بل نشوء أساليب تماثل في الشكل الأساليب العصرية في الاقتصاد والثقافة والمجتمع.

إن اعتبار المدنية هي الوحدة الأساسية وليس الدولة هو جزء من الاستراتيجية العالمية التي أصبحت أكثر وضوحاً وتبلوراً في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، فالبلدان التي سوف تنجح في تجاوز التقسيم التقليدي الماضي للدول والوصول ومن ثم إلى توحيد المجال أو الفضاء الثقافي والحضاري الذي يجمع بين شعوبها ويميزهم عن غيرهم هي التي سوف تحظى بالمكانة الأفضل في تقسيم العمل العالمي المتزايد وتضمن لنفسها أفضل الفرص لدفع عملية التنمية الحضارية في العقود القادمة من معايير المنافسة العالمية المنظورة. فالتبويل الراهن للعملية الحضارية أو ما يطلق عليه البعض عولمة الاقتصاد والعلاقات السياسية والثقافية عامة يعمل لا محالة على تطوير اتجاهين متناقضين:

الأول إيجابي، يتمثل بما تسهم به ثورة المعلومات والاتصالات من تقديم فرص التوحيد الفعلي للفضاءات الكبرى الثقافية التي كانت الومائل القديمة عاجزة عنها.

الاتصال: دراسة وصفية، السياسة الدولية، العدد ١٢٣، (القاهرة، مؤسسة الأهرام، كانون الثاني/يناير ١٩٩٦)، ص ١٠٥. وكذلك: عمر الجويلي، العلاقات الدولية في عصر المعلومات: مقدمة نظرية، السياسة الدولية، العدد ١٢٣، المصدر السابق، ص ٨٥-٩١.

<sup>١٤</sup> المصدر نفسه، ص ٧٤٠-٧٤١.

لما الاتجاه الثاني، فيقوم على تعميق تواصل النخب الحاكمة وغير الحاكمة بالنظام العالمي السائد وتمثلها قيمه، وانفصالها المتزايد عن شعوبها ومن ثم إمكانية تحويلها إلى أدوات لتطبيق السياسات الخارجية والأجنبية.

وهناك من يذهب بالتحليل إلى أقصاه، ويرى أن الدول الأوروبية والغرب عموماً تبذل جهداً متميزاً لتغيير عقلية وثقافة هذه النخب وجعلها تتخلل من ثقافتها وقيم شعوبها، ومن ثم إمكانية تحويلها إلى أدوات لتحقيق أهداف الغرب في بلدانها. وفي إطار السياق نفسه يتم العمل على تطوير استراتيجية واعية وشبه رسمية لتدمير عنصرين وقيمتين في مدن وبلدان الوطن العربي، وهما مفهوم الوحدة أو التضامن، ومبدأ إحياء الثقافة العربية والانتماء إلى حضارة الإسلام. إن مرد هذا التحليل تابع من تشخيص وتوصيف لذلك الجهد الذي تبذله دوائر الثقافة الغربية الرسمية وغير الرسمية لإظهار الإسلام بمثابة المصدر الأول لما يعيشه النظام العربي الراهن، السياسي والاقتصادي والأخلاقي من وهن وعيوب وعاهات، وإن جعل التحلي عن الإسلام هو شرط للتقدم أو التعامل السلمي والسليم مع الغرب، ما هو في واقع الأمر إلا جزءاً من استراتيجية الحرب الحضارية والمواجهة الشاملة، والتي تدرك أن السيطرة على الجماعات الكبرى أو منعها من التقدم يستدعي حل شخصيتها ودفعها إلى التحلي عن القيم الأخلاقية والرمزية التي تكون لحمتها العميقة .. لذا فإن الأمر يقتضي فهم قوانين العصر وسير أغوار ثورة المعلومات والاتصالات ليس كمتفائلين فقط وإنما كمتفائلين بمعنى الاستفادة القصوى من فرص التقدم التي تتيحها ثورة الاتصالات لصالح بناء الوطن العربي المستقل، وهو جوهر المجتمع المدني المعاصر.

ويبقى من الأهمية بمكان القول إنه لا مجتمع مدنيّ من دون نظام سياسي قادر على حماية هذا المجتمع من التخريب والاحتواء الخارجي، وإن بناء المجتمع المدني في الوطن العربي وتوافر أرادة الإصلاح السياسي والاجتماعي في كسل وحدة من وحدته (نوله) يتطلب بناء السياسة العربية فيما وراء سياسة الأقطار وبما يمكن من تجاوزها ولجمع بينها في الوقت نفسه، أي بناء الجماعة العربية أي التأسيس لمجتمع مدني عربي له القدرة على مقاومة تحديات الآخرين، ويتفاعل مع الآخرين من موقع مؤثر، والأمر هنا يعكس علاقة تجمع أفراد متعددين ومؤسسات متماثلة ومندمجة لإقامة علاقة مع الخارج وللعالم تعبر عن أهداف وتطلعات ومصالح واحدة، فالمشكلة ليست سياسية ولا مدنية حصراً، وإنما هي جيو-سياسية، أي بناء استراتيجية المدنية العربية، كحاصل جمع وتفاعل الشعوب والدول والأقطار في المواجهة الحضارية<sup>١٥</sup>.

## ثانياً: الضغوط والدوافع

لا شك إن الحديث المتجدد عن التحول نحو الديمقراطية في الوطن العربي بعدما حدث في الأعوام القليلة الماضية من تحولات ، بشكل مؤشراً لا يخطئ على عمق المشاعر الشعبية المراهنة على هذا التحول في اتجاه الديمقراطية والتنمية بالحريات السياسية ، وذلك مهما كانت طبيعة النيات الكامنة خلف هذه التحولات، والنظم والسياسات المباشرة التي نبتت منها، والصعوبات التي تولجها. وإذا كانت الديمقراطية في البيئة العربية لم تحقق بعد تقدماً يذكر على مستوى الممارسة العملية، وما زالت لتجارب القائمة تحتاج إلى مزيد من الوقت حتى تبلور طريقها وتثبت جدارتها، فإنها حققت على صعيد الوعي قفزة هائلة دون شك، والدليل الذي يمكن أن يؤكد ذلك هو أن أحداً لا يستطيع اليوم أن يدافع كما كان الأمر في السابق، عن نظام السلطة المطلقة أو قيمها، لا باسم للتنمية ولا باسم الأمن القومي، وأصبح هناك ميل قوي وإيجابي عند معظم المفكرين العرب وحتى بعض النخبات العربية، إلى الربط بين التنمية والتحرير من جهة، والديمقراطية وحقوق الإنسان والمشاركة الشعبية من جهة أخرى. ولم يعد المراقب بحاجة إلى نظر ثاقب حتى يدرك أن نظام الاستئثار القائم على سياسة القوى قد استنفد إغراضه، وفقد شرعيته، ويكاد ينهار من تلقاء نفسه تحت وطأة تضالول قدرته على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية في آن معاً<sup>١٦</sup>.

إن الحديث عن عصر الديمقراطية العربية، لا يعني إنها قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من حيث توفر الشروط الذاتية والموضوعية لتحقيقها، ولكنه يشير إلى انهيار المشروع التاريخي لنظام الحزب الواحد، وهذا يعني إنها وإن أصبحت قريبة من حيث الإمكانية التاريخية والفكرة الشعائرية، فهي مازالت بعيدة، وما زال هناك الكثير مما ينبغي عمله قبل أن يترسخ المسير في اتجاهها، وضمان ألا يكون الإصلاح والانفتاح السياسي مدخلاً إلى مزيد من الانهيار الاقتصادي، وانعدام الإرادة والقدرة التنموية، أو أن تكون التعددية مدخلاً إلى مزيد من الفوضى والتمزق، ومن ثم إلى تعميق للتبعية السياسية، وفي ما بعد الارتداد<sup>١٧</sup>.

<sup>١٦</sup> لمزيد من التفصيل ينظر: برهان غليون، الديمقراطية العربية، جنور الأزمة وآفاق النمو، في (مجموعة مؤلفين) حول الخيار الديمقراطي: دراسة نقدية، (بيروت، م.د.ع، ١٩٩٤)، ص ١١٣-١٢٥.

<sup>١٧</sup> المصدر نفسه، ص ١١٣.

وليس من الممكن للديمقراطية أن تصبح هدفاً مشروعاً للعمل السياسي الجماعي، أي ميدان استثمار حقيقي في البيئة الاجتماعية العربية، إلا عند تحقق لمرين<sup>١٨</sup>:

أولهما: تضمّن لواقع العرب الموضوعي، أو ظروفهم الموضوعية، بصرف النظر عن العوامل المؤثرة فيها، دلخية كانت لم خارجية، فكرية لم مادية، الحد الأدنى من العناصر والإمكانات التاريخية، التي لا يمكن من دونها الحديث عن الدخول في تجربة ديمقراطية.

وثانيهما: سيطرة الوعي السياسي العربي على منطق هذه الظروف الموضوعية، ولتمتلكه من الرؤى والمصادر المعنوية المحفزة، والنظريات المنيرة ما يجعله قادراً على بناء مسيرة سياسية متسقة، قوية ومستمرة، تجسد النضال التاريخي من أجل الديمقراطية وتبديل قيم ونظم الممارسة السياسية فيه. ولعل ما يمكن عدها أبرز الضغوط والمعوغات باتجاه الشروع بإصلاحات سياسية في البيئة العربية تتمثل في هذه المرحلة بتحديات النظام العالمي الجديد وضغوط آلياته، ودوافع القيم والمواطنة، ودور القوى الاجتماعية الجديدة:

#### ١- تحديات النظام العالمي الجديد:

تتضمن ظروف وحالات وآليات النظام العالمي الجديد (ولو ظاهرياً) الحث على احترام حقوق الإنسان ودفع المجتمعات المتأخرة إلى ولوج طريق الديمقراطية لذا فإنها تبدو أولى الحوافز التي تشجع على التحولات الديمقراطية في البيئة العربية كما هو الحال في غيرها من البلدان.

وفيما يتعلق بالوطن العربي أو البيئة العربية التي نحن بصدد الحديث عنها فهناك جانب من التحليل السوسيولوجي يرى بأن النظام العالمي الجديد الذي يخضع حتى الآن، ولفترة غير منظورة، للتحالف الغربي الذي تبلور في مرحلة ما بعد الحرب الباردة كما لم يتبلور من قبل، لا يشكل عاملاً موضوعياً للتحول الديمقراطي في الوطن العربي، بل يمكن أن يكون عاملاً مثبطاً، بدعوى إن المقصود من التحول الديمقراطي هو العنصر الرئيسي في لفكرة الديمقراطية، أي القبول بأن تصدر السياسة والسلطة عن الأغلبية الشعبية المعبر عنها من خلال الاقتراع العام، لا أن تكون ثمرة مشاورات وتسويات ضيقة، تجري بين النخب أو القيادات المحدودة المدنية والعسكرية أو ثمرة التسلط واستخدام القوة، سواء غطت على هذه القوة وجهات تمثيلية شكلية، أو بقيت من دون تغطية شكلية، وهذا هو جوهر الصراع السياسي الراهن من حول الديمقراطية. وتجدر الإشارة إلى إن بناء السلطة والعلاقات السياسية العامة على

مبدأ إرادة الأغلبية الشعبية لا يتفق فيما يتعلق بالبيئة العربية ومصالح القوى المسيطرة والمهيمنة على النظام العالمي الجديد والبيئة للدولية، بل إن المصلحة الراهنة والمنظورة لهذه القوى تحتم عليها منع هذه الإرادة من التعبير عن نفسها، وذلك لتعارض مصالح هذه القوى في جوهرها مع مبدأ صدور السلطة السياسية عن الإرادة الشعبية في البيئة العربية. ولا يعني هذا بالضرورة، أن ليس من مصلحة القوى المهيمنة على النظام العالمي الجديد إيجاد بعض التعديلات الشكلية في طبيعة وسياسات النظم الحاكمة في البلدان العربية، إذ أن لهذه القوى مصلحة كبرى في تحسين مظهر معظم هذه النظم ومحاولة إباسها أكثر ما يمكن لباساً خارجياً مشابهاً للنظم الديمقراطية، لكي تعطى هذه القوى لنفسها شكل السيطرة للشرعية والإنسانية حتى تغطي على حقيقتها الفعلية وأهدافها الجوهرية<sup>19</sup>.

#### ٢- دوافع القيم والمواطنة:

إن المواطنة هي التمتع بالحرية السياسية، وبحق المشاركة من مستوى الندية، والمساواة في تقرير مصير الجماعة الإنسانية، ولا وجود لحرية سياسية دون وجود علاقة وطنية، واندماج سياسي في الجماعة. فالسعي للحرية، وإلى بناء قيم المواطنة كإطار للاندماج والمشاركة الجماعية، وتحمل المسؤولية الجماعية، تمثل بمجملها حوافز التغيير الرئيسية اليوم في منظومات قيم المجتمعات العربية، التي لا بد من الرهان عليها في بناء الديمقراطية كإطار لعلاقة اجتماعية جديدة، مؤسسة على الاعتراف الفعلي بالمواطنة بدلاً عن القبيلة والعشيرة والفرقة والطائفة.

لقد عانى المواطن في البيئة العربية وتعب من حمل الهويات التاريخية الجزئية الطائفية والقبلية والعشائرية والجهوية والمناطقية كما عانى من حالة العطالة واللامسؤولية والتبعية للغير والسلبية واللافاعلية، وعلى ذلك فقد أصبح العمل من أجل الحرية والتماهيات المدنية والسياسية، يساوي العمل من أجل بناء المصادقية الذاتية وتأسيس الفاعلية، بمعنى احترام الذات والنظر إلى النفس كمستودع لقيم إيجابية<sup>20</sup>، ولعل هذا النزوع نحو بناء وطنية حقيقية قائمة على تأسيس علاقات تضامن واعتراف متبادل وتعاون شامل كفيل بتأمين قدر من المناعة والحصانة إزاء الشعارات والتحديات الخارجية أو التبعة السياسية المحلية، إذا هو الحافز لتسامي الدافعية للإصلاح والتحول الديمقراطي فمضائر البلدان والشعوب والأمم تقررهما للعوامل

<sup>19</sup> المصدر نفسه، ص ١١٨.

<sup>20</sup> المصدر نفسه، ص ١٢٠-١٢١.

الداخلية في المقام الأول، وأنه ما لم تتضح شروط التحول الديمقراطي ذاتياً لن يكون في وسع أية جرة خارجية أن تقفل شيئاً<sup>٢١</sup>.

### ٣- القوى الاجتماعية الجديدة:

لم يعد من الممكن الحديث عن الإصلاح والتحول نحو الديمقراطية، دون تحديد القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة الحقيقية في الإصلاح، وتكون حياتها وفكرها وقيمها منسقة وفي سياق مشروع الديمقراطية ومكرسة لعملية الإصلاح والتحول الديمقراطي. ولعل للقسم الأكبر من المشكلات التي ينبغي على مشروع الإصلاح في البيئة العربية مواجهتها حتى يتسنى له أن يترسخ، تتبع من هذا المسار الذي يعكس بالفعل حقيقة أساسية هي إن هذا التوجه الجديد قد جاء نتيجة قناعة ونضج عام يقدر ما جاء حلاً جانبياً أو تعويضاً لمشاكل اقتصادية وأمنية وسياسية قد وجد لها الحل. وعلى هذا فإن التوافق بين مطلب للديمقراطية وشعارها مع مطلب الإصلاح وشعاره، بل تطابق المطلبين وشعاريهما، يكاد يعطي الانطباع بأن الوطن العربي قد كسب نهائياً لصالح الفكرة الديمقراطية، بيد أن تعدد القوى الاجتماعية وتنوع الأهداف والمطالب السياسية والاقتصادية والعقائدية، يقدر ما يوحي بتوفر المناخ الديمقراطي، يمكن أن يسهم في ضعف الحركة الديمقراطية ويفضّي الشعار الديمقراطي من مضمونه الحقيقي، وذلك لكونه يجمع معظم المصالح والمضامين الشعبية والوسطى، فصبير الديمقراطية على الرغم من المناخ الديمقراطي، يتوقف على النجاح في إيجاد تسوية ثابتة وتاريخية، بين الطبقة الوسطى المتعددة المواقع والبصايات الدينية والاجتماعية من جهة والنخب المرتبطة بالطبقات الشعبية، التي تسعى إلى الخروج من عزلتها وهامشيتها أو تهيمشها من جهة ثانية<sup>٢٢</sup>. وإن ما ينبغي مراعاته هو أن حداثة أسرع من اللزوم يمكن أن تحول المجتمع إلى حقل مغلق بداخله تتبثق قوى اجتماعية مباشرة مسببة بشراسة وتتصارع وواعية جداً بحدّة تناقضاتها، راديكالية التماثل أو الانسجام أو الصراع وهذه تعيق المساعي الرامية إلى إقامة حد أدنى من النظام ومتابعة إنجاز مشروع الإصلاح والحدّثة<sup>٢٣</sup>.

<sup>٢١</sup> عبدالله بلقزيز، في الديمقراطية والمجتمع المدني: مراثي الواقع، مدائح الأسطورة، (بيروت، إفريقيا الشرق، ٢٠٠١)، ص ١٠٦.

<sup>٢٢</sup> برهان غليون، المصدر السابق، ص ١٢٣.

<sup>٢٣</sup> بيتراند بلدي، التنمية السياسية في الوطن العربي، ترجمة محمد نوري المهدي، (طرابلس، تالة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١)، ص ٨٩-٩٠.



## ثالثاً: المقومات والحوافز

## ١- المقومات الاقتصادية والاجتماعية:

تمثل معالجة الأزمة الاقتصادية ، وما يرتبط بها من تقلص فرص التنمية المخططة والسريعة العامل الأهم من بين الإصلاحات الأساسية التي لابد من تحقيقها أو البدء بها حتى يمكن تمهيد الطريق أمام التحولات السياسية الديمقراطية وجعل الاختيار الديمقراطي هدفاً ممكنًا وراثنا حقيقياً، أي ينطوي على مصالح ومنافع، بالنسبة إلى جميع الطبقات الاجتماعية. وينصرف معنى استمرار الأزمة الاقتصادية إلى ازدياد التفاوت في المدخل، ومن ثم ازدياد حدة للتوترات الاجتماعية، وانكماش هامش المبادرة السياسية لدى السلطة السياسية مهما كانت. كما يعني تفاقم مشكلة الفقر، والتميش المتزايد للأغلبية الاجتماعية، والاستبعاد والإقصاء من الحياة العامة بما فيها الحياة السياسية للملايين من البشر، وعلى ذلك فإن الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، والتخفيف من التفاوت بين الطبقات ومن التبذير وهدر الإمكانيات والموارد، ودعم عملية التنمية بجميع الوسائل، تشكل للشرط الأول والمهمة الأساسية وكذلك المؤشر الفعلي، لأي مقارنة جدية للديمقراطية في المجتمعات العربية. ولا يقل أهمية عن ذلك للعمل على مواكبة الديمقراطية بإصلاحات اجتماعية جديدة وعاجلة تخفف من الضغط الاجتماعي، والتفاوت في المدخل، وتقاوم البطالة، وانعدام الأمل واليأس من المستقبل عند الأجيال الشابة. لذا فإن الموضوع الأساسي للمجتمع هو تأمين الشروط الأساسية للحياة، المادية أولاً والمعنوية ثانياً<sup>24</sup>. وذلك لأن التنمية الاقتصادية أو ما يطلق عليه مفهوم (التحديث) سوف تقضي حتماً إلى التنمية الاجتماعية والسياسية والتقدم العلمي والثقافي<sup>25</sup>.

وفي المعنى ذاته فإن الدعوة إلى الديمقراطية والمشاركة السياسية لا يمكن أن تستقل عن الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، وكلتاها تمثلان وجهين لعملية تغيير اجتماعي سياسي، فكما إن الإصلاح الاجتماعي والسياسي هو شرط ترسيخ الديمقراطية ونجاحها، يشكل احترام الإنسان وتقدير قدراته على المبادرة والبطء والتضامن الطوعي والاعتزاز القومي، وهو ما يبعثه نظام الحرية، شرطاً مماثلاً لدفع عملية التنمية والتقدم الاجتماعي والمادي.

## ٢- اختواء مظاهر التوتر والإرهاب في البيئة الاجتماعية:

<sup>24</sup> برهان غليون، المصدر السابق، ص ١٤٠-١٤١-١٤٢.

<sup>25</sup> نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة : دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، ط٢، (الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢)، ص ٣٠٥.

هذه المظاهر غير متأصلة في البيئة الاجتماعية العربية، وقد بدلت تطفو من فترة قريبة جداً وأصبحت تحتاج إلى معالجة خاصة حتى يمكن استعادة الأمل بالتحول الديمقراطي المطلوب، ويرى جانب من التحليل الموسيولوجي بأن مظاهر التطرف والإرهاب نشأت في سياق العمل على إجهاض عملية التحول هذه ونتيجة لإخفاقها. وفي حالة ترافق مظاهر العنف مع أزمة اقتصادية واجتماعية ومياسية، فإن سلطة القانون لا توقفه وقمع السلطة يمكن أن يساعده على تطوير ذاته تنظيمياً وعقائدياً، وإذا كان من الصعب بل المستحيل على الحركات المتطرفة والإرهابية أن تصل إلى السلطة بسبب عدم قبولها اجتماعياً والخوف الذي تثيره ممارساتها، إلا أنها تظل تتجاوز على هبة السلطات الحاكمة، وتعيق قيام سلطة مرهوبة.

إن إلغاء دوافع التطرف، هو الذي ينبغي أن يكون الهدف الواقعي والممكن للسياسة الراهنة في الوطن العربي، الأمر الذي يقتضي عمليتين متزامنتين: تطوير المشاركة السياسية الفعلية في المسؤولية الوطنية، ومحاربة التفاوت الصارخ في مستويات المعيشة وأنماط الاستهلاك بحيث يمكن إعادة بناء روح التضامن الوطني والاجتماعي وتحقيق الاندماج التدريجي، حتى لا يبقى في المجتمع من يشعر بأنه غريب في بلده، أو محروم كلياً من ثمرات جهده<sup>٢٦</sup>. وهذا يمثل أحد الضمانات لإشاعة الاستقرار السياسي، وترسيخ الأمن الاجتماعي إلى جانب الشعور بالكرامة وبعث الروح الوطنية وهي مستلزمات أساسية لمواجهة قضايا الأمن الوطني والقومي والاستعداد للدخول في العصر الجديد. ذلك أن الاستقرار السياسي وسيادة النزعة السلمية وعقلية الحوار والتفاوض المنني، وكلها من أسس الديمقراطية والإصلاح مرتبطة في النظم السياسية بشكل أساس وجذري بانخفاض شدة التوترات والتناقضات والإشكالات التي يعرفها المجتمع.

### ٣- السيطرة على احتمالات الفوضى والانقسام:

تبرز في التحليل السياسي والاجتماعي ثمة مخاوف إزاء التطبيق العملي للتعديدية السياسية، تتمثل في احتمالات أن تقود الديمقراطية والمشاركة الفعلية والواسعة لكل القوى السياسية، إلى الفوضى، وأن تؤدي هذه الفوضى إلى انفجار النزاعات الطائفية أو إلى تسلّم القوى غير الديمقراطية الحكم... وعلى الرغم من أن هناك جزءاً كبيراً من المبالغة في هذه المخاوف، قد يكون مبعثها سعي النخب القائمة في الحكم إلى تضخيم المخاطر الناجمة عن الانفتاح في سبيل التمديد لنفسها وتبرير تجميد الأوضاع، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود مثل هذه المخاطر في بعض الدول العربية. وهذه المخاوف في أحيان كثيرة تمثل دوافع إما واقعية أو مفتعلة، لمنع جزء كبير من

النخبة داخل السلطة أو خارجها، من التسليم الجدي بالخيار الديمقراطي وسيلة للحكم وتداول السلطة<sup>٢٧</sup>.

- ولعل ما يثير القلق ويستوجب التنبيه له بدقة في هذا الصدد يتمثل في الآتي:
- أ- طغيان العفانيات والمذهبيات، وتضييق دائرة حرية التعبير إلى أقصى حد، مما قد يؤدي إلى عدم تمتع المجتمعات بالنضج السياسي الكافي الذي يحصن الفرد من الرود العاطفية ويصونه من التأثير السريع بالدعوات الجزئية وغير الوطنية.
  - ب- افتقار المجتمعات إلى الهياكل والبنى الحزبية والمهنية والفكرية القوية التي تستطيع أن توظرها وتنظمها وتنسق نشاطها وتعقلن ممارستها، وتجعلها أقدر على إنضاج ردود أفعال عقلانية ومتأسكة ومفكر بها.
  - ج- غياب التفاهم والحد الأدنى من الإجماع الوطني بين النخبات الاجتماعية المختلفة، بسبب المناهضات والصراعات والأحقاد المنبعثة من سياسات الاستبعاد والتمييز للبعض، وإستزلام البعض الآخر، وتدمير البعض الثالث<sup>٢٨</sup>. الأمر الذي يعيق إمكانيات التفاهم والاتفاق .
  - د- تنامي مدركات احتواء الأزمات:

ليس من شك بأن الانفتاح يزيد من فرص التدخل الخارجي، وفاعلية التجمعات والتنظيمات النشطة أو (المتعصبة)، وفي السياسة ليس هناك ضمانات قانونية أو سياسية سوى صحة السياسة المتبعة ذاتها وملاءمتها الأهداف المطلوب تحقيقها ... وكى لا يستغل الانفتاح والتحول الديمقراطي ثمة مداخل يمكن أن تقدم إطاراً لاحتواء مظاهر الأزمات المحتملة<sup>٢٩</sup>:

**المدخل الأول:** ويقوم على بلورة سياسة الانتقال السلمي، والمتحكم به، من خلال التأثير في الرأي العام والنخبات الاجتماعية، لحملها على التفكير بمنطق المستقبل وتجاوز الماضي، والتغلب على مشاعر العنف الداخلي والشعور بالتعرض للتعسف، والمهم في هذا المدخل إن لا تكون النخبات الاجتماعية المتنافسة في تفكيرها وردود أفعالها حبسية الماضي وما تركه من آثار، ولا يتم ذلك إلا بالارتقاء بأفق التفكير نحو المستقبل. فليس هناك أفضل من الديمقراطية لخلق إطار مصالحة وطنية تخرج أطراف المجتمع من مخاوفها المتبادلة.

**المدخل الثاني:** وينطلق من مبدأ إن السياسة السليمة تقوم على تطبيق مبدأ الصدق، بمعنى الجرأة في الاعتراف بالفشل ومواجهة الواقع، إذ ليس هناك إصلاح

<sup>27</sup> المصدر نفسه، ص ١٥٠.

<sup>28</sup> المصدر نفسه، ص ١٥٤-١٥٥.

<sup>29</sup> المصدر نفسه، ص ١٥٦-١٦٢.

حقيقي للعلاقة مع البيئة الاجتماعية والرأي العام دون كسب ثقة الناس وإقناعهم بالتغيير من جهة، وإيمانهم بصدق النوايا من جهة أخرى. وفي جميع الأحوال، الأفضل هو أن يفكر الناس علناً بالمشاكل، ويجبروا عن أنفسهم وخلافاتهم بالكلام من أن يحققوها بالسلاح. وإن ما يمكن أن يقدمه مشروع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي من فوائد وإغراءات للبيئة الاجتماعية تجعل الشعب والنخب الاجتماعية تشعر بأن ما تجنيه من التسمية الجديدة في إطار انتقال ديمقراطي وسلمي، أكثر مما تجنيه من التمرد على الدولة والثورة على النظام لو من التناحر الفتوي.

**المدخل الثالث:** يركز هذا المدخل على إعادة البناء السياسي للبيئة الاجتماعية، بمعنى إنشاء وتكوين المؤسسات والهيكل الحديثة المؤطرة والمنظمة والمعتقة حركته وسلوكه، بما في ذلك خلق الشروط الملائمة لنمو الهياكل النقابية والحزبية المستقلة. التي يمكن أن تستوعب الاحتجاج والاعتراض والاختلاف والرأي الآخر، على أسس سياسية وأرضيات عقائدية صريحة وعقلانية، ومن ثم تطوير الهيكلية الجديدة للمجتمع. وينبع من ذلك احترام الآراء المختلفة للجماعات والمجموعات السياسية وغير السياسية، وإطلاق حرياتها، والتركيز على مساهماتها الإيجابية.

**المدخل الرابع:** يتمثل في إعادة التوازنات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بمعنى التمسك بمبدأ العدل والنزاهة والمساواة الفعلية بين الناس، والكف عن كل أشكال التمييز والحظوة والعصبية والقبلية أو الطائفية. ولكنها تعني أيضاً رفع وصاية الدولة عن العقيدة، باستثناء تلك التي تكون جوهر رسالتها، أي الالتزام بالمصلحة العامة والدفاع عن فكرة الصالح العام، ويعني العدل إعادة التوازن داخل النخبة الاجتماعية، بين أطرافها المثقفة والسياسية والإدارية والعسكرية.

**المدخل الخامس:** يتمثل في إدراك حقيقة أن السياسة أو الإصلاح السياسي هو قبل كل شيء التفاهم والتفاوض مع القوى الواقعية الموجودة والوصول معها إلى التسويات المؤقتة أو البعيدة المدى التي تساعد على تحقيق الأهداف المحددة، وهذا يعني أيضاً أن تكون هذه الأهداف واضحة بنقطة للجميع ومقبولة بل إن الديمقراطية لا تعني في العمق سوى افتتاح عصر المفاوضات العامة هذه داخل المجتمعات العربية، وبصدد كل المشكلات التي لم تجد الحل المناسب لها، وليس من المعقول القبول بقاعدة المفاوضات على المستوى الدولي بصدد المشكلات الوطنية والقومية، ورفض تطبيق المبدأ نفسه على مستوى الشعب الواحد. كما ينبغي إدراك أن الديمقراطية ليست الحل السحري دائماً، إن ما تستطيع أن تقدمه هو إطار شرعي وعملي وسلمي لموجهة

المشاكل، وإيجاد أفضل الشروط لبلورة حلول عقلانية لها . إن الديمقراطية لاتحل تلقائياً مسألة الصراع العقائدي ولا التناحر بين الطوائف، ولا التفاوت في مستويات الدخل والمعيشة، وضمانة الأتقلت الأمور من أيدي الحكم الديمقراطي كاتمنة في قدرته على أن يستفيد من مناخ الديمقراطية وأطرها القانونية والسلمية، لتحقيق تسويات اجتماعية وسياسية جديدة ومعبرة عن مصالح الجماعات بالعدل، وليس في الاستسلام أو التسليم بأن ذلك سوف يحدث من تلقاء نفسه.

### المبحث الثالث

#### المشاهد المستقبلية للإصلاح في الوطن العربي

لاشك أن المجتمع المدني يخترق الدولة عن طريق المجلس التشريعي بغض النظر عن أسلوب انتخابه، وعن طريق الرأي العام وما تعبر أو تفصح عنه من وسائل، وعن طريق المطالبة بفرض الشفافية أو العلنية، كما أن الدولة تخترق المجتمع المدني عن طريق السلطة العامة وأجهزة الدولة ومؤسساتها التنفيذية ووحداتها القرارية<sup>30</sup>.

هذا التداخل والاندماج الوظيفي لا ينفي وجود فجوة بين المجتمع المدني والدولة في الوطن العربي تصل بينهما أحياناً إلى درجة القطيعة وبخولهما في بعض وحدات هذا الفضاء إلى درجة المواجهة العنيفة لذا سوف نحاول استشراف مشاهد الإصلاح السياسي في الوطن العربي من خلال تسليط الضوء على طبيعة هذه العلاقة وتطوراتها:

#### المشهد الأول: عدم الاستجابة للإصلاح

يمثل هذا المشهد تعبيراً عن حالة استمرار لطبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع منذ نشوء الوحدات أو الدول في الوطن العربي، أو بمعنى أقرب للدقة ترجمة للوضع الراهن الذي يحفل بجو الأزمة اقتصادياً وسياسياً مع سيادة نزعة التسلط والهيمنة وتصف الأجهزة وبيروقراطية المؤسسات على حساب بناء الدولة والمجتمع. وعلى ذلك فإن هذا المشهد يعكس بقاء النظام السياسي والسلطة الحاكمة في مواجهة مع حالة من عدم الرضا والانتكاش الاجتماعي والاقتصاد للقناعة والتأييد الشعبي وهذا النمط من المواجهة ينطوي على مظاهر من أزمة الشرعية ومظاهر من أزمة المشاركة، وغالباً

<sup>30</sup> عزمي بشارة، المجتمع المدني: دراسة نظرية مع إشارة للمجتمع المدني العربي، ط٢ (بيروت، م . د.و.ع، ٢٠٠٠)، ص ١٥٠.

تكون نزيعة الملطة وربما قناعتها منطلقاً من كونها الوحيدة التي تمتلك المبادرة الوطنية وشمولية الإحساس بالتحديات الأمنية وتقع على عاتقها مهمة المحافظة على الوحدة الكيانية وتعزيز مقومات الأمن الوطني وقيادة عملية التنمية والتحديث. هذا المشهد يعبر عن نفسه من خلال الكثير من للمواقف والمظاهر، ويفضي إلى عدة نتائج:

#### ١- المواقف والمظاهر:

أ- تردد النظم السياسية والسلطات الحاكمة عن الاستجابة لدعوات الإصلاح السياسي والاجتماعي، أما تعبيراً عن واقع خشيتها مما قد تنطوي عليه هذه الدعوات من تأثر هيمنتها أو فقدانها جوانب مهمة من أدوارها وصلاحياتها ومزاياها أو سلطتها، أو بسبب عدم استطاعتها القيام بعمليات إصلاح حقيقية وجذرية، الأمر الذي قد يدفعها إلى التصرّيح بالرغبة أو القيام بإجراءات شكلية ومسيطر عليها سلطويًا في سياق ما قد يفهم منه أنه المضي تدريجياً في طريق الإصلاح، إلى جانب المحافظة على توجه خفي لسياسة احترازية وتحصينية تنطوي على التحكم بكل العملية الاجتماعية بدءاً من المسائل الاقتصادية وانتهاءً بالتكوين العقدي والثقافة، مروراً بوضع معايير الترتاب الاجتماعي ونظمه<sup>٣١</sup>. فضلاً على ممارسة إجراءات أكثر عنفاً لضبط التيارات والقوى السياسية .

ب- تتميز الدولة كمؤسسة - في إطار هذا المشهد - بالتنظيم والمركزية وتفاقم البيروقراطية في التوجيه والإدارة، ومن سماتها هنا إنها تعمل على دولنة المجتمع سواء في سياق عسكريته أو تنقيفه إعلامياً وتعبئته وتهينته ذهنياً إلى مواجهة أعداء خارجيين قائمين ومحتملين لتبرير بعض مظاهر وسياسات الطوارئ والقيام بعدد من السياسات الضبطية والاحترازية، وبعبارة أخرى، لقد وسعت الدولة أغراضها ووظائفها وقواها وأجهزتها، إلى حد جعلها غاية في المركزية والشمولية، ونتج عن ذلك إن العلاقة بين الدولة والمجتمع قد شهدت نوعاً من التحييد أو الاحتواء أو التصعيد للدراماتيكي وممارسة العنف إزاء فئات المعارضة السياسية<sup>٣٢</sup>.

ج- تباين الدول العربية من حيث طبيعة نظمها السياسية ودرجة تطورها أو تقنين سياساتها، فالبعض منها لا تزال في المراحل الأولى من تطورها السياسي

<sup>٣١</sup> برهان غليون، المحنة العربية: الدولة ضد الأمة، ط٢ (بيروت، م.د.ع، ١٩٩٤)، ص ٣٠٠ وما بعدها .

<sup>٣٢</sup> ثناء فؤاد عبد الله، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي، (بيروت، م.د.ع، ١٩٩٧)، ص ٢٨٦ وما بعدها.

الحديث وأصبحت ترسم الخطى في طريق الإصلاح السياسي والاجتماعي وإطلاق العنان لمؤسسات المجتمع المدني شكلاً أو مضموناً أو كلاهما. وبعضها لازال يتردد في قبول المقومات الأساسية للحياة السياسية فلم تحفل ببيئته الاجتماعية السياسية بتوافر الأحزاب والنقابات، وقد تمتد جهود بعض نظم الحكم لمنع أو تضيق فرص قيام قوى سياسية واجتماعية مستقلة عن الدولة معبرة عن مصالح فئات الشعب المختلفة.

د- في مقابل تردد النظم السياسية عن توسيع فسحة الديمقراطية والمشاركة والسماح لمؤسسات المجتمع المدني في التنامي، ولجوء أجهزة السلطة للعنف وعدم الاستجابة لدعوات الإصلاح، يمكن أن تنقش ظاهرة اللامبالاة السياسية بمعنى بروز مستويات من الاغتراب السياسي على الصعيدين المجتمعي والفردى وفي ظل سيادة بعض المظاهر الاجتماعية مثل تخلف مستوى المعرفة والتبانيات الاجتماعية وظاهرة الأمية يمكن أن ينطوي الاغتراب على نزعات سلوكية، كالاغترال عن الحراك السياسي والاجتماعي، وحصر الاهتمام في إطار المصالح الشخصية، وهو ما قد يؤدي بالنتيجة إلى شيوع مظاهر تعبر عن عدم الانتماء الوطني، أو تتجاوز الانتماء الوطني إلى حالة من الانتماء الكوني.

هـ- إن الكثير من المؤشرات التي تؤكد بطء عملية نضج المجتمع المدني في الوطن العربي ترجع بعض أسباب ذلك إلى الوضع الاقتصادي في عموم البيئة العربية الذي لم تقض آلياته الذاتية إلى ما يكفي من البنى والمؤسسات التي تضفي على المجتمع الطابع المدني وتجعل الديمقراطية ومهمة الإصلاح اختياراً يفرض نفسه ليس فقط كهدف اجتماعي يتفاعل مع رغبات الناس وطموحاتهم بل أيضاً بقوة الأشياء ذاتها، قوة الواقع المؤسساتي المتنامي.

و- إشكالية المأسسة لازالت تمثل الطابع الذي تنتم به العملية السياسية الجارية في ظل الكثير من الأنظمة السياسية في الوطن العربي، كما إن عمليات بناء المؤسسات ولاسيما السياسية منها والتي تمثل أحد مقومات الإصلاح السياسي وتوسيع فسحة الديمقراطية تصادف عدة عقبات، منها على سبيل المثال لا الحصر تردد طيف واسع من القيادات السياسية في الإقدام على بناء المؤسسات، لأنها ترى إن بعض هذه المؤسسات يمكن أن تصبح قيماً على حركتها وتحد من قدرتها على المناورة أو دورها في صنع القرارات السياسية. وكذلك التعثر في إن بناء المؤسسات يتطلب كثيراً من التخطيط والجهود

والوقت، كي تكسب الشرعية السياسية وتتضح وظائفها وأدوارها وعلاقتها بالمؤسسات الأخرى.<sup>٣٣</sup>

ز- إن القوانين في كثير من الدول العربية وفي كثير من الحالات تأتي تعبيراً عن إرادة الحكام، فضلاً على كونهم يتمتعون بسلطات فعلية أكبر من تلك التي تنتجها لهم الأطر القانونية التي يعملون في ظلها.<sup>٣٤</sup> وعلى ذلك فإن بعض هذه الدول وعلى اختلاف أنظمتها الدستورية وتوجهاتها السياسية تتضمن جملة من السمات الرافضة في إطار نمط ألياتها، السماح بتطوير أدوار المجتمع المدني، وغالباً تكون عملية شغل المواقع القيادية معتمدة على قاعدة التزكية التي تتيح فرصاً واسعة لأهل الولاء على حساب أهل الكفاءة، مما يسهم في تهميش أو مغادرة الكفاءات وفي مرحلة ما يكون حتى المستشارين وخبراء السلطة ممن يفتقرون إلى الكفاءة ويغلبون عليها مجارة الحاكم ومجاملة توجهاته وتسويغ قراراته. وفضلاً على ذلك فإن المجالس النيابية والانتخابات (إن وجدت) تحاط بفعاليتها بهالة إعلامية واسعة وفي الغالب توظف في إطار تزكية القرارات المتخذة من السلطة الحاكمة، وبدلاً من أن تحاسب الحكومات على قصورها وإخفاقاتها تقوم بتجميل سياساتها ومواقفها وتلمس لها السبل لتخفيف الضغوط عليها.

ح- ضعف وهشاشة مؤسسة الدولة على الرغم من احتكارها سلطة التشريع والتنفيذ وإصدار القرارات واتخاذ الإجراءات الأمنية ووجود أجهزة أمنية متطورة في خدمتها، ذلك لأنها مازالت دون مستوى المنافسة الدولية في مجال الإنجاز الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، بمعنى إنها لم تصبح فاعلاً دولياً ذا تأثير حقيقي، ولم ترنق في نظريتها الاجتماعية إلى المستوى الذي يقلص مساحة عدم الرضا عليها من جانب المحكومين.

٢- **النتائج:**

أ- المعارضة الداخلية الوطنية ومؤسسات المجتمع المدني يمكن أن تكون المرأة العاكسة لسياسات وإجراءات وفعاليات الأنظمة السياسية في الوطن العربي، ونتيجة للقضاء عليها أو إقصائها أو تهميشها، فقدت هذه الأنظمة فرصة اكتشاف نقاط ضعفها الداخلية وتصحيحها، وتبقى هناك فجوة بين النظام وبين

<sup>٣٣</sup> أحمد شكر الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، (بيروت، م.د.ع، ٢٠٠٠)، ص ١٧٢-١٧٣.

<sup>٣٤</sup> ثامر كامل محمد، التحولات العالمية ومستقبل الدولة في الوطن العربي، (عمان، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٠)، ص ١٤٦.



الناس وتختصر العلاقة إلى أن تكون علاقة وظيفية في أحسن الأحوال بمعنى إنها تقتند للتعاقل.

ب- إن أي عملية احتكار لمصادر القوة والسلطة في المجتمع سواء عبر مصادرة

أدوار المعارضة السياسية الوطنية، أو إخضاع المؤسسات الاجتماعية وتوظيفها بإرادتها أو بدونها لخدمة النظام السياسي المعني، وتهميش استقلالية هذه المؤسسات، يمكن أن تقضي إلى تقويض الأسس المادية لمؤسسات المجتمع المدني الحديث (كالنقابات والاتحادات والجمعيات والأحزاب والتنظيمات السياسية ومؤسسات النفع العام ... الخ) . مما يمكن أن يمهّد لانتعاش أدوار التكوينات الاجتماعية التقليدية (كالقبيلة والعشيرة والطائفة فضلاً عن النزعات الإقليمية)، وهذه الشبكة من التكوينات في الوقت الذي تساهم في تضيق فرص بناء مؤسسات مجتمع مدني حديثة من ناحية، فهي لا تتوافق مع ما ينبغي إحداثه من إصلاح سياسي في البيئة الاجتماعية من ناحية أخرى.

ج- إن انغلاق النظم السياسية ومصادرتها لدور المؤسسات الاجتماعية أدى إلى شيوع حالة من عدم الرضا على سياساتها، وجعلها عرضة لازمات محتملة، ذلك لأن الدولة لم تتطور ككيان له استقلالية عن شخصية الحاكم، أو عن النظام السياسي الذي يمارس سلطة الدولة، بل أصبحت أداة في يد الحاكم لأحكام قبضته على المجتمع.

د- في الغالب تقود حالة عدم الاستجابة للإصلاح إلى اتعدام الثقة بين الحكام والمحكومين، وهذه تؤدي إلى تنامي ظاهرة اللجوء للعنف أو العنف المتبادل، حتى أصبحت أو كانت أعمال العنف السياسي المتبادل الآلية الرئيسة لإدارة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أي بين الدولة والمجتمع، وتكمن الإشكالية المركبة هنا في إنه لا يمكن الخروج من هذا الوضع بالقضاء على المجتمع المدني، لأن الشرعية تدرج فيه، ولا في إزالة الدولة أو القضاء عليها، خشية أنه بانهيار الدولة قد يفضي الأمر إلى إعادة تنشيط التوترات والصراعات والانقسامات الداخلية<sup>36</sup>.

هـ- في أحيان غير قليلة يصاحب اشتداد عجز الدولة في الوطن العربي عن الشروع بالإصلاح والوفاء بوظائفها الأساسية والتزاماتها أو عن تحقيق المطالب الجماهيرية، تعاظم ممارساتها التسلطية في الداخل، وفي ظل هذا الوضع يصبح المواطن الذي يمثل لبنة في ركن أساسي من أركان الدولة

<sup>36</sup> برهان غليون، نقد السياسة: الدين والدولة، ط٢ (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣)، ص ١٤١-١٤٢.

(الشعب)، فاقداً فعاليته، وقد يتحول إلى ذات بلا دور، ويتجرد أو يُجرد من حقوقه الإنمائية أو المدنية ويعدم القوة للتأثير في القرارات ذات العلاقة بمجتمعه<sup>٣٦</sup>.

### المشهد الثاني: الاستجابة النسبية للإصلاح

يقوم هذا المشهد على إيجاد صيغة توفيقية بين السلطة السياسية وقوى المعارضة، أي قبول الدولة أو السلطة السياسية لفكرة الإصلاح ولعملية تدريجية للإصلاح السياسي والاجتماعي يظلب عليها الطابع السلمي أحياناً، والضغط والمواجهة والتحدي والتصادم، أحياناً أخرى، وذلك في سياق إدراك كل من السلطة والمعارضة عدم إمكانية نفي أحدهما للآخر أو إقصائه. وعلى ذلك وجب العمل وفق آليات توفيقية ترجح منهج الحوار المبني على درجة من التفاهم وتقسيم المسؤوليات. هذا المشهد يحفل كسابقه بعدد من المواقف والمظاهر التي نقضي إلى عدة نتائج:

#### ١- المواقف والمظاهر:

أ- تعالي الأصوات والضغط المطالبة الأنظمة السياسية القائمة في الوطن العربي لإصلاح الهياكل والمؤسسات، وتوسيع فسحة الديمقراطية وهذه الصيحات والضغط لم يست داخلية فقط وإنما بعضها خارجية، ولكي لا تبسّر الأنظمة السياسية مستجيبة للضغط الخارجية، تحاول الاستجابة لبعض الضغوط والمطالب الداخلية وضمن هذا السياق لتجه بعضها نحو تبني أشكال من التعددية السياسية والتعددية الحزبية، لتقليل شدة الضغوط الخارجي، واحتواء الضغوط الداخلي والخروج من مأزق للشرعية ومحاولة حل إشكالية المشاركة السياسية، والأمر بمجمله هنا ينطلق من إدراك النخب الحاكمة لاحتمية التغيير على وفق مقتضيات العصر، وإن مصلحتها وإمكانية المحافظة على ذاتها تقتضي وجود الأطر السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمثل مجالا ملائماً لتدعيم المجتمع المدني وتنامي مؤسساته.

ب- الاستجابة لإدخال بعض الإصلاحات التي من شأنها إحياء المجتمع المدني وتنشيطه، لا تعني بأي حال إنها بدافع الخشية أو الخوف من الإطاحة، وإنما هي في منظور بعض النظم السياسية في الوطن العربي تعبير عن استجابة حضارية وعن الحاجة لإقامة نوع من التوازن بين الدولة والمجتمع بحيث تتحدد واجبات كل طرف وحقوقه على نحو الفضل وأوضح.

<sup>36</sup> سعد الدين إبراهيم، الدولة القطرية وسيناريوهات المستقبل العربي، في سعد الدين إبراهيم وآخرون، الدولة القطرية وإمكانيات قيام دولة الوحدة العربية، تحرير وتقديم فهد الفاتك (عمان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٩)، ص ٣٢-٣٣.

ج- على الرغم من أن معظم الأنظمة والمجتمعات في الوطن العربي تشهد تطوراً في الرؤى والمدرجات، إلا أن هذا التطور لم يصل بعد إلى تحديد آلياته المستقرة، لذا لا تزال الدولة تحتفظ بدور مركزي أساسي يؤمن لها مجالاً للهيمنة في بيئتها الجغرافية، ولكن مع ذلك قد أسهم هذا التطور في تفعيل المهارات السياسية والفنية والإدارية، بمعنى أن تطوير المجتمع المدني وتوسيع مؤسساته يمكن أن يسهما في توفير فرص إضافية لبروز العناصر القيادية واكتشافها وتوظيف قدراتها في إطار مؤسسة الدولة.

د- لعل من أهم الاتجاهات المتنامية في الوطن العربي، في إطار فرضيات أو مظاهر هذا المشهد، ذلك الاتساع النسبي في قاعدة المشاركة السياسية، إلى جانب الاتجاه المتزايد نحو الديمقراطية القائمة على التعددية الحزبية، هذه العملية مثلاً هي واضحة في بعض الأنظمة السياسية فهي شكلية أو أقل وضوحاً في أنظمة سياسية أخرى، أو معدومة في بعضها، ومن الأهمية الإشارة هنا إلى أن التطور الديمقراطي في الوطن العربي عموماً يفقد التراكمية وأحياناً القدرة على تخطي الطابع السلطوي لأنظمة الحكم، ولا سيما ضمن حدود المدى الزماني لهذا التصور، الأمر الذي يفرض غالباً إلى الاحتمالين الآتيين:

(أولاً): إن الانتخابات تكون على الأرجح محكومة بإجراءات وآليات تحول دون فوز المعارضة.

(ثانياً): العمل على أن يبقى إطار المشاركة السياسية مرسوماً ضمن الحدود التي ترسمها الأنظمة السياسية. وهو ما يرجح الاستمرار بتجربة تدريجية وتطورية تهدف تحسين طرق الحكم وأساليب الإدارة، وترشيد عملية صنع القرارات والسياسات وإقامة التوازن بين الدولة والمجتمع.<sup>٣٧</sup>

هـ- زيادة أعداد المتعلمين والكنوقراط الذين يرفدون الدولة والمجتمع بإمكانيات وطاقات متجددة. وقد تنطوي هذه الفئات على شرائح لا تقتنع بأداء أدوار وظيفية تنفيذية فقط، لذا فإن أي تراجع في قدرة الدولة على استيعابهم في مرافقها العامة أولاً، ومن ثم في وحداتها القرابية بالنتيجة، سوف يتعارض مع تطلعات نسبة غير قليلة منهم إلى المشاركة وعملية صنع القرار، وتخسر الدولة خبرتهم وأدوارهم وتحرم عملية التنمية السياسية والتحديث من طاقات

37 حسنين توفيق إبراهيم، بناء المجتمع المدني: المؤشرات الكمية والكيفية، ورقة قدمت إلى ندوة المجتمع المدني في الوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص ٧١٢-٧١٣.

كان باستطاعتها توظيفها في إطار الإصلاح والعمل الوطني. هذا الوضع مع شدة للضغوط المطالبة بالإصلاح للبنى والسياسات والمؤسسات يحفز استجابة الأنظمة السياسية في الوطن العربي أو بعضها إلى النزوع والاتجاه نحو تحديد مقيدة لتخفيف الضغط عن النظام السياسي وإتاحة الفرصة للأصوات المعارضة لأن تعبر عن نفسها في حدود تسمح بالمشاركة ولا تتضمن إمكانية تداول السلطة.

و-

يفترض هذا المشهد بروز فاعلين اجتماعيين جدد وأتباع انتشار منظمات المجتمع المدني وتعدد أنماطها وأشكالها التنظيمية، وتوافر الإدراك بأن التغييرات الحاصلة ليست كمية فحسب بل نوعية بمعنى امتدادها إلى المفاهيم والفلسفة والرؤية التي تحدد توجهات هذه المنظمات وتؤثر فيها، ومن ذلك يمكن ملاحظة أن هذه المنظمات بالإضافة إلى اعتمادها ومبادئها بالمشاركة السياسية فقد أصبحت على درجة أكبر من المأسسة، وتتطوي على قدرة أكبر على استقطاب الطاقات وتعبئتها وتوظيفها في إطار عملية الإصلاح السياسي والاجتماعي، بالإضافة إلى قدر أكبر من التنسيق والتعاون في مابنيها. وقد أثرت هذه المظاهر والفرضيات لصالح ظهور ديناميات جديدة ليست بالضرورة حزبية، بل يمكن عدها ديناميات ثقافية أو حقوقية أو عقائدية، وهي تسهم في الحراك الاجتماعي والعملية السياسية، وتتفاعل مع مطالب الإصلاح من خلال دورها في بناء المجتمع المدني.

### النتائج:

٢-

١-

المواقف والمظاهر أو الفرضيات التي انطوى عليها هذا المشهد أتاحت كما أسلفنا قسراً من الإصلاحات المحدودة والمقننة، وأفضت إلى نتيجة مفادها أن الدولة قد أصبح موقفها إزاء المجتمع المدني يتسم إما بالتردد أو بعدم الثقة، وإنها في الوقت الذي تسمح للتنظيمات المدنية وإحياء المؤسسات، تتماهى أحياناً في وضع القيود للقانونية والإدارية التي تحد من تجاوز تأثير هذه التنظيمات المدنية والحدود المسموح بها بموجب ميكانيزمات للمشاركة السياسية المعتمدة.

ب-

غالباً تتعدد أنماط القيود التي تفرضها الدولة على تنظيمات المجتمع المدني، وتتراوح بين مراقبتها أو تحديد مجال حريتها، هذا فضلاً على القيود التشريعية والسياسية والتهديد بالحل، لذا فإن التحليل الذي يترتب على هذه النتيجة في ظل هذا المشهد يتمثل في توصيف بسيط هو أن مؤسسات المجتمع المدني الحديثة المتمثلة في الجمعيات والتنظيمات والأحزاب والمنشآت في حالة وجودها وبروز فاعليتها، فإن ذلك لا يمثل إلا مجرد منحة من قبل سلطة

الدولة بوصفها المؤسسة العليا، التي لا بد أن يكون لها قدر من الإشراف أو الإطلاع إن لم نقل الهيمنة على بقية التنظيمات والمؤسسات<sup>٣٨</sup>.

ج- إن عملية المشاركة السياسية المقيدة التي يمكن القول مجازاً بأن الدولة في الوطن العربي قد سمحت بها لقوى المجتمع المدني، حاولت هذه القوى الاستفادة منها قدر الإمكان للتعبير عن مصالحها بوسائل مؤسسية يمكن أن تكون على مساحة من الفاعلية لاسيما في المطالبة بحقوق المجتمع الأهلي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من ناحية، وكبح جماح قوى التطرف وبانسجام مع الدولة - في هذه النقطة بالذات - من ناحية أخرى، وعلى ذلك فإن كلا من الدولة ومنظمات المجتمع المدني يمكن أن تجمعهما مصلحة مشتركة في تحقيق الانسجام الاجتماعي والاستقرار الداخلي.

د- إن عملية التغيير الاجتماعي والإصلاح السياسي في ظل هذا المشهد تقضي بلا شك إلى بروز قوى اقتصادية واجتماعية جديدة، وتطرح مطالب جديدة يمكن أن تكون سياسية واجتماعية واقتصادية، وهذه بدورها تتطلب أطراً مؤسسية فاعلة لها القدرة على استيعاب هذه المطالب وتبويبها وإيصالها إلى صانع القرار أو السلطة السياسية، والنتيجة المهمة المترتبة على ذلك تتمثل في أن هذه الأطر المؤسسية عند تمتعها بدرجة من الفاعلية والقدرة على التكيف تؤدي دوراً مهماً لصالح النظام السياسي لاسيما وإنها تقدم له المساعدة ليتمكن من إدارة عملية الإصلاح والتغيير بمرونة، وبعبارة أوضح توفر له فرصة كي يعبر عن استجابته للمطالب الاجتماعية المطروحة أو بعضها من ناحية، واحتواء أو تقليص إمكانيات بعض القوى واحتمالات اشتراكها في أعمال العنف المضاد للنظام أو للدولة بوجه عام.

#### المشهد الثالث: الاستجابة المرونة للإصلاح

يفترض هذا المشهد تطور العلاقة بين الدولة ومنظمات المجتمع المدني إلى درجة متقدمة جداً من قبول أحدهما للآخر والانفتاح عليه والتوازن معه والاستجابة بمرونة عالية من قبل الدولة لتحديات التحولات العالمية والمطالب المجتمع، وقبول الأخير بذات المرونة لفروض الدولة. ويعبر هذا المشهد عن درجة عالية من التنازل تبدو غير واقعية في المرحلة الحالية في الوطن العربي. ولكن مادامنا في دراستنا هنا نتحدث حول المستقبل، إذاً لا بأس من استعراض مواقف ومظاهر أو فرضيات هذا

<sup>38</sup> تشار فؤاد عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٣-٢٨٤.

المشهد والنتائج التي يمكن أن تقضي إليها طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني في ضوء ما يمكن تحليله واستنباطه من مواقف ومظاهر وفرضيات.

#### ١- المواقف والمظاهر:

أ- يفترض هذا المشهد بلوغ المجتمع المدني لغايته وتحقيقه لأهدافه في ارتفاع سقف مطالبه وتحقيق الاستجابة الكلية لها في ظل انتماع مساحة المشاركة واتساع العملية السياسية بالديمقراطية الحقيقية، وإقرار السلطة السياسية لمبدأ تداول السلطة وتقنيته في تسخير معترف بها ومعتقدي عليها من الشعب. وتكون الدولة محكومة بمبدأ سيادة القانون وضمان الحرية والعدل والمساواة، ويعني ذلك أن تكون القوانين متبلورة وواضحة، وأن يتولى إدارة هذه الدولة عناصر أكفاء لديهم المعرفة والخبرة.

ب- تمثل الدولة هنا الإطار السياسي والقانوني للمجتمع المدني، وعلى ذلك تصبح إمكانية الفصل بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني متعذرة، باعتبار أن منظمات المجتمع المدني يكون لها دور أساسي في استقرار وتشكيل الإطار السياسي. بمعنى أن استقرار أنماط معينة من المؤسسات والعلاقات السياسية يتوقف على مدى استنادها إلى بنى اجتماعية وتكوينات ثقافية قائمة في المجتمع.

ج- في ظل هذا المشهد تعد الدولة مؤسسة محايدة إلى درجة كبيرة إزاء مختلف قوى المجتمع المدني، ولا تسخر من قبل فئة أو حزب من أجل ضمان سيطرته وهيمنته على المجتمع، وهي لذلك، وبقدر ما تفسح المجال وتوفر القنوات لقوى وفئات للمجتمع المدني لتوصيل مطالبها وللتعبير عن تصوراتها، بقدر ما تكون تعبيراً أميناً عن هذه القوى والفئات وهو ما يسهم في تعميق وتجذر شرعيتها في المجتمع.<sup>39</sup>

د- الحالة الطبيعية هي أن تحتكر سلطة الدولة حق الاستخدام الشرعي للقوة، وفي إطار القانون الذي يمثل الحد الفاصل بين ممارسة الدولة لوظائفها واختصاصاتها التقليدية من ناحية، وبين احتمالية تعسفها في ممارسة هذه الوظائف وتلك الاختصاصات من ناحية ثانية.<sup>40</sup>

هـ- يفترض هذا المشهد أن تنشط المجالس النيابية ومجالس الشورى ووسائل الإعلام وجماعات الضغط والمصالح المنظمة كي تؤثر قوى ومؤسسات المجتمع المدني في السياسات والقرارات التي تتخذها الدولة، ناهيك عن إتاحة

<sup>39</sup> حسنين توفيق إبراهيم، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠٠.

<sup>40</sup> المصدر نفسه، ص ٧٠٠.

للفرص للتأثير غير للرسمي من خلال أعمال الاحتجاج الجماعي من مظاهرات وإضرابات وإعتصامات، هادفة وسلمية.

و- يفترض هذا المشهد إن قوى المجتمع المدني في الوطن العربي أو بعض وحداته أو دوله قد أصبحت على درجة من النضج والتبلور ، وقد تطورت من حيث الحجم والدور وبناء تقاليد العمل المؤسسي، هذا النضج والتبلور والتطور يلتقي مع الرغبة في الإصلاح، ويفتح أمام المجتمع آفاقاً أخرى متجددة من العمل السياسي.

## ٢- النتائج:

أ- لعل أبرز ما يمكن أن نقضي إليه مظاهر هذا المشهد وفرضياته هو أن تصبح العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني علاقة سوية، وتتطوي على قدر كبير من المشاركة السياسية للمواطنين وتنظيماتهم (غير الحكومية) في اتخاذ القرارات، بمعنى إن اتساع نطاق المشاركة يعد مؤشراً تفاعلياً لصحة العلاقة بين المجتمع والدولة ، ويقتدر ما تكون الدولة تعبيراً أميناً عن مجتمعها، بقدر ما تزداد المشاركة السلمية المنتظمة لأفراد المجتمع في الشؤون العامة، سواء بصفتهم الفردية أم الجماعية من خلال مؤسساتهم التطوعية<sup>٤١</sup>.

ب- إن للتوازن والاستجابة المرنة في العلاقة بين الدولة والمجتمع، يقتضي وبشكل أساسي تنمية قدرات الجماهير على إدراك مشكلاتهم بوضوح، وقدراتهم على تعبئة كل الإمكانيات المتاحة لمواجهة هذه المشكلات بشكل علمي وواقعي. أو تنظيم الحياة السياسية ومتابعة أداء الوظائف السياسية في إطار الدولة وتجنيز وتطوير النظم والممارسة السياسية لتصبح أكثر ديمقراطية في التعامل وأكثر احتراماً لكرامة الإنسان ومطالبه.

ج- يمكن أن نقضي مظاهر وفرضيات هذا المشهد إلى إضفاء طابع التكاملية الوظيفية بين المجتمع السياسي (الدولة ومؤسساتها) والمجتمع المدني بأحزابه ومنظماتها ومؤسساته، إذ تتولى هذه الأخيرة التعبير عن مصالح الناس وبلورتها وتقديمها إلى النظام السياسي الذي يتولى عملية تحويلها وإنتاجها بصيغة قرارات وسياسات عامة<sup>٤٢</sup>.

د- إن مستوى الاستقرار الاجتماعي والسياسي الذي يترتب على التوازن والاستجابة المرنة للعلاقة بين الدولة والمجتمع، يفضي إلى تحقيق نقلات إيجابية في مجال التنمية الاجتماعية ، والتنمية الاقتصادية والسياسية.

هـ- في ظل هذا المشهد ، يصعب أحياناً تمييز الحد الفاصل بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني من دون فهم طبيعة السلطة والسياسة، ذلك إن حدود المجتمع

<sup>٤١</sup> ينظر: ثامر كامل محمد ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

<sup>٤٢</sup> أحمد شكر حمود، المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

المدني تختلف مع تغير النظم الاجتماعية، وعليه فإن مكان يعد في مرحلة ما من شؤون المجتمع المدني يمكن أن يصبح من شؤون المجتمع السياسي، والعكس صحيح. وعلى ذلك لم تعد العلاقة بين المجتمع والدولة مجرد علاقة نفي وإثبات، وإنما هي علاقة يتحول فيها كل من طرفيها إلى مركب مكون للطرف الآخر. إذ لم يعد الخيار بين دولة ديمقراطية تنفي الحاجة إلى مجتمع مدني، لأنها تمثله، أو بين مجتمع ديمقراطي ينفي الحاجة إلى الدولة لأنه قادر على إدارة شؤونها، فالمجتمع المدني شرط وجود الدولة، مثلما أن الدولة هي شرط وجوده، بمعنى لا ينشأ المجتمع المدني على حساب ضعف الدولة<sup>٤٣</sup>.

و- تقضي مظاهر هذا المشهد وفرضياته إلى نتيجة مفادها عدم انفصال الدولة عن المجتمع المدني، فالدولة تصبح دولة المجتمع ليس بمعنى الدولة التي تخدم المجتمع، وإنما الدولة التي تستمد سيادتها وآليات تنظيم السلطة فيها من تنظيم المجتمع ذاته.

ز- للتصالح والتكامل الوظيفي الذي ينتج في ظل هذا المشهد بين الدولة والمجتمع إنما يعني اعتبار الدولة خياراً مؤسسياً لا يجوز تجاوزه والتغز فوقه، ومن ثم ينبغي العمل على أعمار الدولة والمساهمة في تطويرها أو تجاوز نواقصها. إذ أن مايلي مرحلة الدولة ليس المجتمع الأكثر تطوراً، إنما مرحلة ما قبل الدولة<sup>٤٤</sup>.

وفي معرض تقييم المشاهد الثلاثة لنفة الذكر من حيث المواقف والمظاهر أو (الفرضيات) الخاصة بكل مشهد، وللتائج التي أفضت إليها، فيمكن القول إن الدول العربية لا تتشابه نظمها السياسية من حيث طبيعة علاقتها بالمجتمع المدني في بيئاتها الاجتماعية وكذلك من حيث درجة استجابتها للإصلاح السياسي والتحول الديمقراطي، ولكن مع ذلك يمكن ملاحظة أن مظاهر المشهد الأول وفرضياته كانت هي السائدة في عموم الوطن العربي وإلى وقت قريب أخذت بعض الدول العربية تبدو أكثر اقتراباً من المشهد الثاني، إذ إن مظاهره قد أخذت في التبلور، واستجابة لدواع أخلاقية وحضارية وضغوط داخلية وخارجية ولتطور أنماط التفكير تبعاً لتأثيرات ثورة المعلومات وعالمية الاتصالات وضغوط العولمة والرغبة بالتفاعل والاستجابة لدعوات الإصلاح السياسي والاجتماعي أصبحت بعض الأنظمة السياسية في الوطن العربي أو كانت تتقبل مظاهر المشهد الثاني وفرضياته، والبعض الآخر لازالت رؤيته تتطوي على التدخل بين مظاهر وفرضيات كلا المشهدين الأول والثاني معاً.

أما بالنسبة للمشهد الثالث فهو مفعم بالتناؤل، ولازال تحقيقه - ولو جزئياً - مرتبطاً بدرجة استجابة النظم السياسية في الوطن العربي للإصلاح السياسي والاجتماعي، والسير الحثيث في طريق الإصلاح، ولكن مع ذلك، ومع أن الأمر في

<sup>٤٣</sup> المصدر نفسه، ص ١٨٧.

<sup>٤٤</sup> عبد الله العروي، مفهوم الدولة، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٨١)، ص ١٤٦ وما بعدها.



ذلك لا يقتصر على الوطن العربي ونظمه السياسية، بل قد يشمل الكثير من النظم السياسية في البيئة الدولية والفضاء العالمي، فإن بعض الأنظمة السياسية في الوطن العربي ونخباتها الحاكمة أصبحت تتظاهر سياسياً وإعلامياً بأنها تسعى للعمل على تحقيقه، وعلى الرغم من صعوبة تعميم مظاهره على عموم هذا الفضاء بسبب للتباينات في درجة الاستجابة للإصلاح والتحول الديمقراطي، فإن بعض تنظيمات المجتمع المدني قد ترفع من سقف مطالبها، وتضغط على السلطات الحاكمة لكي تحقق مزايا تقر بها مما ورد في المظاهر والفرضيات التي تمت الإشارة إليها في هذا المشهد.

#### الخاتمة

لقد أتضح بأن المجتمع المدني وتدعيمه يتم طبقاً لعملية إصلاحية تدريجية يطلب عليها الطابع السلمي بمعنى أن إحياء المجتمع المدني وتنشيط أنواره قد تتم دون أن يعني ذلك الإطاحة بالنظم السياسية القائمة، وإنما من خلال العديد من الإصلاحات التي تستهدف تحسين طرق الحكم وأساليب الإدارة وترشيد عملية صنع القرارات والسياسات وإقامة التوازن بين الدولة والمجتمع بحيث تتحدد واجبات الدولة أو النظام السياسي فيها وحقوقه، وواجبات المجتمع وحقوقه على نحو أفضل، وهذا التصور هو الأقرب لما ينبغي أن يكون عليه الواقع في الوطن العربي وعلى الأقل في الأجلين القصير والمتوسط خاصة وإن بعض النخب السياسية العربية الحاكمة بدأت تعي حقيقة الإشكاليات التي تواجه نظمها السياسية ومجتمعاتها على حد سواء، فالدولة والمجتمع المدني ليسا أمرين مستقلين أحدهما عن الآخر، ولكنهما مترابطان كلياً، بمعنى أن لكل دولة ولكل نظام سياسي المجتمع المدني الذي يتمشى معه، ومن غير الممكن فهم مصير المجتمع المدني وتأثير العوامل الداخلية والخارجية فيه دون فهم تطور الدولة والنظام السياسي وعلاقته بالمجتمع.

وتتمثل عملية ربط مفهوم المجتمع المدني وبناء مؤسسته الحديثة بالديمقراطية والإصلاح محاولة لإعطاء نوع من المشروع لمشروع الحدثة الذي تمثله الدولة. ذلك أن التنظيمات المؤسسية المدنية هي البنية الوسيطة التي تشغل المجال الحيوي من الحراك الاجتماعي، وهي للتنظيمات التي لا يخلو منها أي مجتمع بشري منظم، وإن ضمورها وتفككها بسبب تصف السلطة، أو بسبب تنامي المؤسسات التقليدية مجدداً، يقود إلى سيادة منطق الفوضى وعدم الاستقرار. لذا فإن التنمية السياسية أو التحديث تمثل جانباً من جوانب عملية الإصلاح والتغيير الاجتماعي المتعددة الأبعاد، إذ لا يمكن أن تتحقق دون حدوث تغيرات في عناصر الثقافة كافة. وتتضمن الاتجاه نحو مزيد من المساواة بين الأفراد في علاقاتهم بالنظام السياسي، وتزايد قدرة النظام السياسي في علاقته بالبيئة المحيطة، وتعزيز تمايز وتخصص المؤسسات والبنى داخل النظام السياسي.

ولعل أهم نواحي الإصلاح والتحديث السياسي تتمثل في المشاركة السياسية والتعددية التي تقوم أساساً على اعتبار إن الحرية قيمة أولية، وربما القيمة الأولية الرئيسية وهذه الحرية ليست مطلقة بل مقيدة ومنسجمة تماماً مع المساواة أمام القانون، والتعددية وامتداداتها الديمقراطية هي في الواقع توفير ساحة سياسية أو هامش من التسامح يضيق ويتسع لأراء

والأفكار المطروحة كي تعبر عن نفسها سلمياً، واستيعاباً للتوترات الجزئية والعامة (لمنع العنف) وضماناً للاستقرار السياسي بما يعزز الوحدة الوطنية ويطلق فرص للتنمية الوطنية ويحد من التحديات التي تستهدف الوطن العربي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وفي هذا الفهم ليست التعددية أو الديمقراطية قيمة فكرية أو فلسفية فحسب، وإنما مادة صالحة للتقنين في الدساتير والقوانين وجميع الشؤون المتعلقة بحياة الناس. وضمن هذا الإطار تقتضي التعددية رؤية وطنية تقوم على ضرورة اليقين بوجود تنوع في القيم والممارسات الإيديولوجية والمؤسسية، والاجتماعية، ومن ثم تعطي اهتماماً مميزاً للأحزاب وجماعات المصالح والعملية الانتخابية، وتركز على أهمية القنوات المتعددة التي يمكن للمواطنين من خلالها ممارسة حقوقهم في التعبير عن مصالحهم وآرائهم ومراقبة ممثليهم والتأثير في تطور السياسات العامة.

لذا فإن جوهر عملية الإصلاح والتحول الديمقراطي في الوطن العربي يقتضي سياسة وبرنامجا وطنيا قوامه الاعتماد على مبدأ انتخاب عناصر السلطة المختلفة التشريعية والتنفيذية، وتعميم مبدأ السلطة القانونية، وتعزيز مبدأ احترام السلطة القضائية التي لا تخضع إلا للقانون. وفي سياق كل ذلك الاعتراف بمجموعة الحريات العامة وأساساً حرية تكوين وتنظيمات نقابية وسياسية وحرية الصحافة والنشر. وتمثل الديمقراطية هنا ذلك الترتيب المؤسسي الذي يتم من خلاله وصول الأفراد أو الجماعات إلى السلطة عن طريق الانتخابات، وتمثل ذلك الإجراء لاتخاذ القرار الذي يتميز بأنه (الحل الوسط المنصف) بين المطالب المتنافسة للحصول على السلطة، وإفساح المجال أمام المواطنين للمشاركة في صناعة القرار والتأثير في اتخاذه. وإيجاد طريقة لتوزيع السلطة السياسية وشرعة استخدامها، طريقة تعتمد الحوار والإقناع والمحاجة، في جو يسوده التفاعل والتكامل والمصلحة الوطنية.

وبقدر ما تتطلب عملية الإصلاح والتحول الديمقراطي تغييراً شاملاً في السياسات الاجتماعية والاقتصادية والإستراتيجيات التقليدية، وتغييراً في بعض أساليب الحكم لمعظم النظم السياسية العربية، تتطلب على الجانب الآخر تغييراً بالقدر ذاته في أوساط المعارضة العلمانية والدينية معاً مصحوباً بمراجعة نقدية تهيئ لمواقف نظرية وعملية تتميز بشكل أفضل بروح المسؤولية والتضحية تجاه المجتمع والدولة معاً، بمعنى أن لا تبقى مسألة التعددية محصورة في الصراع العقيم بين نخب معارضة لا تفكر إلا بسحب البساط من تحت أقدام الحكومة لاحتلال مواقعها، وحكومة ليس مهماً إلا لحر قوى المعارضة وتضييق الخناق عليها وتصفية مواقعها في المجتمع، مما قد يفضي إلى حروب استنزاف حقيقية للمجتمع والدولة، وتشويه صورة الممارسة السياسية وحصرها في حدود كونها صراعاً على السلطة. فالتعددية السياسية هي غاية ووسيلة في حد ذاتها لأنها تجسّد للحريات الأساسية التي هي حق للفرد وللجماعة، وهي وسيلة لتحقيق غايات أخرى في مقعمتها للوحدة الوطنية والتنمية الوطنية الشاملة والعدالة الاجتماعية والحد من تداعيات التحولات العالمية لمرحلة ما بعد الحرب الباردة وإرساء دعائم المجتمع المدني والإصلاح السياسي في الوطن العربي.



## ١. الجذور التاريخية لقضية لواء الاسكندرون

لكتبت جميع الوثائق التاريخية والشواهد الادبية<sup>٢</sup> عروبة لارض الاسكندرون وانتماؤها الى الارض السورية منذ القدم<sup>٣</sup>. لا تعود جذور القضية الى مراسلات الشريف حسين مع السير هنري مكماهون اثناء الحرب العالمية الاولى، وهي المراسلات التي سبقت اندلاع ثورة العرب على العثمانيين، فقد جاء بمذكرات الشريف الاولى الى مكماهون المؤرخة في الرابع عشر من تموز عام ١٩١٥، تعيينها بالحدود الشمالية للبلاد العربية بخط يقطع شمال (مرسين، اضنه الموالي لخط ٣٧ شمالا الذي تقع عليه برجك، اورفه، ماردين، مديان، ابو عمرو، عمادية حتى حدود فارس)<sup>٤</sup>.

ولما ابدى مكماهون تحفظه على هذه الحدود اكد الشريف حسين في رسالته الثالثة المؤرخة في التاسع من ايلول عام ١٩١٥، ان تلك الحدود والتخوم المطلوبة ليست لشخص متعلق ارضاءه والبحث معه فيها عندما تضع الحرب اوزارها بل راوا ان حياة تشكيلاتهم الجديدة للضرورة القائمة في امرها مربوطة على تلك الحدود

<sup>٢</sup> لقد كلف رئيس الوزراء جميل مردم الاستاذ اسد رستم، مدرس التاريخ في الجامعة الامريكية في بيروت لوضع تقرير يتضمن فيه كل الالة التاريخية التي تثبت ان منطقة الاسكندرون عروية، وقد نشرت كتب ومقالات في هذا الخصوص ايضا بعد ان زوت بالقلة لاحتضن، جريدة الاهرام (المصرية) العدد ١٩٦٩ في ١٣/١٢/١٩٣٧، ص ٧.

<sup>٣</sup> ان جبال طوروس تؤلف الحد الفاصل والطبيعي بين الوطن العربي والترك، ونتيجة الفتح الاسلامي في سوريا عام ٦٣٧/هـ ١٦م فالجيوش العربية لم تتقدم الى ماوراء هذه الجبال لذا اعتبر ماوراءها تابعاً للدولة البيزنطية واما في جنوبها فقد ظل للعرب. اما الامويون والعباسيون فقد اتخذوها قاعدة عسكرية لغزو الروم والدفاع عن الوطن خاصة بعهد المأمون المدفون في مدينة طرطوس-احدى مدن هذه المقاطعة التي مات فيها، وفي عهد المماليك اتضمت الاسكندرون اليهم في مصر وعقد مجيء السلطان العثماني الاول استولى عليها وعلى البلاد العربية كلها، ينظر وايد المعلم، الطريق الى الحرية، دمشق، ١٩٧٧، ص ٢٩٩-٣٠١؛ وهناك شاهد اخر يؤكد عروبة هذه المنطقة، فالشاعر امرو القيس بن حجر الكندي رحل الى القسطنطينية قبل الاسلام لزيارة قيصر الروم طالبا منه المساعدة في انتفاذ بلاده من خصومه ورافقه في رحلته هذه عمر بن امينة (من شعراء الجاهلية) وبكى هذا الاخير عندما بلغ (الدرب) وتضى جبل طوروس لانه اوشك ان يغشى بلاده غير بلاده فتشدد:

بكى صاحبي لما رأى للدرب دولة وابن انا لاحقان بفقر

فقلت له: لا تبك عينيك انتنا نحاول ملكا او نموت فتعزنا

والشاعر ان امرأ القيس مات في رحلته هذه ودفن بجوار مدينة انقرة: امين سعيد، الوطن العربي، طبع بمطبع دار الهلال، القاهرة، دت، ص ١٧٣-١٧٤.

<sup>٤</sup> راجع سليمان موسى، المراسلات التاريخية (١٩١٤-١٩١٨) الثورة العربية الكبرى، الاردن ١٩٧٣، ص ٣٢٠-٣٢١؛ يفتان سحون العلم، الصراعات الدولية والاسكندرون، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٨، السنة ١١، ١٩٨٦، بغداد، ص ١٤.

والتخوم وعقدوا للكلمة عليها...<sup>٥</sup> فهذه المراسلات تبين ان هذه البقعة ارض عربية وان الاسكندرونة كانت على الدوام منفذا لمدينة حلب وميناءها الطبيعي. كذلك ان معاهدة سايكس بيكو المبرومة بين بريطانيا وفرنسا في السادس عشر من ايار عام ١٩١٦، قد شملت لواء الاسكندرونة بأكمله في منطقة الزرقاء المخصصة للنفوذ الفرنسي، وبناء على ذلك دخلت في المنطقة الخاضعة للانتداب الفرنسي التي حددتها قرارات (سايكس بيكو) في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٩٢٠.<sup>٦</sup> ولما اجتمع اعضاء المؤتمر السوري في دمشق ليقرروا مصير سوريا اعلنوا استقلالها بحدودها الطبيعية، ولما كانت ولاية الاسكندرونة والمناطق المحيطة بها داخلية ضمن حدود الدولة الجديدة لذلك اعتبرت الاسكندرونة سورية، وعندما زارت لجنة الاستفتاء الامريكية (لجنة كنج كرلين) عام ١٩١٩ البلاد العربية المنفصلة عن الدولة العثمانية ولمعرفة رأي سكانها في تقرير مصيرها اتفقت كلمة اكثرية السكان على المطالبة بالانضمام الى سوريا.<sup>٧</sup>

وعندما دخلت القوات الفرنسية بلاد الشام في الرابع والعشرين من تموز عام ١٩٢٠، بدأت المأساة في اتفاق عقده الفرنسيون والأتراك في التاسع من اذار عام ١٩٢١، وبهذا الاتفاق تمكنت تركيا من ان تضم اليها كليكة وتمنح الاقلية التركية فيها نظاما اداريا تصبح فيه اللغة للتركية لغة رسمية اسوة باللغة الفرنسية والعربية.<sup>٨</sup> لقد استعمل الأتراك سياسة عنصرية اتجهت عرب الاسكندرونة ولجنة ومرسين وانطاكيا، وهي نفس المعاملة التي سار عليها الفرنسيون في الجزائر فهم حرموا العرب من التخاطب باللغة العربية وتدريسها بالمدارس الفرنسية والخاصة حتى الكتاتيب، بل انهم حرموهم قراءة القرآن الكريم وحتى سماعه باللغة العربية.<sup>٩</sup> وفي العشرين من تشرين الاول عام ١٩٢١ عقدت اتفاقية اخرى بين الأتراك والفرنسيين سميت باتفاقية انقره، على يد المسيو فرانكلين بويون (Frankin Bouillon) احد اعضاء البرلمان الفرنسي.<sup>١٠</sup> لا منحت هذه الاتفاقية امتيازات خاصة

<sup>٥</sup> سليمان موسى، المصدر السابق، ص ٣٥-٣٤.

<sup>٦</sup> Jemperley, H.A. History of the peace conference of Paris, Vol. VI, Oxford University press, London 1969 (Terms of Sakes picot Agreement) PP.16-18; Pichon, J. Le Partage du proche Oreint, Peyronnet. Paris, 1937, PP.106-109.

<sup>٧</sup> امين سعبد، المصدر السابق، ص ١٧٢.

<sup>٨</sup> جريدة الف باء (السورية) العدد ٢٤٦ في ٣٠ تشرين الاول/١٩٢١.

<sup>٩</sup> امين سعبد، المصدر السابق، ص ١٧٢.

<sup>١٠</sup> انظر: اتفاق انقره مجلة الرابطة العربية (المصرية) العدد ٣٦، مج ٢، ٣/ شباط/ ١٩٢٣، ص ٤٧٠-٤٧١.

لضمان اللواء من الأتراك<sup>11</sup>. وقد نصت المادة المباحة منه بوضع نظام إداري خاص بالاسكندرونة، وبموجب المادة الثامنة سويت الحدود بين سوريا وتركيا من الجهة الشمالية الشرقية<sup>12</sup>.

صحيح أن اتفاقية لنقرة قد انتهت الحرب بين الدولتين (تركيا وفرنسا) وأبقت لواء الاسكندرونة ضمن منطقة الإنتداب الفرنسي لكنها تضمنت نواة الخلاف على اللواء بين الاثنين.

لقد احتفظ لواء الاسكندرونة بنظام إداري خاص وبقي الوضع كذلك حتى عام ١٩٣٥<sup>13</sup>. كما استمرت قرارات المندوب السامي الفرنسي بإصدار قوانين شتى بخصوص النظام الخاص، الإداري والمالي للواء<sup>14</sup>. واستمرت السياسة التركية لعرقلة أعمال الناس والضغط عليهم ومسح الهوية العربية بالمنطقة حتى عام ١٩٣٦<sup>15</sup>، حيث يعد هذا العام نقطة انعطاف واضحة في مسيرة العلاقات السورية-الفرنسية-التركية، بسبب الصراع السوري مع الأتراك والفرنسيين حول لواء الاسكندرونة.

## ٢. قضية لواء الاسكندرونة مابين المعاهدة السورية-الفرنسية والمطالب التركية

ما أن تم توقيع المعاهدة في ١٩٣٦/٩/٩ حتى بدأ الأتراك باظهار رغبتهم في فتح ملف القضية، فنشطت الصحافة التركية في شن حملة في موضوع اللواء وطالبت بتعديل وضعه واستعرضت تاريخ قضيتها، وبلغت السفارة الفرنسية وزارة الخارجية الفرنسية بتقارير عن هذه الحملة. وبينت تصريحات وزير الخارجية التركية توفيق رشدي اوراراس حول القضية لحظة سفره الى جنيف لحضور اجتماعات العصبة والتي نشرت في ١٩٣٦/٩/١٩ على الصفحة الاولى لصحيفة (الجمهورية التركية) تحت عنوان (من أجل انطاكية والاسكندرونة التركيتين). ومن تصريحاته انه سيوزر فرنسا للبحث في قضية الاسكندرونة على ضوء المعاهدة للفرنسية السورية لان اغلبيه

Thobie J. Le nouveau cours Des relations franco-turques en (Relations Internationales) ON 19, paris, automne 1979, P.358.

<sup>11</sup> كتبت جريدة الف باء في العدد ٣٩٣ المؤرخة في ٢٣/٢/١٩٢١، بأنه جرت مناقشة في مجلس النواب الفرنسي حول مسألة سوريا وكيكلية والاسكندرونة، وقال الميسو (بريان): لا يوجد في سوريا شعب له تقاليد واعراف مشتركة، بل يوجد شعوب تحتاج الى رابطة، وستكون فرنسا هذه الرابطة.

<sup>12</sup> أحمد قنري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٥٦، ص ٢١٠-٢١١.

<sup>13</sup> A.A.E., S.-L. Vol 499, P.127.

<sup>14</sup> Ibid: P.128.

<sup>15</sup> Syria and Lebanon (History after 1914) Middle East, Vol.8. Oxford, London 1950, P.247.

سكانها من الأتراك. واقترح حل المسألة بين سورية وتركيا مباشرة وإن يقوم الوفد السوري بالمباحثة معهم<sup>16</sup>. فلما وصل الوفد السوري إلى استانبول في ١٩٣٦/٩/٢٢ ظن الأتراك بأنه قدم للمفاوضة بينما لم يفكر هو بذلك، وقد يكون حصل لديه انطباع بأن الأتراك يكتفون من الوفد بتصريح لحفظ مصالح أترك اللواء فقط. ولذلك تحدث أعضاء الوفد عن الصداقة مع تركيا وعن الرغبة في النظر في قضية الاسكندرونة بعد تولي الكتلة زمام الحكم. ولما صرح رئيس الوفد هاشم الاتاسي بقوله "إن الأتراك في سورية لهم مالنا وعليهم ماعيلنا، وإن اللواء جزء من سورية" اثار سخط الصحافة التركية<sup>17</sup>.

وهكذا تجنب الوفد التفاوض مع الأتراك بشأن اللواء باعتبار أنه لم يكن لديه تفويض من فرنسا ولأن سورية حينئذ لم تكن في وضع دولي يخولها الدخول في مفاوضات مستقلة لعقد أو تعديل اتفاقيات دولية عقدتها فرنسا باسمها، ولكن كان بإمكان الوفد استطلاع وجهة النظر التركية ومطالبها، وحيث لم يفعل فقد ترك الأمر للفرنسيين ومن ورائهم البريطانيين حتى يعالجوا القضية حسبما تقتضيه مصالحهم السياسية<sup>18</sup>. ولقد تضايقت الحكومة التركية من موقف الوفد السوري، ومن ثم هاجمت الصحافة التركية التي هي تحت تأثير حكومتها، تصريحات الوفد واشتكت حملتها بشأن قضية اللواء، وظهرت فيها مقالات تبين مطامع تركيا في اللواء، كما هاجمت بعض الصحف سوريا وفرنسا<sup>19</sup>.

وكان حليم وايزمن (زعيم المنظمة اليهودية) قد عمل على إثارة تركيا لتطالب بالاسكندرونة لوجود حجة لفرنسا لتأخير إبرام المعاهدة، إذ بعد عشرة أيام من مقابلته مع (بلوم) رئيس وزراء فرنسا اليهودي وصلت إلى فرنسا برقية من وزير خارجية

<sup>16</sup> برقيات السفارة الفرنسية برقم ٣٦٠-٣٥٨ في ١٩٣٦/٩/١٩، ورقم ٣٦١ في ١٩٣٦/٩/٢١، حيث اشارت إلى جريدة تركية أخرى (Luis) التي طالبت بنظم لاتراك اللواء أكثر حرية واستقلالية ليُسمح لهم بالتطور الممثل للاتجارات الكبيرة للأمة التركية.

A.A.E.S.-L.Vol.494, P.128-131.

<sup>17</sup> تفاصيل إقامة الوفد في استانبول والمفاتيح والاحاديث وملامسات الوضع بنظر: مجيد خنوري، قضية الاسكندرونة، مطبوعات المكتبة الكبرى للتأليف، دمشق، ١٩٥٣، ص ٢٣.

<sup>18</sup> لم يكن الفرنسيون يحلون المفاوضات المباشرة بين الجانبين التركي والسوري، ولذا فإن القائم بأعمال السفارة الفرنسية في استانبول حذّر للوفد السوري الذي ذهب فيما بعد إلى جنيف من أجل اللواء، أن لا يبقى في تركيا للمباحثة، بنظر:

A.A.E.S.-L.Vol.494, P.131.

<sup>19</sup> للاطلاع على نماذج من أقوال الصحف: مجيد خنوري، المصدر السابق، ص ٢٣-٢٦.

تركيا (اراراس) تسأل عن الضمانات التي اتخذت في المعاهدة لحماية الاقلية التركية في الاسكندرون<sup>20</sup>.

وفي اجتماع مجلس العصبة بجنيف في ١٩٣٦/٩/٢٦، تحدث وزير الخارجية التركي (نوفيق رشدي اراراس) عن قضية الاسكندرون وأشار الى اهتمام الرأي العام التركي فيها. واعرب عن سرور تركيا بحصول سوريا على مثل ماحصل عليه العراق بالمعاهدة، وذكر صلات الصداقة بين فرنسا وتركيا وسأل فرنسا ان تفسح المجال للحكومة التركية لتدخل في مفاوضات ودية مع الحكومة الفرنسية لحل قضية الاسكندرون التي تضم لكترية تركيا حسب قوله. فاجاب الميسوفينو (Vionot) ممثل فرنسا في مجلس العصبة بقوله "ان الحكومة السورية ستأخذ على عاتقها بموجب احكام المعاهدة، تنفيذ ماقطعتة الحكومة الفرنسية على نفسها من التعهدات فيما يخص سنجد الاسكندرون، اما اذا ارادت الحكومة التركية ان تنتهز هذه الفرصة لتحديد وضع الاسكندرون او تقديم مطلب جديد، فان الحكومة الفرنسية مستعدة للمفاوضة ضمن اتفاقية انقرة عام ١٩٢١، وان تشترك الحكومة السورية في هذه المفاوضات<sup>21</sup>.

ولم تكن تصريحات (فينو) ردا مفاجئا على طلب (اراراس) بل كانت عن دراسة مسبقة في وزارة الخارجية الفرنسية، حيث استعرضت الوزارة تعهدات فرنسا تجاه تركيا بخصوص الاسكندرون وكذلك وضع اللواء في المعاهدة الفرنسية السورية. وأشارت الى ان دولتي سورية ولبنان لن يصبحا عضوين في عصبة الامم قبل التزامهما بكل التعهدات الخاصة التي التزمت بها فرنسا، مثلما حدث بالنسبة للعراق<sup>22</sup>.

وهكذا تمكنت الحكومة التركية باثارة القضية في العصبة، من اعادة النظر في وضع اللواء امام الوفد السوري او ممثل سوريا في العصبة الذي اعطى باسم الحكومة الفرنسية الضوء الاخضر لمتابعة فتح موضوع الاسكندرون من خلال عباراته حول القبول بفتح باب المفاوضات، وفي الوقت نفسه استمرت التهديدات التركية وخاصة من رئيسها لتاتورك<sup>23</sup>.

<sup>20</sup> كان بلوم قد ابلىح الاتراك خلال مباحثات المعاهدة لتسجيل مطالبهم بشأن المعاهدة. فاجاب اراراس بانهم لا يطلبون الا ان يذكر في المعاهدة ان السوريين يعترفون بشرعية الاتفاقيات السابقة بين فرنسا وتركيا بشأن اللواء فقط:

A.A.E.S.-L.Vol, 495, P.186.

<sup>21</sup> A.A.E.S.D.N, Vol.572, P.13-16.

<sup>22</sup> يتضح ذلك من المذكرة الفرنسية المنظمة في ١٩٣٦/٩/٢٤ التي نظمت لوضع قضية الاسكندرون تحت ايدي رجال السياسة الفرنسيين الجدد ومنلوب فرنسا في العصبة:

A.A.E.S.-L.Vol, 494, P.141-143.

<sup>23</sup> مجيد خندوري، قضية الاسكندرون، ص ٢٨-٢٩.



وبدأت المناقشات بين فرنسا وتركيا حول الاسكندرون، طورا بمراسلات بين العاصمتين وطورا في عصبة الامم، واستمرت المراسلات الدبلوماسية في الفترة من ١٠/١٠ الى ١٩٣٦/١٢/٧ حيث بدأ سفير تركيا في باريس بتقديم مذكرة الى وزارة الخارجية الفرنسية تضمنت مطالب في اللواء واهمها ان تعقد فرنسا مع اللواء معاهدة على غرار المعاهدة مع سورية لمنحه استقلالا تاما. وبرت تركيا طلبها بصك الانتداب وبتفاقية انقرة، فاجاب وزير الخارجية الفرنسي دلبوس (Delbos) بكتاب اكد فيه استعداد فرنسا للتفاوض ضمن حدود اتفاقية انقرة التي تعطي للسواء نظام اداري خاص ضمن سوريا واستند الوزير على صك الانتداب واتفاقية انقرة ايضا. ثم قدم سفير تركيا مذكرة في ١٩٣٦/١١/١٧ فردت الحكومة الفرنسية باستعدادها لاحالة الامر الى مجلس عصبة الامم، فوافقت تركيا في ١٩٣٦/١٢/٤ واعلن وزير الخارجية موافقته بكتاب في ١٩٣٦/١٢/٧ وطلب الى الحكومة التركية الا تتخذ شيئا قد يثير او يوقد الوضع في اللواء ريثما يتم حسم النزاع في مجلس العصبة.<sup>24</sup>

وفي ١٩٣٦/١٢/٨ ابرق وزير الخارجية التركي الى سكرتير العصبة عن النزاع المتعلق بالسنق لادخال القضية في اجتماع العصبة في ١٩٣٦/١٢/١٠ فاستطلع السكرتير رأي الخارجية الفرنسية فوافق في برقية بتاريخ ١٩٣٦/١٢/١٠ مؤكدا ان هذه القضية ليست في الواقع بين فرنسا وتركيا وانما هي خاصة بالعصبة لانها تتعلق بمبدأ الانتداب الذي وضع اسمه مجلس العصبة ولجنة الانتدابات الدائمة.<sup>25</sup> ويمثل هذا الموقف بداية التراجع الفرنسي الفعلي للتنازل عن الاسكندرون، وقد جرى ذلك كله في وقت كانت فيه سورية مشغولة في اجراء الانتخابات النيابية لانشاء جمهورية المعاهدة حسبما اتفق عليه. ولذلك لم يكن للحكومة السورية الانتقالية في

Jons, John Moran, la fin du mandnt francais, sur la syrie, Paris, 1973, P.114.

<sup>24</sup> كان وزير خارجية تركيا قد تحدث ايضا الى مجلس العصبة في جلسة ١٩٣٦/١١/٧ ونوه بمصلحة تركيا في اللواء، عن ذلك وعن المراسلات في التقرير الفرنسي لعام ١٩٣٧ الذي استعرض تطورات القضية حتى تاريخه:

A.A.E.S.-L.Vol, 495, P.185.

وملفات قضية الاسكندرون في ارشيف الخارجية الفرنسية :

A.A.E.L.1930-1940, Vol,469-476.

Jons, J.H.la fin du mandat francais, P.113 و

ونجيب الارمنلي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٠٩.  
<sup>25</sup> عن برقية اراراس وبرقية سكرتير العصبة في التقرير الفرنسي لعام ١٩٣٧:

A.A.E.S.-L.Vol.495, P.186.

حينه علم بما يحدث ولا القدرة على اتخاذ شيء من تلقاء نفسها ولم يكن رجال الكتلة الوطنية قد تعلموا زمام الأمور بعد.

ولما علمت للحكومة السورية بالامر، وبلغها الفرنسيون ما تقرر بشأن العصبة، بادرت بالاتفاق مع الفرنسيين لتعيين وفد سوري ليذهب الى مقر العصبة في جنيف ويشترك مع الوفد الفرنسي بالدفاع عن لواء الاسكندرونة، وسافر الوفد في ١٩٣٦/١٢/١١ ووصل جنيف في ١٤ منه. وفور وصوله اجتمع بالوفد الفرنسي<sup>26</sup> الذي كان رئيسه وعضاؤه قد شاركوا في مباحثات المعاهدة، مما يعني ان بحث قضية الاسكندرونة مرتبط بالمعاهدة.

وعندما اجتمع الوفد السوري بالمسيو شوفيل عضو الوفد الفرنسي قالوا له انهم وتقوا بفرنسا وباقوالها وصدقها فيما يتعلق بالمعاهدة واعتمدوا على شرفها، ولذا يجب ان لا تتساهل باعطاء أي شيء من حقوق اللواء ان من حدوده زيادة عما تقرر في معاهدة نفرة وبحثوا معه الانتخابات التي جرت في اللواء ونتائجها ونسبة المشتركين ونسبة العرب وبقية العناصر واصفى اليهم بانتباه وسأل عن نسبة الاتراك وموقف الارمن والعربيين ونسبتهم ثم شرح للوفد موقف الترك<sup>28</sup>.

٣. قضية اللواء في مناقشات عصبة الامم :

بدأ مجلس العصبة اجتماعاته في ١٩٣٦/١٢/١٤ لمناقشة قضية اللواء فعرض وزير الخارجية التركي وجهة نظر حكومته وادعى ان الوضع في اللواء سيء ومؤلم واقتراح استبدال القوات الفرنسية بقوات جندرمة محايدة وقدم وثائق تدعم رأيه، ولم يرد عليه المندوب الفرنسي بل اقترح تعيين وسيط بين الجانبين، فسيين

<sup>26</sup> ضم الوفد السوري: عبد الرحمن الكيالي عضو الكتلة الوطنية وقد نجح في الانتخابات النيابية عن حلب. وحسن جبارة من انباء اللواء ورئيس المالية فيه. وانضموا الى احسان الجابري الذي ترأس الوفد وكان مقبلا في جنيف ينظر: عبد الرحمن الكيالي: المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالها الوطني ١٩٣٦-١٩٣٩، مطبعة الضلّاء، حلب، ١٩٦٠، ج ٤، ص ٣١٤، والغريب ان خدوري في كتابه المفصل عن قضية الاسكندرونة لم يشر الى الوفد السوري ولكنه فيما بعد ذكر احد اعضائه (حسن جبارة) ضمن الوفد الفرنسي نقلا عن جميل مرلم مع عدم تحديد تاريخ، مجيد خدوري، المصدر السابق، ص ٦١.

<sup>27</sup> ضم الوفد الفرنسي المسيو (فينو) (Vienot) رئيسا وعضاؤه هم روبردي كيه (Rober de Caix) مندوب فرنسا الدائم في العصبة، وشوفيل (Schoffil) ولاغارد (Lagurd) وكلاهما من موظفي المفوضية الفرنسية في سوريا ايام المفوضين بونمو (Poncot) ومارتيل (Martel) :

A.A.E.S.-L.Vol.496, P.187.

<sup>28</sup> تفصيل ذلك وادعاءات الاتراك في اللواء في التقرير المطول الذي قدمه الوفد السوري بعد عودته الى سوريا في ١٩٣٧/١٧ الى الحكومة السورية، للكيالي: المراحل، ج ٣، ص ٣١٣-٣٢٧.

المجلس مندوب السويد ساندلر (Sandler)<sup>29</sup> ثم غد المندوب الفرنسي (فيينو) في جلسة اليوم الثاني ١٩٣٦/١٢/١٥ لدعاءات الاترك واعترض تطور القضية تاريخيا منذ اتفاقية انقرة التي اعطت لاتراك اللواء بعض التسهيلات اللغوية والثقافية فقط والتي اقترنها معاهدة لوزان، ومنذ ذلك الحين كان اللواء جزءا من سوريا. وذكر ان المعاهدة ان تؤثر في وضع اللواء الخاص<sup>30</sup>. وهو الوضع الذي تعرفه تركيا جيدا<sup>31</sup>.

ثم اختتمت مناقشات المجلس في ١٩٣٦/١٢/١٦ حيث عرض الوسيط (ساندلر) تقريراً موافقاً باقتراح لحفظ الامن والهدوء باللواء فقط، وبرغبة فرنسا وتركيا بتأجيل للنظر في النزاع فصدر قرار المجلس، بدون موافقة تركيا، بارسال (بعثة ملاحظين) الى اللواء لمعرفة الحقائق وذكر (ساندلر) ان (فيينو) صرح بان ابرام المعاهدة الفرنسية السورية سيتأجل ريثما يصدر قرار من مجلس العصبة لحسم قضية الاسكندرونة، وان الجيش الفرنسي الذي ارسل الى اللواء سينقص عدده بعد وصول لجنة الملاحظين<sup>32</sup>. ووضح فيينو ان الدولة المنتدبة باعتبارها مسؤولة عن الامن والمحافظة على الارواح، رأت نفسها مضطرة الى ارسال قوة اضافية من الجنود والمعدات تكفي لمنع المشاغبين من التعدي. وهم الذين اثاروا الحوادث والوقائع وتعمدوا منع حرية

<sup>29</sup> Jons, J.N. La fin du mandat francais, 142.

وكان ساندلر مقرراً لقضية الموصل، الكيالي: المراحل، ج ٤، ٣٢٢.

<sup>30</sup> مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص ٣٥-٤١ و

Jons, J.: OP. Cit, P. 124.

وعن رأي فيينو ايضا :

Haye et Vienot: Les relations de la france, P. 23.

<sup>31</sup> اضافة الى اتفاقية انقرة فان تركيا تعرف وضع اللواء كجزء من سورية بموجب اتفاقية حلب في ١٩٢٦/٥/٣ التي عرفت تلاميذ الامن على الحدود، وان النظام الخاص الذي اعطي الى اللواء هو من المفوض السامي الفرنسي وليس التزاماً دولياً.

Jons, J.N. OP. Cit, P. 119.

كما ذكر فيينو ان تركيا تطعم بدستور اللواء لسنة ١٩٣٠ المصق من عصبة الامم والذي ينص على ان اللواء جزء من سورية، وتطم اشترك ممثلي اللواء في وضع القوانين وتصديق الموازنة ودخول وزيرين من اللواء في الحكومة السورية، وان الدستور السوري تجري احكامه على اللواء بلا تفریق او تمييز، الكيالي، المراحل، ج ٤، ٣١٨-٣١٩.

<sup>32</sup> تشكلت اللجنة من ثلاثة اعضاء وبشرت عملها فعلاً في ١٩٣٦/١٢/٣١. لمزيد من التفاصيل عن اللجنة وعضائها في: مجيد خدوري، المصدر السابق، ص ٣٥-٤٣؛ نجيب الارمناتي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص ١٠٦؛ وعن تقرير ساندلر التفصيلي حول قضية الاسكندرونة، الكيالي، المراحل، ج ٤، ٣٥٥-٣٥٦؛ وعن تفاصيل جلسات مجلس العصبة :

Jons, J.M. La fin du Mandat francais, P. 1230127.

التقرير الفرنسي لعام ١٩٣٧ A.A.E.S.-L, Vol 495, P. 186.

الانتخابات واستعمال الناس حقهم، واعلن ان للحكومة الفرنسية ستسمح بارسال الملاحظين المحايدين لمراقبة الحدود.<sup>33</sup>

ولما التقى وزير الخارجية التركي بالوفد السوري في اروقة العصبة اظهر بحرارة انه يريد الخير لسورية وباخلاص، وطرح فكرة لقامة اتحاد (كونفدرالي) بين اللواء وسورية ولبنان واتهم فرنسا بمعارضتها للاتحاد المقترح، فرد عليه الوفد: "انريد ليقاع العدواة بيننا وبين فرنسا؟" وكان من جهود الوفد السوري ايضا ان وزع على اعضاء المجلس تقريراً وضعته الكتلة الوطنية لاطلاعهم على وجهة النظر السورية ودفاعها وحققها في اللواء، ونشر الجابري عدة مقالات في بعض الصحف هيا بها الرأي العام لفهم القضية السورية ونقد فيها مدعيات للترك وطلباتهم.<sup>34</sup>

ثم سافر الوفد السوري الى باريس، حسب طلب الوزير الفرنسي لتقديم المعلومات اللازمة عن اللواء، فوصل الوفد في ١٨/١٢/١٩٣٦ وقدم للفرنسيين دفاعاً متضمناً احصاءات ووثائق لحض مدعيات وزير الخارجية التركي المستندة على مدعيات (عبد الرحمن ملك زاده) احد ادعاء الانفصال في اللواء والذي كان مرافقاً للوفد التركي. ولما اجتمع شوفيل (Schoffil) بالوفد السوري في ٢٢/١٢/١٩٣٦ لخص لهم مطالب وزير الخارجية التركي وتصلبه في لرائه. وفي اليوم الثاني وبحضور سفير فرنسا في تركيا المسيو بونسو (Poncot) اجتمع الوفد بالمسيو فينو (Vienot) الذي قال لهم "نحن لم نقبل أي مذكرة مع الاتراك قبل صرف نظرهم عن مطالبتهم باستقلال اللواء، مع انهم يصرون عليه، وهم لايعرفون أي نوع من الكونفدراليون يريدون، ومن الافضل ان يتصل سفيرنا برئيس الجمهورية التركية والا فالعصبة سوف تحكم بيننا"، ثم تابع شوفيل شرح محاولات الاتراك وضع اللواء تحت تصرفهم ونفوذهم عن طريق الكونفدراليون حيث سيحكمون بمقدرات سورية وقراراتها، وأشار بصرحة الى ان فرنسا ليست مستعدة لاراقة نقطة دم واحدة من جيشها اذا اثار تتركيا الحرب عليها.<sup>35</sup> وبقي الوفد السوري في باريس خمسة ايام عمل فيها على تنوير الرأي العام الفرنسي واجرى عدة اتصالات وشاهد جهود الاتراك

<sup>33</sup> الكيالي، المراحل، ج٤، ص ٢٢١، و Jons, J.N.OP.Cit, P.127.

<sup>34</sup> ولمزيد من التفصيل عن مشروع الحلف أو الاتحاد الذي رفضته فرنسا لأنه يشمل لبنان، ولم تعطه الحكومة السورية الاهمية، تجيب الامرنزي، المصدر السابق، ص ١٠٠-١١٠، و ١١٥، مجيد خوري، المصدر السابق، ص ٤٤-٤٧؛ وقد استمر الاتراك في اللواء بالمطالبة بوحدة سورية ولبنان والاسكندرونة تحت اسم (وحدة سورية الكبرى والرابطة الشرقية) من، بلقيز هتاي الدولة المستقلة، الاسكندرونة، ١٩٣٨، ص ٤٨-٥١.

<sup>35</sup> ذكر الكيالي ان دائرة الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية والتي يرأسها سان كنتان (Saint Quintant) ليس عندها خرائط ولا احصاءات ولا معلومات كافية عن اللواء بل كل مائديها تقارير مجملة عثت بها يد الاهمال والنسيان، الكيالي، المراحل، ج٤، ص ٢٢٥-٢٢٧.

للدعائية وتبين له ان بريطانيا تحبذ اعطاء اللواء الى تركيا خوفا من ميلها الى المانيا وإيطاليا<sup>36</sup>.

ولقد بدا واضحا ان تركيا استغلت تقرب بريطانيا وفرنسا منها بعدما انتشرت روائح الحرب في لوريا، فعملت على نيل مبتغاها عن طريق التهديد وبواسطة عصابة الامم التي كانت تحت سيطرة بريطانيا وفرنسا وحلفائهما<sup>37</sup>. كما كانت بريطانيا تخشى ان يصبح ميناء الاسكندرونة وهو تحت السيطرة الفرنسية قاعدة بحرية فرنسية في مواجهة الوجود البريطاني في قبرص<sup>38</sup>. وهذا ماكان الفرنسيون يأملونه بالفعل<sup>39</sup>. كما ان الفرنسيين الذين يقيمون من كمب رضا الوطنيين بالانتدلب، اشروا التخلي عن الاسكندرونة لكسب تأييد تركيا او حيادها في الحرب المرتقبة<sup>40</sup>.

اما الوضع في اللواء فكان على غير ما ادعى الاتراك وما روجته دعاياتهم، ففي عام ١٩٣٧ وحسب الاحصاءات الفرنسية للتقديرية، كان مجموع سكان اللواء ٢٢٢٠٠٠ نسمة منهم ٨٥٤٤٢ لترك بنسبة ٣٨,٣٩% فقط وهم بذلك اقلية عرقية، ويعلم الفرنسيون ان اللغة الغالبة في اللواء هي العربية حيث يتكلم بها (١٠٨٠٠٠) نسمة، ولكن الفرنسيون مع حرصهم على اظهار حقيقة الترك كاقليّة عرقية الا انهم قسموا باقي السكان تقسيما خلط بين العرقية والدينية والمذهبية ولا تظهر فيه اية اقلية، وهو ٦٢٠٢٦ نسمة علويين بنسبة ٢٧,٩% وعرب سنة ٢٢٤٦١ بنسبة ١٠,١% ومسيحيون ٤٩٠٠٠ بنسبة ٢٢% و٧٠٠٠ نسمة بنسبة ٣% متنوعون مذهب اكراد وشركس<sup>41</sup>.

<sup>36</sup> كان الكيالي وجبارة قد غلارا دمشق في ١٩٣٥/١٢/١١. وقد علوا اليها في ١٩٣٦/١/٦ وليس في ١٩٣٦/١/١٦ كما ذكر الكيالي اذ انه ينكر فيما بعد انه قدم تقرير الوفد السوري في اليوم التالي لوصوله اي ١٩٣٦/١/٧، الى وزارة الخارجية السورية اما الجابري فبقي في باريس لمدة اخرى ثم عاد الى جنيف للمراقبة، الكيالي، للمراحل، ج ٤، ٣١٤-٣٢٧، ٤٧٩، من التقرير المفصل عن مهمة الوفد.

<sup>37</sup> لمزيد من التفاصيل عن ادعاءات الاتراك، المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

<sup>38</sup> Baux. G. Deux anneés au levant, Souvenir de syrie et du Liban, Paris 1948, P.32.

<sup>39</sup> نجيب الارمناري، المصدر السابق، ص ١١١.

<sup>40</sup> قاوم الوطنيون السوريون الانتداب الفرنسي منذ ١٩١٩ وحتى عام ١٩٣٦، سواء بخطب زعمائهم ومقالات صحفهم ومظاهرات اتباعهم وثورات مناضليهم، وقفل عقد معاهدة ١٩٢٦، ١٩٣٢ حتى ظفرت فرنسا بمعاهدة ١٩٣٦ واكملت في عرضها على برلمانتها.

Jons, J.N. La fin du mandat francais, P.211.

<sup>41</sup> تفصيل السكان والطوائف :

Jons, J.N. La fin du mandat francais, P.211.

وفي حين افرد الفرنسيون الاتراك، لم يشيروا الى كونهم مسلمين سنة، ولما افردوا العلويين لم يذكرنا انهم عرب مسلمون، وقد ادعى الاتراك ان العلويين ليسوا عربا<sup>42</sup>. واجمل الفرنسيون المسيحيين بدون ان يفرقوا بين مذاهبهم كما فعلوا بالمسلمين، ولم يشيروا الى ان اكثرهم من العرب ولا الى وجود الارمن بينهم وهم ليسوا عربا، بل هم لاجئون من تركيا وناقمون عليها وقد وجدوا في فرنسا حامي لهم وسندا<sup>43</sup>.

ولقد عد بعض الكتاب العرب ان الجانب العربي في اللواء يشمل المسلمين السنة والعلويين والمسيحيين والارثوذكس ويضاف اليهم الارمن، وان هؤلاء يشكلون الاكثرية الحقيقية التي كانت تعيش بسلام وهدوء مع الاقلية التركية، ولكن من الناحية التاريخية والجغرافية فلتلك ان اللواء كان سوريا عربيا<sup>44</sup>. لكن تغيرت الاوضاع السكانية بازدياد اللاجئين والمهاجرين<sup>45</sup>. وساعدت سياسة الفرنسيين الطائفية على تنمية التفرقة والخلاف وظهور الاقلية التركية كقوة واحدة متميزة، فضلا على مهادنة الفرنسيين لتركيا، مما جعل اكثر الاتراك في اللواء ميايلين الى الانفصال عن سورية وطالبوا بذلك في مناسبات شتى<sup>46</sup>. بعد ان وقعوا فريسة للدعاية التركية وحرص

و Gressaty: Interets et devoirs de La France en Syrie Paris 1939, P.14-15.

وقد ادعى الاتراك ان نسبتهم في اللواء ٦٣%، جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الاوسط، ترجمة عمر الاسكندري، القاهرة ١٩٥٧، ص ٢٩٩.

<sup>42</sup> الكيالي، المراحل، ج ٤، ٣٢٨-٣٣١؛ نوقان فرقوق، تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٥-١٩٣٩، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٥، ص ٣٠٢-٣٠٣.

<sup>43</sup> Hourani, A.H: Syria and Lebanon, A Political Essay, Oxford University, London 1946, P.145.

وانشأت سلطات الاحتلال الفرنسي في ١٩٢٥ (الكتفب الارمنية) التي كلفت بقمع التظاهرات الشعبية، مما شجع بعض قادة الجالية الارمنية في سورية ان يطالبوا باتشاء وطن قومي ارمني في شمال شرق سوريا عام ١٩٣٠، وسعى الارمن لتحقيق ارمنييا الكبرى باتفاقهم في تركيا مع الكراد،

عبد الرحمن قاسم، كردستان والكراد، بيروت، ١٩٧٠، ص ٧٢؛ Pnaux, G. Deux années au levant, P.155؛ وقد بلغ عدد الارمن اللاجئين في اللواء المسجلين فيه ٣٢% من عدد سكانه ولكنهم توزعوا في انحاء سوريا ولبنان، الكيالي، المراحل، ج ٤، ٣١٦.

<sup>44</sup> من البحث التاريخي الذي قدمه بطريك السريان الارثوذكس في حمص في ١٩٣٧/١٢ والتقريب السوري الى عصبة الامم سنة ١٩٣٧ والذي بين اوضاع اللواء سكاتيا وتاريخيا، الكيالي، المراحل ج ٤، ٣٨٣-٤١٦.

<sup>45</sup> هتاي، الدول المستقلة، ص ٣١-٣٨.

<sup>46</sup> وكان اللواء مشغولا بقاتون الطوائف واحواله الاقتصادية سيئة، ولم تكن الحدود التركية تخلو من العصابات وكذلك من غارات البدو في الصيف والهجوم على طريق انطاكية-الاسكندرون:

الحكومة التركية على تنمية الثقافة التركية. فتشجع بعض اترك اللواء فالقوا (جمعية استقلال هاتاي) وحدثت مصاصمات بين العرب والترك ولاسيما بين طلاب المدارس، قتل فيها بضعة افراد<sup>47</sup>.

ولاريب في ان الحكومة التركية هي التي اثارَت هذه للدعاية، سواء في صحف تركيا ام في اللواء، لتبين للاوساط الدبلوماسية والجهات المختصة اهتمام الرأي العام التركي بمصير اترك اللواء، بعد ان تنال سورية استقلالها، وعلى اثر هذه الحملة الصحفية وهياج الشعب التركي، اشار كمال اتاتورك في خطبته الافتتاحية في المجلس الوطني التركي في ١٩٣٦/١/١ الى قضية الاسكندرونة وحرصه على مصير الاتراك فيها<sup>48</sup>.

واثمرت الدعاية التركية خلال فترة الانتخابات النيابية السورية والتي كان مقررا لها في اللواء في الدور الثاني بتاريخ ١٩٣٦/١١/٣٠ فقد اشارت الوثائق الفرنسية الى ظهور بعض الغليان<sup>49</sup>. واذاعت جمعية هاتاي في انطاكية بيانا على اترك اللواء حثتهم فيه على المقاطعة، فقاطعوا الانتخابات احتجاجا على الحكومة السورية<sup>50</sup>. ولكن الكيالي ينفي حدوث المقاطعة ويؤكد انها لم تقع وان الذين قاطعوا هم قسم من شباب الاتراك ومن المأجورين بدراهم الحكومة التركية وبتحريض من الدكتور (بيلوني) الذي ظن انه يعمل لمصلحة اللواء. والحقيقة انه كان يعمل ليصبح نائبا وطالب بكرسيين لبني طائفته الارثوذكس<sup>51</sup>. كما وقعت بعض الحوادث في يوم

Longrigg, S.H.Syria and Lebanon, under french Manddt, Beirut 1968,P.211.

<sup>47</sup> كان من سياسة الحكومة التركية قبول طلاب اترك في اللواء للدراسة في تركيا ونشر الصحف التركية بين سكان اللواء، واتخاذ بعض الاجراءات الرسمية وادعى طلاب الانفصال الاتراك ان مدينة الاسكندرونة لم يؤسسها الاسكندر المقدوني بل الهاتانيون (الحثيون) اجداد الترك برأبهم، مجيد خندوري، قضية الاسكندرونة، ص ١٩-٢٠، ٢٧؛ وتفصيل تدخلات تركيا وجهودها وتأثيرها والمطالبات السابقة لترك اللواء بالانفصال، وقرار العصبة في ١٨٣٢/٦/١٦ بخصوص مقامي العرائض الانفصالية والوحدوية، وقضية الاستقلالات في الكيالي، المراحل، ج ٤، ص ٣٢٠، وعن جمعية هاتاي ودورها في الدعاية عام ١٩٣٦، في من.بالقير، المصدر السابق، ص ١٦.

<sup>48</sup> Jons, J.N.La fin du mandat, P.114.

<sup>49</sup> التقرير الفرنسي المفصل عن عام ١٩٣٧ عن وضع سوريا السياسي ومن ضمنه صفحات خاصة بلواء الاسكندرونة واهدات الانتخابات: A.A.E.S.-L.Vol, 495, P.186.

<sup>50</sup> ومن.بالقير: هتاي الدولة المستقلة، ص ١٦.

<sup>51</sup> الكيالي: المراحل، ج ٤، ص ٣٢٤-٣٢٥؛ وعن دور (بيلوني) ينظر من.بالقير: هتاي الدولة المستقلة، ص ٤٢.

الانتخاب، ولكن تمت عملية الانتخاب وذهب نواب اللواء الى المجلس النيابي السوري وشاركوا فيه<sup>52</sup>.

واستمرت الحكومة التركية بجهودها فسمحت لبعض الاتراك بان يذهبوا الى اللواء لاثارة الحركة الانفصالية لدى لترك اللواء، وقد اشار الى ذلك وزير الخارجية الفرنسي دليوس (Delbos) بكتابه الى الحكومة التركية في ١٩٣٦/١٢/٧ والى وجود بعض العصابات التركية على حدود اللواء، وفي الوقت نفسه سهلت الحكومة التركية للدكتور عبد الرحمن ملك زاده احدى دعاة الانفصال، الحضور الى انقرة ليشترك في حركة تنظيم الدعاية الانفصالية، وساهم في تأسيس جمعية هاتاي في افنة وانقرة<sup>53</sup>.

لما العرب في اللواء فقد الفوا (جمعية الدفاع عن الاسكندرونة) لمقاومة الدعايات التركية ونشطت على الاخص (عصبة العمل القومي) لبث دعاية عربية واسعة والرد على الدعاية التركية<sup>54</sup>. ونبهت الصحف السورية الى المركز المتفوق للاتراك في الاسكندرونة على حساب العرب، لذا ارسلت الحكومة السورية رجالا من قبلها لبث الدعوة وتعزيز روابط المقاومة بين العناصر العربية<sup>55</sup>.

#### ٤. التفاهم الفرنسي التركي وقرار العصبة لفصل اللواء عن سورية

استؤنفت في باريس المباحثات بين فرنسا وتركيا في ١٩٣٦/١٢/٣١ واستمرت في ١٩٣٧/١/٢١<sup>56</sup>. وامر وزير الخارجية للتركي علي طالب فصل اللواء عن

<sup>52</sup> A.A.E.S.-L.Vol, 496, P.186.

<sup>53</sup> مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص ٢٧-٢٨ وعن انشاء جمعية هاتاي والدعاية التركية، ينظر التقرير المرفوع الى المفوضية الفرنسية في بغداد في ١٩٣٦/١٢/١٥: فرقوط تطور الحركة الوطنية في سورية، ص ٣٠١-٣٠٢. ومن بالخير، هاتاي الدولة المستقلة، ص ١-١٦، ففيه عن الدكتور (زاده) الانفصالي ونشاطه، وغيره من الاتراك الانفصاليين وعن احزاب اللواء (الشعب الشبوعي وعصبة العمل القومي، ولورها، ص ٣٩-٤٢؛ ومزيد من التفصيل عن نشاط (زاده) في: الكيالي، المراحل، ج ٤، ص ٣٢٤-٣٢٥.

<sup>54</sup> عصبة العمل القومي، استمت هذه العصبة عام ١٩٣٣، من الشباب المثقف في سوريا ولبنان، الذي انشق عن الكتلة الوطنية، فطوا اول اجتماع لهم في لبنان، ومن ابرز قائلتها في سوريا عبد الرزاق الدنشي، وفهمي المحاييري وصبري الصلي وزكي الارموزي، اما اهدافها فكانت تدعو الى سيادة العرب واستقلالهم والدعوة الى الوحدة الشاملة، وعدم التعاون مع سلطات الانتداب والحكومات التي يوافقونها، ينظر نونان فرقوط، المصدر السابق، ص ١٠٥.

<sup>55</sup> ومن النشاط المؤيد لبقاء اللواء جزءا من سورية، اعلان رئيس الحزب السوري القومي (انطوان سعادة) في كانون الاول ١٩٣٦ في صافيتا، عن استعداد الواف الحزبيين للموت عن الاسكندرونة، ينظر نجيب الامرناري، المصدر السابق، ص ١٠٩.

<sup>56</sup> ضم الجانب الفرنسي وزير الخارجية دلبوس (Delbos) ومعاونوه فينو (Vienot) وسفير فرنسا في تركيا بونمو (Poncot). وضم الجانب التركي وزير الخارجية اراراس وسكرتير



سورية. وتنفذ في كيفية الفصل بشتى المشروعات والمقترحات التي كان اهمها وخطرهما مشروع الاتحاد (الكونفدرالي) الذي قدمه في مذكراته الى وزير الخارجية الفرنسي في ١٩٣٧/١/١١، والذي يشمل الدول الثلاث سوريا ولبنان والاسكندرونة، ولأنك ان الحكومة التركية كانت تعلم انه ليس بالامكان تطبيق المشروع قانونيا لتضاربه مع احكام صك الانتداب على سوريا ولبنان الذي نص على تأليف دولتين مستقلتين، لذا فان مقصد تركيا مناهضة السياسة الفرنسية في سورية او التقرب من الحكومة السورية بفكرة ادخال لبنان في اتحاد معها، او الغائتين معا، ولذلك رفضت الحكومة الفرنسية مشروع الاتحاد لانه يشمل لبنان، ولم توجه الحكومة السورية العناية لدرسه بل اتبعت منهج الفرنسيين في عدم الاكتراث به<sup>57</sup>.

وهكذا فشلت محادثات باريس في الوصول الى نتيجة، وظهر الغضب في تركيا وازدادت التهديد باحتلال اللواء بالقوة مما اخرج موقف الحكومة الفرنسية في هذه الاونة، وخاصة لان الظروف الدولية للقائمة حينئذ كانت عاملا خطيرا في تقرير مصر لواء الاسكندرونة، اذ ان وضع فرنسا بوجود شبح الحرب، لايساعدها على الدخول في حرب من اجل قضية كهذه، كما كانت بريطانيا وفرنسا تخشيان ايطاليا مما دفعهما الى استرضاء تركيا في قضية المضائق فلم يكن من مصلحة فرنسا اذا ان تقسم عرى هذه الصداقة الجديدة، كما ان بريطانيا كانت تسعى لحل هذه القضية بشكل يزيد في التقارب بين الدول الثلاث وليس لبعاد تركيا عن حظيرتها فاختارت فرنسا الموقف الذي ناسب مصلحتها وهو فصل اللواء عن سورية، وبدلت مظاهر ارتخاء التصلب الفرنسي<sup>58</sup>.

وكان للصهيونية دورها في ظهور الارتخاء الفرنسي، اذ كان لها حلفاءها في الحكومة الفرنسية، وقد تدخل ولبزمن للمرة الثانية<sup>59</sup>. وقد ارسل وزير الخارجية التركي مذكرة في ١٩٣٧/١/١٦ الى الحكومة الفرنسية تضمنت مطالب تركيا الخطيرة، والتي مرت بثلاث مراحل: المطالب بفصل اللواء عن سورية، ثم مشروع

مصطفى كمال الخالص وسفير تركيا في باريس وغيرهم، ينظر: A.A.E.S.- L, Vol495, P.187.

<sup>57</sup> A.A.E.S.-L, Vol495, P.187.

<sup>58</sup> اعلن بعض اعضاء الحكومة التركية وتهديداتهم للحكومة الفرنسية وللشعب السوري باحتلال اللواء بالقوة، كما هدد الرئيس التركي بذلك في ١٩٣٧/١/٦ والتي اعقبها زيارة سفير تركيا الى المسيو (فينو) لتأكيد اصرار الحكومة التركية على موقفها بحل القضية بوسائل العنف وكانت بريطانيا وفرنسا قد استرضتا تركيا في مؤتمر مونترو (Montroux) فسمحتا لها بتسليم المضائق في ١٩٣٦/٧/٢٠، ينظر:

A.A.E.S.-L, Vol495, P.187.

<sup>59</sup> Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.128-129.

الاتحاد، ثم التهديد باستعمال القوة لفصل اللواء. فاضطرت الحكومة الفرنسية ان تتنازل عن اصرارها في وجوب حصر المفاوضات ضمن اتفاقية انقرة. وكتب بلوم (Blum) رئيس وزراء فرنسا (اليهودي الاشتراكي) رسالة الى سفير تركيا في ١٩٣٧/١/١٨ عرض فيها وجهة نظره الجديدة، وهي اهمال المناقشة ضمن اتفاقية انقرة، مع انه اكد ان وجهة النظر القانونية تؤيد وجهة النظر الفرنسية للتركية، وأشار الى عدم إمكان تطبيق فكرة الاتحاد، ولذا اقترح نظاما خاصا للواء فوافق الاتراك واتفق الجانبان على استمرار المفاوضات في جنيف بالمشاركة مع المقرر (ساندلر) لوضع تفاصيل مشروع النظام الخاص، واتخذ المقرر مقترحات الطرفين اساسا لتقريره في ١٩٣٧/١/٢٦.<sup>60</sup>

وهكذا يتضح ان هذا التغيير المفاجئ في الموقف الفرنسي كان نتيجة تدخلات خاصة اهمها تدخل رئيس المنظمة الصهيونية (وايزمن) وليس فقط نتيجة التهديد التركي والظروف الدولية، اذ عمل (بلوم) وهو صديق لوايزمن، على نقل القضية من الجانب الحقوقي الى الميدان السياسي، وجنح الى تسوية سياسية قامت على المصالح الاستعمارية البحتة وعدم مراعاة حق سورية ولاية جوانب حقوقية اخرى، وقد كانت الصهيونية وراء اثارة تركيا واصرارها على المطالبة باللواء للعمل على تأخير ابرام المعاهدة الفرنسية السورية ومن ثم تأخير قيام دولة عربية سورية مجاورة لفلسطين قد تشكل خطرا على مشروعات الصهيونية فيها.

وفي جلسة العصبة رقم (٩٦) في ١٩٣٧/١/٢٧ استعرض المجلس تقرير (ساندلر) الذي اقترح جعل اللواء وحدة سياسية منفصلة تتمتع باستقلال تام في شؤونها الداخلية، اما شؤونها الخارجية فتقوم بادارتها الحكومة السورية ضمن حدود وقيدود، وجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية فقط، واقترح انشاء نظام خاص وقانوني اساسي، وضمن تقريره مشروع النظام الخاص، واقترح تعيين لجنة خبراء لدرس مختلف الامور، وأشار الى ان بعثة الملاحظين ستنتهي في ١٩٣٧/١/٣١ واقترح تمديدتها الى ١٩٣٧/٣/١٥ لتزويد المقرر بالمعلومات<sup>61</sup>. فوافق المجلس على تقرير ساندلر واصدر قراره بذلك. وتمت بذلك مقدمات ما لولاه الاتراك، وابتهجت العصبة بحل النزاع بالطرق السلمية في حين تحملت سورية اعباء ونفقاته<sup>62</sup>. وتبادل

<sup>60</sup> A.A.E.S.-L, Vol 495, P.187.

<sup>61</sup> A.A.E.S.-L, Vol 495, P.187; Puaux, Deux années au levant, P.49-51.

<sup>62</sup> نجيب الازمنازي، المصدر السابق، ص ١١٠.

Haye et Vienot: Les relations de la france, P.53.

المندوبون كلمات الشكر والمدير<sup>63</sup>. واتضح ان قرار العصبة كان ناتجا عن اتفاق تام بين الحكومتين الفرنسية والتركية حيث دارت الاتصالات والمباحثات في لروقة عسبة الامم منذ ١٩٣٧/١/٢١ حتى تم التوصل الى القرار في ١٩٣٧/١/٢٧.

وشكل مجلس العصبة (لجنة الخبراء) في ١٩٣٧/٢/٢٠ وبدأت اجتماعاتها منذ ١٩٣٧/٢/٢٥ وحتى ١٩٣٧/٣/١٧ وتلقت مقترحات الخبير التركي والخبير الفرنسي ومعلومات واسعة من (لجنة الملاحظين) عن تقسيم اللواء واحصاء سكانه ولغات اهله، ثم عقدت جولة اخرى من الاجتماعات منذ ٤/٢٢ الى ١٥/٥/١٩٣٧ حتى تمكنت من وضع مشروع للنظام الخاص الذي بين وضع اللواء الدولي والقانون الاساسي الذي يبحث في التنظيم الداخلي للواء<sup>64</sup>.

وقد (ساندلر) الى مجلس العصبة تقرارا في ١٩٣٧/٥/٢٥ لخص فيه اعمال لجنة الخبراء ومحتويات النظام والقانون على ان يبدأ تنفيذ احكامها منذ ١٩٣٧/١١/٢٩ وسيمر اللواء بثلاثة اطوار: اولها يبدأ في ١٩٣٧/١/٢٩ وحتى اجتماع المجلس التمثيلي للواء وتكون فيه فرنسا صاحبة المصطلحات والثاني منذ اجتماع المجلس وتشكيل الحكومة وحتى نهاية الانتداب والثالث يتحرر فيه اللواء من الانتداب فتقوم سورية وفرنسا وتركيا بادارة شؤونه الخارجية<sup>65</sup>.

وفي اليوم نفسه ١٩٣٧/٥/٢٩ عقد الوفدان الفرنسي والتركي اتفاقية ضمان للمحافظة على كيان اللواء واستقلاله ونظامه الجديد، وعقدوا ايضا اتفاقية لاحترام

<sup>63</sup> شكر اراراس جهود (ساندلر) ومدح الصداقة الفرنسية التركية، واتى على جهود (ايلن) وزير الخارجية البريطانية، واتى (دلبوس) ايضا على (ساندلر) و (اراراس) واواصر الصداقة الفرنسية التركية وبين سورية وتركيا، ومدح (ايلن) ايضا والتفاهم للمحافظة على الهدوء الدولي، وكذلك هنا مندوب الاتحاد السوفيتي الوزيرين الفرنسي والتركي على الصداقة والحل ومدح (ساندلر) مجيد خدوري، قضية الاسكندرون، ص ٥٩-٥٧؛ ويورد الكيالي/ بيانا عن موقف الاتحاد السوفيتي صدر فيما بعد تجاه قضية الاسكندرون اصدره مكتب الانباء السوفيتي في ١٩٤٧/٩/٧ ايد فيه حق سورية في اللواء بعدما ضاع واستعرض فيه تاريخ القضية، نص البيان: الكيالي، المراحل، ج ٤، ص ٣٢٩-٣٣٥.

<sup>64</sup> كانت اللجنة برئاسة بلجيكي وعضوية فرنسي (Ropert de Caix) وانكليزي وهولندي وتركي والمقرر (ساندلر) وهو مندوب السويد، مزيد من التفاصيل حول لجنة الخبراء وقرار مجلس العصبة. مذكرات المجلس اللبناني السوري ١٩٣٧، ص ٧٤٧.

<sup>65</sup> تكلم (دلبوس) في نهاية الجلسة عن رضا فرنسا باتباع طريقة الوفاق السياسي لحل قضية الاسكندرون، تفاصيل مبادئ النظام في: الكيالي، المراحل، ج ٤، ص ٣٤٢-٣٥٩؛ الارمنازي، سورية، ص ١١٠.

وقد افاضت التقارير الفرنسية في الحديث عن النظام والقضية والاتفاق الفرنسي التركي، كتقرير وزارة الخارجية لعام ١٩٣٧ وتقرير المفوضية الفرنسية لعام ١٩٣٧، المرفوق الى وزير الخارجية.

الحدود التركية السورية واخرى لضمان استقلال سورية ولبنان، وبروتوكولات ورسائل متبادلة حول هذه المواضيع<sup>66</sup>. وفرح الاتراك بانتصارهم<sup>67</sup>. كما حصل لتاتورك خلال تظاهرة ضعبية في انقرة في حزيران ١٩٣٧، من سفير فرنسا (بونسو) على وعد بنقل طلبات الشعب التركي لضم اللواء اليهم الى فرنسا، فاعلن اتاتورك للمتظاهرين بان هاتاي (التسمية التركية للمنظمة) ستضم قريبا الى تركيا فعلت هتافات المتظاهرين بحياة تركيا وفرنسا<sup>68</sup>.

وهكذا كانت فرنسا تتساهل وتتآزل<sup>69</sup> والعصبة تقرر مايريده المسيطرون عليها، بحجة ان قضية الاسكندرون تهدد السلام الاوربي، ولذلك تم حلها سلميا على حساب سورية وحقوقها التاريخية والقومية والاقتصادية<sup>70</sup>. واقتصر التأيد العربي لسورية على بعض الجهات عن طريق الصحافة او ارسال برقيات الاحتجاج الى العصبة، كاللجنة العربية في فلسطين ونادي الطلبة السوريين في مصر وبرقيات من العراق، كما كانت مقالات الصحف العربية شديدة اللهجة<sup>71</sup>.

٥. موقف الحكومة السورية من اعلان فصل الاسكندرون :

بعد ان اتضح نجاح الكتلة الوطنية في الانتخابات النيابية السورية، مما يعني استلام رجالها السلطة، فقد بدأت مسؤوليتهم عن قضية الاسكندرون التي دخلت مرحلة جديدة، لذلك ارسل فينو (Vienot) كتاب في ١٩/١٢/١٩٣٦ الى الرئيس هاشم الاتاسي اشار فيه الى طلب تركيا المباحثة حول حدود سورية، وذكر ان الامور اتجهت الى حمل الموضوع الى مجلس العصبة، وطمان الرئيس بان المجلس سينظر في الامور بطريقة تعارض مدعيات الاتراك واكد ان فرنسا تضع نصب عينها الدفاع عن حقوق سورية، ورافق بكتابه محاضر جلسات مجلس العصبة<sup>72</sup>.

<sup>66</sup> ضم الوفد الفرنسي (نابوس وفينو ودوركيه) والتركى (روستو واراراس وميسفلي وسويك)، ينظر:

A.A.E.S.-L, Vol 495, P.187-188.

<sup>67</sup> اكرم المجلس الوطني التركي الكبير الاتفاقيات الفرنسية التركية في ١٤/٦/١٩٣٧، واشتت الصحف التركية وهي ناطقة بلسان حكومتها على التسوية التي تمت في جنيف واعتبرتها نصرا للحكومة التركية، مجيد خدوري، قضية الاسكندرون، ص ٧٨.

<sup>68</sup> يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٨٢-٢٨٣.

<sup>69</sup> اعترف بذلك بعض الفرنسيين ومنهم المفوض السلمي (بيو) Puaux G: OP.Cit, P.51.

<sup>70</sup> نجيب الارمنلي، المصدر السابق، ص ١١٠.

<sup>71</sup> تفصيل ذلك ينظر: مجيد خدوري، قضية الاسكندرون، ص ٧٩-٨٠؛ الكيالي، المراحل، ج ٤،

٣٤١.

<sup>72</sup> Vienot Pierre: Le Traite franco- syrien, Impr.F.Jallous, Paris, 1939, P.10.

وفور لاكمال قيام الحكم الوطني، اشار رئيس الوزراء جميل مردم الى قضية الاسكندرونة في اول بيان للحكومة امام المجلس النيابي في ١٩٣٦/١٢/٢٢ وذكر انها مشكلة خطيرة تواجه الحكومة في عهدها الجديد، وان الحكومة حريصة على الصلات الطيبة مع الجارة تركيا وشعبها<sup>73</sup>.

واشار تقرير لجنة المعاهدة في المجلس النيابي في ١٩٣٦/١٢/٢٦ الى ظهور قضية الاسكندرونة ومطالبة تركيا باللواء، ولكد التقرير ان اللواء جغرافيا جزء من سورية وسكانه عرب سوريون في اكثريةهم الساحقة، وان من كان منهم تركيا من حيث اللغة فهو سوري الجنسية، وحث التقرير الحكومة للحفاظ على اللواء، ثم جرى اقرار المعاهدة في المجلس النيابي الذي اشترك فيه نواب من اللواء كباقي اجزاء سورية<sup>74</sup>.

وباشرت حكومة الكتلة الوطنية اعمالها تجاه قضية الاسكندرونة بتهيئة الدعاية التي تعبر عن الرأي العام السوري الحقيقي في الجرائد الخارجية والداخلية، وارسلت الرسل الى اللواء لتقوية معنويات العرب وتشجيعهم على مقاومة الدعايات التركية التي كان يروج لها للمأجورون من الاتراك وللوائيون الناقمون، ونشطت همت عرب اللواء وامنتهم بالمال ليؤسوا انديتهم وجمعياتهم ومدارسهم التي تعمل لمصلحة اللواء ومصلحة العرب اخوانهم<sup>75</sup>.

ومع تولد اخبار قضية الاسكندرونة وتطوراتها، فان سورية كانت تغلي وتجري فيها المظاهرات والاضرابات والاحتجاجات في المساجد والمقالات في الصحف، ومهاجمة فرنسا<sup>76</sup>.

وقد امتد النشاط التركي الدعائي الانفصالي في اللواء الى اكراد (ولاي قره صو) وكراد جبل كردراغ خارج اللواء وفي المناطق الحدودية السورية المجاورة لتركيا، حيث جرت بعض الاتصالات مع عدد من زعمائهم في الفترة من ١٩٣٧/١/١٢ لدفعهم للمطالبة بالالتحاق باللواء ولتقديم العراض الى العصبة بذلك، كما امتد النشاط للدعائي التركي ايضا الى قبيلة التركمان في منطقة جرابلس، ثم جرت

<sup>73</sup> نجيب الارمناري، المصدر السابق، ص ١٠٧-١٠٨.

<sup>74</sup> مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٦، الجلسة الخامسة ليوم السبت ١٩٣٦/١٢/٢٦، وتضمنت المعاهدة ضم منطقتي اللاذقية والسويداء الى سورية بينما كان اللواء جزءا رسميا من سورية يتمتع بنظام اداري خاص، يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ٢٧٧.

<sup>75</sup> الكيالي، المراحل، ج ٤، ص ٣٣٥-٣٣٦.

<sup>76</sup> Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.130.

لقاءات مع جمعية (هاتاي) في كلس ثم مع مندوب العصبة، وقام الاتراك بتوزيع القبعات التركية مجاناً على الفلاحين الاكراد.<sup>77</sup>

وكانت المفوضية الفرنسية ترصد هذا النشاط الدعائي وتتابع موافاة وزارة الخارجية الفرنسية بالتقارير التفصيلية عن الاوضاع في اللواء، وعن الدعاية التركية فيه وفي مناطق شمالي سورية، وتبين اطماع تركيا في حلب، حيث انتشرت دعاية تقول انه لايمكن لحلب ان تعيش بدون تركيا ولا بدون اللواء.<sup>78</sup>

وتابعت (لجنة الملاحظين) عملها في اللواء، واطلعتها الحكومة السورية على كل ما عندها من اخبار وحجج ووثائق تبطل مدعيات الترك وتبين رأيها بان بقاء اللواء ضمن الوحدة السورية خير له ولسلامة البلاد الشمالية، واكدت ان اكثرية سكان اللواء (العرب والارمن) يصرون على ارتباطهم بوطنهم السوري وافقتت اللجنة، و اشارت في تقريرها الى الاكثرية العربية، وشاهدت اللجنة حوادث شديدة في قرية الريحانية، وشاهدت النشاط الدعائي التركي والعربي.<sup>79</sup>

ولعل الحكومة الوطنية لاحظت ان دوريو (Deriant) وكيل المندوب السامي الفرنسي في اللواء يقاوم الحركة الوطنية السورية والروح العربية، وينفذ للمشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية لابقاء اللواء مستقلاً تحت انتداب فرنسا وسلطاتها، وهذه السياسة نشرت اللغة الفرنسية والتعليم الفرنسي اجبارياً وروجت الثقافة التركية ووسعت للتعليم بالتركية، في حين قاومت الصحافة السورية وارتباط اللواء بالوحدة السورية، وقد اضطهد (دوريو) الشباب المتحمس للعروبة (من العرب المسيحيين والعلويين والسنيين) ومال الى الاتراك الطورانيين لينال تأييدهم، وكان ذلك في نفس الوقت الذي كان فيه حسني البرازي حاكماً للواء يمثل الجمهورية السورية، ولذلك فان الحكومة سعت لدى المفوضية العليا لمسحب (دوريو) والحت على ذلك.<sup>80</sup>

<sup>77</sup> من رسالة المفوضية الفرنسية في بيروت في ١٩٣٧/١/٢٨ الى وزير الخارجية الفرنسية عن حالة الاكراد في شمالي سورية، وهي برقم ١٠١ ومرفق بها التقرير المفصل لمندوب فرنسا في حلب في ١٩٣٧/١/١٥.

A.A.E.S.-L, Vol 495, P. 134-146.

<sup>78</sup> اشارت الى ذلك رسالة المفوضية الفرنسية رقم ٣٣٦ في ١٩٣٧/٣/٢٦ الى وزير الخارجية الفرنسي والمرفق به مذكرة في ١٩٣٧/٣/٢٢ حول الوضع السياسي في الجزيرة العربية والمناطق السورية الشمالية:

A.A.E.S.-L, Vol 495, P. 147-159.

<sup>79</sup> A.A.E.S.-L, Vol 495, P. 188.

<sup>80</sup> ويقول الكيالي ايضاً: اثرى دريو من اللواء واستبد في اموره كحاكم مطلق وعمل بكل ماوتي من مال وقوة وسلطة لتنفيذ مآربه الخاصة والمشاريع السياسية، وقد عزلته الحكومة الفرنسية من عمله فيما بعد، وغادر اللواء نهائياً في ١٩٣٧/٦/٣٠، ويقول " كان حسني البرازي معيماً من قبل

وتابعت الحكومة الوطنية تساريع تطورات قضية اللواء في العصبة وفي فرنسا، ويروي مردم ذلك بقوله "عند ورود اخبار القضية، احتجت الحكومة لدى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الامم، وكانت معربة في ذلك عن رأي الامة التي شاركتها في جميع طبقاتها بالاحتجاج والشكوى، وقررت ان ترسل رئيس الوزراء ووزير الخارجية والداخلية والدفاع عن حقوق سورية في باريس وجنيف"<sup>81</sup>.

و غادر الوفد السوري في ١٩٣٧/٢/٣ الى باريس لولا وقابل وزير الخارجية الفرنسي (دلبوس) ووكيله (فينو) ثم توجه الى جنيف وعاد الى سورية دون ان يفوز من الرحلة بباطل، وتجنب في طريق عودته عبر تركيا التفاوض مع الاتراك بناء على طلبهم، حيث استقبلهم في محطة انقرة القائم باعمال السفارة الفرنسية متظاهرا انه لا رأي له في بقائهم او عدمه، ولكنه في الحقيقة كان يحبذ عدم بقاء الوفد<sup>82</sup>.

ولما قدمت الحكومة بيانها الى مجلس النواب في ١٩٣٧/٤/١٧ شرحت تطورات القضية وتحدث نائب اللواء صادق معروف باسم زملائه واكد ان اللواء سوري عربي<sup>83</sup>.

ولما تحدث رئيس الوزراء امام المجلس النيابي في ١٩٣٧/٥/٢٥، اعلن عن سفره الوشيك ضمن وفد اخر لمتابعة القضايا وعلى رأسها قضية الاسكندرون وقال "ان غايتنا الاساسية هي ان نؤمن استقلال بلادنا وسيادتنا وصدافتنا مع حليفنا الدولة الفرنسية، وان نؤمن احسن العلاقات واطيبها مع جارتنا تركيا على شرط ان لاتمس حقوقنا وسيادتنا"<sup>84</sup>.

وفي الجلسة نفسها قدم وزير الخارجية والداخلية بيانا عن تطورات القضية وذكر ان وفد الحكومة السابق قدم مذكرة غير رسمية شرح فيها وجهة النظر السورية،

---

الفرنسيين، الكيالي، المراحل، ٤، ج، ٣٣٥-٣٣٦، وابدى اثرالك اللواء رايهم بـ(دريو) بأنه يعمل على بقاء اللواء تحت السيادة الفرنسية وراوا في ذلك معارضة لتسليمه الى تركيا، وأنه بعد ان عمل على التحضير لحزب يعمل على استقلال اللواء تحت الانتداب الفرنسي وهو (حزب اتحاد العضصر) وقد نجح في ذلك في شباط ١٩٣٧، من بلفير، هتاي، ص ٨٩-٩٠.

<sup>81</sup> وقال مردم عند ورود اخبار الاتفاق وتقرير مقتل وقرار العصبة بالاستقلال اللواء ذاتيا "من بيان مردم في ١٩٣٧/٤/١٧ امام المجلس النيابي، نص البيان في مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، ص ١٢-١٤.

<sup>82</sup> اضافة الى مردم والجابري، ضم الوفد نجيب الارمنزي امين عام رئاسة الجمهورية السورية، نجيب الارمنزي: سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص ١١٢.  
وعن جهود مردم والجابري اثناء سفرتهما الى باريس وجنيف:

Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.131.

<sup>83</sup> عن البيان ايضا في: الكيالي: المراحل، ج٤/٣٣٧-٣٣٩.

<sup>84</sup> نص الكلمة في: مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، ص ٨٧٩-٨٨٠.

وان الحكومة ارسلت (حسن جبارة) ثانية كمساعد للخبير الفرنسي من الناحية الفنية في (لجنة الخبراء) ولكن جاءت الاخبار بان اللجنة اتجهت اتجاهها لايضمن تحقيق الطلب الذي قدمته الحكومة فاستدعته فعاد في ١٩٣٧/٥/٢٣، ولم يكن ذلك عن تأثير أي دولة او هيئة، وذكر ان الحكومة رفضت قيام أي اتصال باللجنة وان تقريرها وصل اليوم وستدرسه الحكومة<sup>85</sup>.

وفي الوقت نفسه كانت الجهود مستمرة في عصبة الامم لوضع النظام الخاص والقانون الاساسي للواء، وكان لذلك ردود فعل في سورية على مختلف المستويات للوقوف في وجه المؤامرة الدولية لسلخ اللواء من سورية ومن ثم تسليمه الى تركيا، ولذلك غادر الوفد الثاني للحكم الوطني في ١٩٣٧/٥/٢٧ الى باريس وجنيف لمتابعة قضية اللواء، ولكن العصبة اقرت للنظام والقانون في ١٩٣٧/٥/٢٩ ومع ذلك فان فكرة تجزئة اللواء عرضت على مردم في تركيا لثناء عونه من قبل رئيس وزراء تركيا وبحضور سفير فرنسا<sup>86</sup>.

وبعد صدور قرار العصبة اعدت الحكومة السورية مذكرة اضافية ارسلتها الى وزارة الخارجية الفرنسية في حزيران ١٩٣٧، هددت فيها بشيء من التفصيل محتويات قرار مجلس العصبة وبينت حق سورية في اللواء، وان ماتم اتخاذه قد جرى من غير ان يؤخذ رأي السكان ذوي العلاقة<sup>87</sup>. الا انه بدا عدم تصلب الحكومة في موقفها من القضية لـ لعل بعض رجال الحكم كانوا يروا المكوت يجري من اجل استمرار الحكم في سورية والحصول على الاستقلال<sup>88</sup>، ولعل موقف مردم كان بسبب خشيته من

<sup>85</sup> لقد قيل ان حسن جبارة سحب بناء على طلب تركيا، ويشير الكيالي الى ان هذه المذكرة وغيرها لم يجد لهم اثرًا في سجلات وزارة الخارجية السورية لان الفرنسيين استولوا على الاوراق الرسمية وانتقلوا بعد ان تركه الوزارة في علم ١٩٣٩، الكيالي، المراحل، ج، ٢٢٩-٣٤١، ٣٥٩، ونص كلمة الجابري في: مذكرات المجلس النيابي السوري، ١٩٣٧، ص ٨٧٨-٨٧٩.

<sup>86</sup> ضم الوفد (مردم والجابري والارمناري) ويذكر الارمناري ان الوفد تلقى اثناء عونه عن طريق تركيا دعوة عن طريق السفير الفرنسي للاجتماع برئيس وزراء تركيا، واستقر الرأي على بقاء مردم وحده واجتمع مع ابنونو بحضور بوتسو حيث عرضت فكرة التجزئة، نجيب الارمناري، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص ١١٢-١١٣، وانظر: مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص ٧٣-٧٤؛ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ٢٧٢.

<sup>87</sup> ملخص المذكرة، مجيد خدوري، المصدر السابق، ص ٧٠-٧٣، وعنها ايضا في: الارمناري، المصدر السابق، ص ١٥٨.

<sup>88</sup> انظر رسالة احمد قنري الى شكري القوتلي في ١٩٣٧/٦/٢٧ التي ترضى بقبول قرارات جنيف لضمان استمرار الدولة السورية في: قروظ، تطور الحركة الوطنية في سورية، ص ٣٠٢-٣٠٣.



الاصطدام مع الفرنسيين فقد خسارة الاسكندرونة لاستحقاق كل الاهتمام لان الاتراك سيكونوا هم الخاسرين بضم العرب اليهم<sup>89</sup>.

وقد حرك موضوع الاسكندرونة والحديث عن اهمية ميناء الاسكندرونة لسورة، مطلب أعضاء ميناء طرابلس لسورية بدلا منه، مما سبب لزعاجا في الاوساط اللبنانية، كما ان السكوت عن اعطاء اللواء لتركيا قد اثار الخوف من مطالبة تركيا (بحلب) لوجود بعض السكان الاتراك فيها<sup>90</sup>.

ومشارك المجلس النيابي الحكومة الوطنية بالاهتمام بقضية الاسكندرونة، ولذلك لم تخل جلساته من استعراض اخر اخبارها ومناقشة بيانات رئيس الوزراء والوزراء حولها من قبل مؤيدي الحكومة ومعارضيه وبمشاركة نواب اللواء، وقد عقب النواب على بيان مردم في ١٧/٤/١٩٣٧ واظهروا عتابهم لتركيا على موقفها واكتوا عروبة اللواء واهميته لسورية وللعرب<sup>91</sup>.

ومع توارد الاخبار التي لا تطمئن من اخر تطورات القضية، لذا طالب النواب في جلسة ٢٤/٤/١٩٣٧ ان توافيهم الحكومة بما لديها من معلومات عن سير القضية في جنيف ومصير هذا اللواء العربي وطالبوها بتصريح عما قامت وماستقوم به، وتساؤل احد النواب عن موقف فرنسا بقوله "ان فرنسا تعطينا المعاهدة باليد اليسرى وتأخذ منا الاسكندرونة باليد اليمنى فقد كفى ما لقتطع من البلاد للسورية حتى الان وهي عزلاء لاحول لها ولا قوة"<sup>92</sup>.

<sup>89</sup> من مذكرة انطوان سعادة رئيس الحزب القومي السوري، الاحزاب في سورية، ص ٨٩، وأشار ببو الي ان اهتمام السوريين في امر الاسكندرونة كان قليلا لان حدود اللغة التركية والعربية لم تكن واضحة المعالم.

Puaux, G. Deux années au levant, P.54.

<sup>90</sup> Jons, J.N.: La fin du mandat fraucis, P.131-132.

<sup>91</sup> على سبيل المثال كلمة النائب صافي معروف عن زملائه نواب اللواء "ان جارتنا العزيزة تركيا ترغب بتفصيل اللواء انفصالا تاما، وجرالدها تصرخ وتهدد قفلة بأنها ستأخذ حقها بالقوة اذا لم تفل مطالبها، هذا مع انه لاحق لها بهذا اللواء من أي وجه كان، وهو سوري عربي منذ أقدم الأجيال حتى تاريخه، والتاريخ ثبت بلا ريب وهذا ما أثقل راحة السكان العرب والأرمن الذين يشكلون ثلثي السكان والذين هم مستعدون للتضحية... واني أقدم شكري للحكومة الفرنسية الفخيمة ام الحرية والعدل لمدافعها عن حقنا الصريح"، وقدم نائب الاسكندرونة الشيخ داود تقرير طلب فيه بضم اللواء الى سورية وبعض الاصلاحات: ينظر: مذكرات المجلس النيابي السوري، ١٩٣٧، ص ٨-٤٩؛ الجلسات الاولى والثانية في الدورة العادية الاولى في ١٦-١٧/٤/١٩٣٧، وكان نواب اللواء يشاركون في مناقشة جميع القضايا السورية، على سبيل المثال: تقرير نائب انطاكية حول الضرائب في جلسة ١٧/٤/١٩٣٧، وتقرير نائب قرقخان حول الضريبة على الزراعة في جلسة ٢٤/٤/١٩٣٧.

<sup>92</sup> مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، للجلسة الرابعة في ٢٤/٤/١٩٣٧، ص ٥٠.

ولعل بعض النواب لاحظوا ان اثاره تركيا لقضية الاسكندرونة مرتبطة بقضية سورية كلها وبالمعاهدة، لذا لكدوا انه لا فصل بين القضيتين، وتسألوا عن مصير سورية والمعاهدة، اذ اخرج اللواء من نطاق السيادة السورية لان دستور سورية ينص على ان تسوية وحدة سياسية لا تتجزأ. ففي هذه الحالة تتحلل سورية من المعاهدة، واتهم هؤلاء النواب الحكومة باخفاء المعلومات عن المجلس والشعب، فكان هجوم النواب شديدا على موقف الحكومة والعصبة وفرنسا والمعاهدة واعلنوا اصرارهم على التضحية<sup>93</sup>.

ولما علم النواب بقرار عصبة الامم في ١٩٣٧/٥/٢٩ باقرار نظام اللواء وقانونه الاساسي، بدلو نقاشا حاميا وطالب بعضهم بضرورة ابلاغ الوفد السوري الذي سافر في ١٩٣٧/٥/٢٧ بأن المجلس لا يعترف بقرار العصبة، في حين طالب اخرون بانتظار نتيجة عمل الوفد، وتحدث احد النواب عن موقف عرب اللواء والارمن واستعدادهم واستغرفت هذه المناقشات جلستي يوم ١٩٣٧/٥/٣١ حتى اتخذ المجلس قراره التاريخي باستتكار قرار العصبة، وكان مدفوعا بالمظاهرات الشعبية الصاخبة<sup>94</sup>. وشارك نواب اللواء في هذه المناقشات واعلنوا رفضهم لفصل اللواء عن سورية، وكذلك تحدث رئيس الوزراء بالنيابة ووزير المالية والدفاع الوطني شكري القوتلي فقال "ان الوفد الذي سافر في ١٩٣٧/٥/٢٧ الى الغرب ليرجي له ان يعود موافقا ومؤيدا بفضل حجة القوية، وان الحكومة تعبر عن رأي المجلس للمؤقر وعن لمانتي ورغبات الامة"<sup>95</sup>.

ولكن الوفد لم يستطع ان يفعل شيئا، ولتاء عودته توقف رئيسه مردم في تركيا، بينما عاد الجابري فلم يتمكن من تبديد الشكوك وازدياد الشبهات حول رئيس الوزراء او الدفاع عنه، ولما عاد مردم ووقف متحدثا عن سفره امام المجلس النيابي، لم يستطع الرد على انتقادات نواب المعارضة لضعف الحكومة وجود الوزراء بعد اعتلائهم كرسي الحكم<sup>96</sup>.

<sup>93</sup> مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، الجلسة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في الفترة من ١٩٣٧/٤/٢٤-١٩٣٧/٥/٢٥، ص ٨٨١-٥٠.

<sup>94</sup> تحدث النائب منير العجلاني عن موقف سكان اللواء واثار حماية المجلس بما عرفه من اخبار لاتخاذ قرار يؤكد على عروية اللواء ورفض قرار العصبة، مذكرات المجلس النيابي السوري، ١٩٣٧، ص ١١٥٦-١١٥٧، الجلسة ٢٢، ٢٣ في ١٩٣٧/٥/٣١، ص ١٠٤٩-١١٥٧، وينظر، لكيالي: المراحل، ج ١/٤-٣٤١، مجيد خوري، قضية الاسكندرونة، ص ٧٤-٧٥.

<sup>95</sup> تحدث نائب اللواء صادق معروف باسم زملائه نواب اللواء واعلن ان اللواء سوري عربي الى الابد ان شاء الله، وكذلك نائب اللواء داوود ريجان الذي اعطى رفض فصل اللواء، وصفق النواب لكلمة القوتلي، مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، ص ١١٥٦-١١٥٧.

<sup>96</sup> يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ٢٧٣-٢٧٤.

وما ان علم السوريون بقرارات العصابة حتى هاجت البلاد واحتجت وابتدعت وقامت التظاهرات الصاخبة في كافة المدن السورية وللبنيانية والتي تختم ببرقيات احتجاجية الى المفوض السامي ووزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الامم، وكثيرا ماكانت لجهة البرقيات شديدة الى حد التصريح بسفك الدماء واستعمال العنف والقوة اذا اقتضى الامر، وكتبت الجرائد السورية المقالات العديدة الشديدة اللهجة باستتكار ماقدرته للعصابة وعدت عملها ازدراء بحقوق السوريين وتأمرأ على بلادهم<sup>97</sup>.

ولما كان توقف مردم في تركيا (اولخر حزيران ١٩٣٧) قد اثار الشكوك وزاد في الشبهات حوله، ولذا في اليوم التالي لوصوله الى دمشق (١٩٣٧/٦/٣٠) قامت تظاهرة شعبية صاخبة اعلن فيها المتظاهرون نفقة الشعب على الحكومة والكتلة الوطنية والسياسة الاجنبية وتوقفوا امام مقر الحكومة في ساحة المرجة بدمشق وهم يصيحون باقبح النعوت، مما اضطر رئيس الوزراء الى الظهور في شرفة مكتبة المطلة على جميع المتظاهرين قائلا بصوت عال "ان اسكندرونة عربية وان تنفك عن امها سورية فكونوا باطمئنان" حينئذ سار المتظاهرون في طريقهم ثم تفرقوا باشارة من زعمائهم وابرزهم الشيخ كامل القصاب، بانتظار ماسيلده الغد من حولات حول الاسكندرونة<sup>98</sup>.

#### ٦. موقف سكان اللواء من قرار الفصل عن سورية:

كانت حالة السكان في اضطراب وغليان شديدين عندما كانت المفاوضات تجري بين تركيا وفرنسا في جنيف ولاسيما ان انقسامهم الى طوائف عنصرية ودينية ومذهبية قد زاد في شدة التطاحن وتضارب الدعايات بين الاحزاب والجماعات المختلفة، ويمكن تحليل التيارات الفكرية المختلفة وموقفها من قضية اللواء كما يلي:

فالأتراك كانوا منقسمين على انفسهم من حيث شعورهم نحو الجمهورية التركية، وهو امر مهم فيما يتعلق بمستقبل اللواء، فالمتجددون وجلهم من الجيل الجديد، معجبون بالحركة الكمالية ومتحمسون جدا لحركة الانفصال عن سورية والاتحاق بتركيا، ويشتمل هذا الفريق على اكثرية أتراك اللواء، وكان له حزب منظم وجمعية سياسية تستمد تأييدها من الحكومة التركية، ولها اتصال بجمعية هاتاي في تركيا، واصدر هذا الحزب بضع جرائد، وقد عد هذا الفريق ان قرار مجلس العصبة خطوة لضم اللواء الى تركيا، وكان يعان دائما ان مصير اللواء سيكون للجمهورية التركية وان وراء ذلك فوائد اقتصادية لسكان اللواء.

<sup>97</sup> الكيالي، المراحل، ج ٤/١٤٤-٣٤٢، ٣٥٩؛ مجيد خنوري، قضية الاسكندرونة، ص ٧٤-٧٥.

Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.131-132.

<sup>98</sup> يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ٢٧٢-٢٨٣.

والفريق التركي الثاني أقل عدداً ووجه من المحافظين وهو متدين ويرى في الحركة الكمالية خروجاً على الدين، على أن ميول هذا الفريق لم تكن مع العرب بل كانت تؤيد بقاء الوضع الراهن تحت الحكم الفرنسي، أما الفريق الثالث وهو قليل العدد أيضاً، فقد وقف موقفاً محايداً<sup>99</sup>، ولم يظهر ميوله إلى أحد الجانبين<sup>100</sup>.

وكانت الدعاية التركية قد نشطت لطلب الانفصال والحديث عن اضطهاد العرب للترك في اللواء، وتقدم الانفصاليون بعرائض وحاولوا استجلاب طائفة من العرب المسلمين إلى جانبهم مدعين أن أصلهم تركي ومشيرين فيهم الخوف من حكم دمشق المسلمة وأملوا أن يموتوا إلى جانبهم<sup>101</sup>. وأشار المفوض السامي إلى اشتداد نشاط الدعاية التركية في اللواء بعد صدور قرارات للعصبة وامتدادها إلى مناطق شمالي سورية والجزيرة<sup>102</sup>.

وهكذا استغل الأتراك في الاسكندرونة وإطاكية ضعف حكومة دمشق وطالبوا بالاستقلال، فكان ذلك أول خطر هدد وحدة أراضي دولة سورية<sup>103</sup>.

<sup>99</sup> كانت الحركة الكمالية قد اضطرت جميع الأتراك في الجمهورية التركية على لبس القبعة، ثم وزعت القبعات على أتراك اللواء بالجمان كأحدى وسائل الدعاية، وجرى حثهم على ارتدائها، ولبسها هذا الفريق رمزاً لهم ولاء للحركة الكمالية، وصار هذا الفريق يسمى (أصحاب القبعة) ومن زعمائه عبد الغني تركمان والدكتور عبد الرحمن ملك زاده، مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص ٧٦-٧٧.

<sup>100</sup> ارتدى الفريق الثاني الطربوش رمزاً له، وارتدى الفريق الثالث رمزاً لحياجه، القبعة الفرنسية المستديرة المسماة ببيره (Biret). خدوري، المصدر السابق، ص ٧٧؛ وقد أشار الفرنسيون في تقاريرهم إلى انقسام الأتراك وصراعهم ومن جعلته لباس القبعة وحجاب النساء الذي فرض على الأتراك إزالته. انظر تقرير فرنسا إلى عصبة الأمم: A.A.E.S.-L., Vol.495, P.32. الكيالي: المراحل، ج ٣١/٤. وقد ادعى أراس وزير الخارجية التركي أن الطوبين في اللواء ليسوا عرباً ولا يربون أن يكونوا عرباً، انظر حديث أراس مع أحمد قنري في ١٩٣٧/٦/٢٧ في قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سورية، ص ٣٠٣.

<sup>102</sup> رسالة المفوض السامي في ١٩٣٧/٧/٧ إلى وزير الخارجية الفرنسي:

A.A.E.S.-L., Vol. 495, P.32-36.

وقد سبق الإشارة إلى حدوث عدة اضطرابات في قرية الريحانية في اللواء، وقع على إثرها عدة ضحايا وشاهد في لجنة الملاحظين ذلك تقرير فرنسا إلى العصبة، ينظر: A.A.E.S.-L., Vol. 495, P.188.

<sup>103</sup> وقد وصل تأثير الدعاية التركية إلى قربتين تركيتين خارج اللواء وهما (صلبية التركمان وبرج اسلام)، وكلاهما قد اختلطتا بشخصيتهما في المنطقة، ولم يكن النساء والأطفال فيهما يفهموا كلمة عربية واحدة، كما أن البستهم وشكلهم يختلف عن القرى المحيطة وأثناء المطالبة التركية بمنحج الاسكندرونة استيقظ تعصبهم فجأة ولبس القرويون حالا القبعة رمزاً للتركية الكمالية في آذار ١٩٣٧:

Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.47.

اما الارمن اللاجئين في اللواء فانهم وقفوا كافة موقفا معاديا للاتراك، ولاريب ان ذلك بسبب صلاتهم السابقة معهم، وقد تعاون قسم منهم مع السلطة المنتدبة لتأييد قرار العصبة لانه رأى مصلحة الارمن في بقائهم في اللواء تحت رعاية فرنسا، وخافوا من بقاء اللواء جزءا من سورية تحت حكم دمشق، وكان من هذا القسم جماعة الطاشناق او الحزب الملكي التي ايدت حزب الاتحاد الوطني، وجماعة حزب الهاشناق او الحزب الديمقراطي الميلالي ايضا الى اقرار الوضع الجديد ومماثلة السلطة الفرنسية المنتدبة، وللقسم الآخر وجد ان مصلحة في بقاء اللواء جزءا من سورية ولاخوف على الارمن من ذلك لما في المعاهدة من ضمان لحقوقهم وحقوق غيرهم من اللاجئين، واشتمل هذا القسم على فئة اتباع الدكتور ماتوسيان التي تعاونت مع العرب مباشرة لمقاومة الاتراك حيث تألف حزب باسم (الحزب العربي الارمني) وكان اكثر اتباعه من الارمن، وفئة شباب الارمن العمال والمتطرفين الذين لقوا الحرب الشيعي<sup>104</sup>.

وقد خاف الارمن من التعرض للهجرة مرة اخرى<sup>105</sup>.

وكانت (عصبة العمل القومي) اهم جمعية عربية في اللواء، وتضم تحت لوائها القسم الاكبر من عرب اللواء مسلمين ومسيحيين، وقد عرفت بمواقفها الصلبة وتحمسا الشديد لمصلحة العرب وبإخلاصها لعقيدها القومية، وهي التي وقفت من قرار العصبة موقفا سلبيا وكذلك قاومت كل مؤسسة اخرى تعترف به او تتعاون مع الفرنسيين، وحاربت اتباع الكتلة الوطنية في الشام واتهمتهم بانهم يريدون تسليم اللواء للاتراك، وقد اصدرت العصبة جريدة (العروبة) في ١٠، ١٩٣٧ كما اخرجت عدة منشورات دورية واسست نادي العروبة في انطاكية، ثم في اسكندرونه لبثت الدعاية وتنظيم المقاومة وتوحيد الصفوف، واتخذت العصبة ارتداء الميادرة (وهو لباس الرأس المعروف في العراق في حينه) شعارا للجانب العربي وردا على ارتداء الاتراك القبعة الكمالية<sup>106</sup>.

وهكذا بدا ان الفئات التي يمكن توحيدها في اتجاه الوحدة مع سورية كانت منفردة مفككة تتنازعها تيارات مختلفة وتتقاضات طائفية، فضلا على الصراع الشخصي بين بعض ابناء الطائفة الوحدة، وكما اكدت الوثائق الفرنسية ان الصراع بين العنصرين التركي والعربي كان عنيفا، وقد كان في كل قرية او حتى كل حي

<sup>104</sup> مجيد خدوري، قضية الاسكندرون، ص ٧٦-٧٧؛ وعبد الرحمن قاسم، كرمستان والاكراد، ص ٧٢. وفيما بعد تحدث نائب ارمني في المجلس التنييلي لدولة هاتاي، أي دولة الاسكندرونه المفصولة عن سوريا، بان الارمن هم من العرق التركي، من البلقير، هاتي الدولة المستقلة، ص ٦٥.

<sup>105</sup> Hourani, A.H.: OP.Cit, P.145.

<sup>106</sup> مجيد خدوري، قضية الاسكندرونه، ص ٧٦-٧٨.

مدرستين، واحدة عربية والاخرى تركية<sup>107</sup>. وهذا ماراده الاستعمار الفرنسي لسلخ اللواء عن سورية وتسليمه الى تركيا، مع ان الاتراك والفرنسيين كانوا يعرفون تماما بان الاتراك في اللواء اقلية.

#### ٧. موقف سورية من تنفيذ فصل اللواء :

كان واضحا بعد قرارات العصبة، لدى كثير من الفرنسيين، ان فرنسا ستترك اللواء لتركيا<sup>108</sup>. وفي ١٩٣٧/٦/٢٩ رضيت فرنسا بتحقيق ذلك لضمان المضايق<sup>109</sup>. ولذا باشرت فرنسا بتطبيق النظام الجديد للواء بانهاء عمل المنسوب الفرنسي دوريو (Deriaut) فغادر اللواء نهائيا في ١٩٣٧/٦/٣٠<sup>110</sup>. وفي الجو المضطرب في اللواء، ذهب المفوض السامي بنفسه اليه في ١٩٣٧/٧/١٣ واجتمع في انطاكية بوجهاء من كل عناصر السكان والقى عليهم بيانا حدد فيه بالضبط الشروط التي سيتابعون بها حياتهم السياسية وبداء بقوله "يا سكان السنجق، وحدثهم عن الامور التي ستجري من اجل التحضير للانتقاء مستقبلا، وطالبهم بالقيام بمهمة النوعية حول الحالة الجديدة، وذكر ان اللواء سيكون وسيطا للصداقة بين تركيا وسورية وانه سيجري لخذ رأي جميع السكان من مختلف الاجناس واللغات، ودعاهم الى المحافظة على السلام"<sup>111</sup>.

<sup>107</sup> من تقرير المفوض السامي الفرنسي المرفوع الى وزارة الخارجية الفرنسية عن عام ١٩٣٧:

A.A.E.S.-L, Vol , 495, p.211.

<sup>108</sup> Tharaud, J. ct. J. Alerte en Syrie, P.6.

<sup>109</sup> الكيالي، المراحل، ج ٣٦٠/٤. وعلي رضا، قصة الكفاح الوطني في سورية، ص ٤٦٩.

<sup>110</sup> يذكر الكيالي ان الحكومة الفرنسية عزلته بعد الحاح عظيم من الحكومة الوطنية، الكيالي، المراحل، ج ٣٣٥-٣٣٦، ٣٦٠. بينما ينكر الحكيم ان (دوريو) اشرف على الانتخابات في اللواء فيما بعد مع محافظ اللواء ابراهيم ادهم ومدير الاستخبارات الكومندان كوله. يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ٥٨٤.

<sup>111</sup> من التقرير الفرنسي عن عام ١٩٣٧ في وزارة الخارجية الفرنسية والمرفق به النص الكامل لليان:

A.A.E.S.-L, Vol, 495, P.188-190.

وتقرير المفوض السامي الى وزارة الخارجية عام ١٩٣٧: A.A.E.S.-L, Vol, 495, P.211.

ونص البيان ايضا في تقرير فرنسا الى العصبة: Rapport a S.D.N, annee 1936, P.6-7.

ونكرت صحيفة (الطمان) ان المفوض تحدث الى الصحفيين عن قضية اللواء be Temps 13/7/1937.

ثم وصل مندوب جنيد للمفوض السامي في ١٩٣٧/٩/٦ هو غارو ( Reger Garreau)<sup>112</sup>. واعلن انه سيعمل على تنفيذ النظام الجديد بحزم وشدة، وافهم المحافظ السوري (حسني البرازي) ان عمل السلطات السورية سينتهي في ١٩٣٧/١١/٢٩ ويحق للحكومة السورية حينئذ ان تعين المحافظ مندوبا لها (كوميسير) في اللواء<sup>113</sup>. واختلف المحافظ مع المندوب الفرنسي فرأت الحكومة السورية ان بقاء البرازي يضر بالمصلحة العامة لاسباب عديدة فانتهت خدمته<sup>114</sup>. واستمر غارو في تنفيذ السياسة الفرنسية فاقال موظفي الحكومة السورية، والحقيقة انه عرف بتعاونه مع الجهات التركية وان كان للترك قد طعنوا فيه لانه لم يلب كل مطالبهم ضد العرب<sup>115</sup>. وكان الصراع بين العرب والترك مستمرا كما ذكر المفوض السامي في برقيته في ١٩٣٧/٩/٢٨<sup>116</sup>، واحتجت الجهات العربية في اللواء الى المفوض السامي وعصبة الأمم وقامت من جراء ذلك مظاهرات ووقعت بعض الاصطدامات بين العرب وانصارهم وبين قوات الجيش الفرنسي في انطاكية<sup>117</sup>. وفي الوقت نفسه كانت

ومما صرح به المفوض لوجهاء انطاكية ان مدة الانتقال في اللواء ستكون ثلاث سنوات حتى يتم استقلال اللواء (أي بمقدار الفترة الانتقالية للمعاهدة الفرنسية لمورية). الكيالي، المراحل، ج٣٦٠/٤.

<sup>112</sup> كان غارو في سفارة فرنسا بمصر Rapport a S.D.N, annee, 1937, P.6.

والكيالي، المراحل، ج٣٣٥-٣٣٦؛ وكان غارو قد وصل بيروت في ١٩٣٧/٩/٢ وتباحث مع المفوض السامي ثم توجه الى الاسكندرية ليبدأ مباحثات مع الزعماء المحليين من مختلف السكان في اللواء:

Le Temps 4/9/1937.

<sup>113</sup> اعلن غارو انه سيأخذ على عاتقه اعباء الحكم المباشر بمالديه من صلاحيات مطلقة حتى لا يفسح المجال لتدخل الاتراك الفعلي وارسالهم قوة عسكرية لحماية مواطنيهم (وهو ما وافقت عليه فرنسا بعد ذلك) من تقرير مكتوم بحث به محافظ اللواء حسني البرازي، نجيب الارمناري، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص١١٦.

<sup>114</sup> ان المندوب الفرنسي الجديد اخلص لوظيفته ومشى مع سياسة الحكومة المحلية وسياسة المفوضية الفرنسية التي وجهت سياستها ايام مارتيل، وبعد التفاهم لبقاء اللواء متحدا مع سورية، ولما اختلف البرازي مع غارو اعطته اجازة صحية غير محددة فغادر اللواء واستمر غارو بسياسته يقاوم نفوذ تركيا، الكيالي، المراحل، ج٤، ص٣٣٦.

<sup>115</sup> مجيد خدوري، قضية الاسكندرية، ص١٠٦؛ حيث ينكر ان المحافظ السوري كان ممن اقلهم غارو.

<sup>116</sup> برقية مارتيل في ١٩٣٧/٩/٢٨ الى باريس A.A.E.S.-L. Vol 573, p.117-118

<sup>117</sup> خدوري، المصدر السابق، ص١٠٧.

الصحف الاستعمارية للفرنسية تحمل على سورية وتناصر الاتراك بتأثير من الصهيونية كما يبدو<sup>118</sup>.

ثم وصلت الى اللواء في ٢٠/١٠/١٩٣٧ لجنة دولية من عصبة الامم لتدرس التعديلات اللازمة بشأن الانتخابات ويشرت عملية الاحصاء ووضع قانون الانتخابات وتنظيمها وبقيت حتى ١٩/١١/١٩٣٧ وزلت خلال هذه الفترة المفوض السامي في بيروت وتبادلت معه بعض الاراء، كما زلت الحكومة السورية في الشام وقدمت فيما بعد تقريراً مختصراً جداً عن عملها<sup>119</sup>.

واستمر نشاط تركيا من اجل اللواء، وقامت لها قنصلية في الاسكندرونه وقنصلا عاما في انطاكية<sup>120</sup>. كما جاء وفد تركي الى اللواء في ١٦/١١/١٩٣٧ وقام لتاتورك بزيارة ولايات تركيا الجنوبية كمناوره عسكريه تهديدا للواء اذا لم تطبق فرنسا نظامه كما تريد تركيا، وفي الموعد المحدد لبداية تنفيذ قرار العصبة وهو ٢٩/١١/١٩٣٧ انزل العلم السوري من مباني الحكومة بامر من مندوب المفوض السامي (غارو) للذي باشر بانشاء ادارة مستقلة مسؤولة تجاهه، ثم رفع العلم الفرنسي محله، والقي وزير الخارجية السوري احسان الجابري كلمة عبر فيها عن اسي الامة، وذكر ان الحكومة احتجت وقدمت لكل من يرجع اليه الامر مايجب ان يعمل، وذكر ان انزال العلم كان لازالة مخاوف ثارت في النفوس وتوسعت اكثر من حقيقتها، وانه منعت جميع الاعلام في ذلك اليوم خوفا من وقوع الحوادث<sup>121</sup>. ثم قدمت الحكومة السورية كتاب احتجاج الى مندوب المفوض السامي في دمشق بتاريخ ١٢/١٢/١٩٣٧<sup>122</sup>.

<sup>118</sup> الكيالي، المراحل، ج ٤/٣٦٠.

<sup>119</sup> ويشير تقرير فرنسا الى عصبة الامم ايضا الى ان قرار المجلس النهائي السوري الصادر في ٣١/١٢/١٩٣٧ الاحتجاجي على الاتفاقيات المتعلقة باللواء لم يمنع اللجنة من الحضور الى سورية ومتابعة عملها في اللواء

A.A.E.S.-L.Vol 573, p.119.

ومجيد خدوري، المصدر السابق، ص ٨١-٨٢. ففيه تفصيل عن اعضاء اللجنة ومهمتها. وذكر الكيالي: ان وصول اللجنة كان في ١٠/١٠/١٩٣٧ ولطشه خطأ كما يبدو. الكيالي، المراحل، ج ٤/٣٦٠.

<sup>120</sup> تقرير فرنسا الى العصبة : A.A.E.S.-L.Vol 573, p.119.

<sup>121</sup> الكيالي، المراحل، ج ٤/٣٦٠-٣٦١. وفيه نص كلمة الجابري. وانظر مجيد خدوري، المصدر السابق، ص ١٠٦-١٠٧. وكان المفوض السامي قد اصدر في ٢٩/١١/١٩٣٧ بيانا الى ابناء اللواء حول بدء تنفيذ السنجق وموعد الانتخابات المحدد في ١٥/٤/١٩٣٨.

A.A.E.S.-L.Vol 573, p.120.

<sup>122</sup> مجيد خدوري، قضية الاسكندرونه، ص ١٠٦-١٠٧.



ولما أصبح سلخ لواء الاسكندرونه امرا واقعا، صرح مرهم في ١٩٣٧/١٢/٦ لجريدة الطان الفرنسية بقوله نحن معاشر السوريين ، نحننا امام قرار جامعة الامم لمصلحة السلام والتعاون الدولي، وكان في زيارة لباريس ليبحث مشكلات المعاهدة، وبعد ان سمع لصرار المجلس النيابي السوري على الاحتفاظ بقراره السابق ١٩٣٧/٥/٣١ برفض اتفاق سلخ اللواء وفي طريق عودته زار تركيا رسميا في اواخر كانون الاول ١٩٣٧ واجتمع مع رئيس وزرائها عصمت اينونو والتقى برئيسها (اتاتورك) وعرض وجهة نظره بوجوب تعديل نظام اللواء الجديد، مع ابقاء اللواء ضمن الوحدة السورية، ومنح تركيا جميع الامتيازات<sup>123</sup>، وبسبب موقف الحكومة الوطنية تجاه تطور الاحداث، اصدرت (الجهة الوطنية) المعارضة بياناً في ١٩٣٧/١٢/١٦ هاجمت فيه السياسة الجديدة<sup>124</sup>.

ولما كان يهم الفرنسيون ان يبقى اللواء تحت انتدابهم اكثر مما يهمهم ان يبقى مع سورية، فوجدوا في قرار استقلال اللواء فرصة لذلك، اذ يؤخر تسليم اللواء الى تركيا، لذا حاولت السلطة المنتدبة ان تؤلف جبهة من مختلف العناصر تجمع كلمة سكان اللواء لتأييد وتطبيق قرار مجلس عصبة الامم وتأييف حكومة خاصة باللواء ضمن حدوده حسب نظامه الجديد، فاعزت الى بعض زعماء العرب والأتراك بذلك فتألفت (جمعية اتحاد العناصر) او (حزب الاتحاد الوطني) في الاسكندرونه، وانضم اليه بعض الأتراك والارمن من حزب الطاشناق والروم الارثوذكس، وعقد الحزب مؤتمرا في ١٩٣٧/١/١ في انطاكية، الا ان الأتراك المتطرفين لم يؤيدوه، وسرعان ما اخذت عصبة العمل القومي (العربية) تهاجمه بشدة لاعترافه بنظام اللواء الخاص<sup>125</sup>.

ولما اعلن انه سيجري استفتاء في اللواء، برزت في العاصمة دمشق نقمة المتظاهرين من لبناء اللواء العرب واخوانهم السوريين على الفرنسيين وعلى الحكومة السورية الوطنية، ناسبين الى رئيسها للتآمر مع الاجنبي وتضليل الشعب السوري بالكلمة التي القاها من على شرفة دار الحكومة ١٩٣٧/٦/٤، ولم تقف الحكومة مكتوفة الايدي ازاء هذه التظاهرات التي اثارها خصومها السياسيون وفي ظليعتهم

<sup>123</sup> نجيب الارمناري، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص ١١٢-١١٣.

<sup>124</sup> رفعت المفوضية الفرنسية البيان الى وزارة الخارجية الفرنسية للاطلاع عليه بخطابها رقم ١٢٣٠ في ١٩٣٧/١٢/٢٩ مرفقا بترجمة . A.A.E.S.-L, Vol, 495, P.240-

243.

<sup>125</sup> ممن اوعزت اليهم السلطة الفرنسية (حسن جبارة) مدير مالية اللواء الذي تولى تأليف الحزب، وترأسه ادهم بك رئيس بلدين انطاكية، خنوري، المصدر السابق، ص ٧٦-٧٨، ١٠٧-١٠٨، وقد بدأ فكرة إنشاء الحزب المنحوب الفرنسي (دوريو) وحضر لها، ثم دعه (غارو) فظهره عن انشائه وغيره من الاحزاب التركية والعربية في اللواء. من يالخير، هتاي الدولة المستقلة، ص ٣٩-٤٠، ٨٨-٩٤.

الشهيندر واخواته، فاعلنت اهتمامها بأمر الاستفتاء واتخاذ الاسباب الايلة الى ظفر الاكثرية العربية في اللواء بامانيتها الغالية وعهنت الى احد اركان للكتلة الوطنية (نبيه العظمة) بقيادة المساعي التي تؤدي الى نتيجة المبتغاه وزودته بمساعدتين يرجى لهم النجاح في المهمة<sup>126</sup>.

وعمل (العظمة) على للتوفيق بين الجبهات العربية المختلفة، لاسيما عصبية العمل القومي وجمعية اتحاد العناصر، الا ان تطرف العصبية ادى الى مقاومة الفرنسيين لها واعتقال بعض افرادها، وعدم تأليف جبهة عربية واحدة متعاونة مع الحكومة السورية<sup>127</sup>.

وفي الوقت نفسه اشكت مظاهرات الاتراك في عام ١٩٣٨ طالبة الالتحاق بتركيا، وحمى الوطيس بين الجانبين التركي والجانب العربي الذي يتألف من العرب (المسلمين والمسيحيين) والارمن الذين لجأوا الى اللواء، وكان المندوب الفرنسي يعمل لصالح الاتراك، وبدأت المناورات باثارة حرب من الدعاية والمشاغبات والتهديدات لحمل الاتراك اللواتيين على طلب الانفصال والتصويت على اساس الالتحاق بالاتراك ومعاداة العرب اذا لم يصوتوا معهم<sup>128</sup>.

وعملت العصبية على تقسيم السكان طائفا في قانون الانتخاب الذي اقرته في ١٩٣٨/٢/١ حيث نص انه يجب على الناخبين في الدرجة الاولى ان يسجلوا انفسهم في احدى الوظائف الاتية: التركية والعلوية والعربية والارمنية والروم والارثوذكس والكردية وطوائف اخرى، وان يكون عدد اعضاء المجلس (٤٠) عضوا، ولكل طائفة ضمان العدد الذي لايجب ان يقل عنه وهو: التركية (٨) نواب، والعلوية (٦) نواب، والعربية (٢) نائبان، والارمنية (٢) نائبان، والروم الارثوذكس (١) نائب، وانيعت مواد القانون باللغات التركية والعربية والفرنسية. وتقرر تشكيل لجنة مراقبة الانتخابات<sup>129</sup>.

ولعل ما يؤخذ على هذا القانون ان بعض الطوائف صنفت عنصريا وبعضها مذهبيا ودينيا، وهكذا قلل القانون من اهمية الطائفة للعربية بفصل طائفتين خطيرتين منها وهما العلوية والارثوذكس، مما ادى الى زيادة قيمة الطائفة التركية، ومع ذلك فان تركيا اعترضت على مشروع القانون وناقشت ذلك عصبية الامم وقبلت فرنسا

<sup>126</sup> يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ٢٨٣-٢٨٣.

<sup>127</sup> مجيد خوري، قضية الاسكندرونة، ص ١٠٧-١٠٨.

<sup>128</sup> الكيالي، المراحل، ج ٣٥٩/٤.

بالاعتراضات وتم تعديل القانون في مصلحة تركيا<sup>130</sup>. ويبدو انه كان لمباحثات وزير الخارجية البريطانية في باريس دور في الاتفاق حرصا من الدولتين على استرضاء تركيا بسبب بوادر الحرب<sup>131</sup>.

وبدأت مرحلة الانتخابات بوصول لجنة المراقبة في نهاية نيسان ١٩٣٨<sup>132</sup>. في وسط ذلك المحيط المملوء بالدعايات والانقسامات الداخلية المختلفة، واذاع سكرتير اللجنة بيانا في ١٩٣٨/٥/٢ حول التسجيل، وأشارت اللجنة عملها بروح حيادية الامر الذي استبشر له العرب لانهم يؤلفون الاكثرية، واعتقدوا ان الانتخابات ستؤدي الى فوزهم، واقبلوا على التسجيل على الرغم من الصعوبات التي اعترضتهم والدعايات التركية العنيفة فحصلوا على اكثرية في خطوات التسجيل الاولى، فقلق الاتراك فيس اللواء والحكومة التركية، وتطور التصادم الى قتال عنيف بين الاتراك والعرب منذ اوائل ايار وحتى منتصفه مما اضطر الى ايقاف التسجيل بضع مرات وتدخلت السلطة المنتدبة ضد المتظاهرين العرب<sup>133</sup>.

المهم ان تركيا لم ترض عن عملية التسجيل فاحتجت بكل الوسائل وتنازلت فرنسا مرة اخرى تحت تأثير الحكومة الانكليزية بسبب الوضع الدولي، وذلك لجعل الانتخابات الاولى في اللواء في مصلحة الاتراك<sup>134</sup>. ولما كان المنسوب الفرنسي (Garreau) لم يسترسل في ممالاة الاتراك لذلك استقال، وعينت فرنسا بدلا منه لكومندان كوله (Collot) فضلا على عمله كقائد للقوات العسكرية في اللواء<sup>135</sup>، لينفذ الاتفاق الفرنسي مع الاتراك.

<sup>130</sup> حيث يشير الى ان اللجنة استخدمت كلمة (lobmihunitys) (مجموعة) ولكن شاع استخدام كلمة طائفة، ويشير الى مأخذ اخرى على القانون.

وانظر حول القانون تقرير فرنسا الى العصبة : A.A.E.S.-L, Vol 573, P.123.

<sup>131</sup> الكيالي، المراحل، ج ٣٦٧-٣٦٧/٤.

<sup>132</sup> وكان مقرا ان انتخابات الدرجة الاولى تبدأ في ١٩٣٨/٣/٢٨، والثانية في ١٩٣٨/٤/١٢ ولكنها عثت لمعارضة تركيا . A.A.E.S.-L, Vol 573, P.125.

<sup>133</sup> مجيد خدوري، قضية الاسكندرون، ص ١٠٩-١١٠؛ الكيالي، المراحل، ج ٣٦٨/٤، ٣٧٢-٣٧٣.

<sup>134</sup> لم تتوقف الاتصالات التركية الفرنسية، فقد زار سفير تركيا وزير الخارجية الفرنسي في ١٩٣٨/٦/٩ وبحثا قضية الانتخابات ثم سافر رئيس الوزارة الفرنسية مع وزير الخارجية الى استنبول في ٦/١٢ لبحث مع اتشورك تعديل وضع الاسكندرون، وصرحت جريدة (الجمهورية) التركية بان تركيا تريد ضم الاسكندرون، وبدأت المفاوضات في ١٩٣٨/٦/١٤. A.A.E.S.-L, Vol 573, P.125-126.

<sup>135</sup> لاشك ان ماحدث كان يتدخل شخصي من (دلايبه) في قضية سنق الاسكندرون اذ بتحمسه وتلقاه المعهودين فيه، وينتجج سريعة وحازمة بالنسبة للموظفين الكبار الذين ابدوا لظفا زائدا لفقفا على الحد تجاه العرب المحليين، فقد استدعي القام باعمال الحاكم وهو منفي، وعين محله جنرال فرنسي، وتعهدت الحكومة الفرنسية ايضا بان تكون غدا وعدها الذي تعهدت فيه لتركيا بان يتمتع

وبدا المندوب الجديد باقصاء الموظفين العرب واسناد وظائفهم الى الاتراك وضيق الخناق على الجمعيات العربية فحل عصبة العمل القومي واغلاق نادي العرب وحل جمعية اتحاد العناصر وعطل جريدة العروبة ونفى بعض شباب العرب ومسجن آخرين، كما هدد بعض العلويين والمسيحيين بوجوب تسجيل انفسهم اتراكاً<sup>136</sup>. واعلن كوله ان الفرنسيين وافقوا الاترك ليكون لهم (٢٢) مقعداً من (٤٠) حتى لا يحتلوا اللواء، وفي ١٩٣٨/٦/٩ ابعد الفرنسيون فؤاد مفرج مندوب الحكومة السورية، ثم كرر كوله تصريحاته في ١٩٣٨/٦/١٢ بان الاكثرية ستكون للاتراك<sup>137</sup>.

واكدت مصادر فرنسية ان تركيا ادخلت في تلك الفترة الى السجنق (٢٥٠٠٠) قاطع طريق كانت لهم مهمة مضاعفة وهي خلق الفوضى وتسجيل انفسهم اتراكاً، ومم ذلك فان عدد الاتراك لم يزد عن (٨٥٠٠٠) نسمة من (٢٠٠٠٠٠) وبذلك يكون لهم (١٧) مقعداً من (٤٠) فقط<sup>138</sup>.

واستمر النشاط المعارض للسياسة الفرنسية، اذ ارسل العرب والارمن في ١٩٣٨/٦/٩ احتجاجاً الى رئيس لجنة عصبة الامم بينوا فيها ثبوت الاغلبية العربية واشتكوا من اجراءات الفرنسيين المماثلة للاتراك<sup>139</sup>.

اما الحكومة السورية لم تكن تستطيع منعاً ولا دفعاً لما يجري لانها بلا قوة عسكرية امام تركيا، ولا ان تفعل شيئاً تجاه مايجري من حوادث الاعتداءات التركية على الجانب العربي في اللواء، وكانت مشاكل للدولة السورية تزداد حرجاً من يوم الى يوم في الجزيرة ومنطقتي اللاتقية والسويداء، وقد ضجت البلاد من اقصائها الى اقصائها من جراء السياسة التي تطبق في اللواء والاخبار التي تصل الى اذان الشعب، فقامت التظاهرات الصاخبة في ١٩٣٨/٦/٧ في دمشق وحلب وحمص وحماة واللاتقية ودير الزور وطرابلس وغيرها من المدن السورية وللبنانية فارسلت الحكومة السورية مذكرة الى وزارة الخارجية الفرنسية عن طريق المفوض السامي مارتييل (Martel) احتجاجاً على تصريحات كوله وعلى مايجري في اللواء دون ارادتها وعلمها، وفي

الخصر التركي بمركز السيادة في البرلمان والحكومة المحليين بسبب الظروف: Puaux,

G.: Deux années au levant, P. 51.

<sup>136</sup> مجيد خنوري، قضية الاسكندرون، ص ١١١.

<sup>137</sup> الكيلي، المراحل، ج ٣٧٢/٤، وكان مفرج قد قدم تقريراً سرياً عن الوضع في اللواء الى

الحكومة السورية، خنوري، المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣.

<sup>138</sup> Puaux, G.: Deux années au levant, P. 51.

<sup>139</sup> ينظر الكيلي، المراحل، ج ٣٧٨-٣٧٢/٤ حول نص الاحتجاج الموقع من الدكتور البير بيلوني وزكي الارسوزي وموسيس ويركالوسيان وصالح المعروف وسليم الخوري.

١٩٣٨/٦/١٠ عقد لاجتماع شعبي في دمشق احتجاجا على موقف الفرنسيين المخجل امام تهديدات تركيا<sup>140</sup>.

وبسبب التحيز ضد العرب، استقال العضو الانجليزي في لجنة مراقبة الانتخابات في ٦/١٤ واراعت اللجنة من التدخل في اعمال التسجيل وقررت الاحتجاج عليه فانتهت مهمتها وغادرت اللواء في ١٩٣٨/٦/٢٩<sup>141</sup>. بعد ان هاجمتها الصحافة التركية، كما كانت الصحافة الصهيونية في ذلك الحين تهتم اهتماما فريدا في نوعه بمصير الاترك في السنجق في الوقت الذي كان للصهاينة فيه حلفاؤهم في الحكومة الفرنسية<sup>142</sup>.

وافزع تدخل تركيا الفعلي في انتخابات اللواء للحكومة السورية فدفعها الى التفكير في امر تقسيم اللواء مع تركيا لعلها تحتفظ بقسم منه على الاقل بدلا من ان تخسره كليا في النهاية، فاثارت الامر مع الحكومة العراقية للتوسط لدى تركيا، وتفاوض عادل ارسلان ممثل سورية في تركيا، واجتمع سفير العراق (ناجي شوكت) ووزير الخارجية التركي (ارارس) في ١٩٣٨/٧/١ ولكن الرئيس اتاتورك اصر على وجهة نظره<sup>143</sup>، فقد جاءت المعايير لتقاسم اللواء متأخرة والترك وجدوا اقصى امالهم لوشكت ان تتحقق فلم يعيدوا يأبهون الى هذا الامر، فقد تنازلت فرنسا وتساهلت عصابة الامم ولم يعد لمفاوضات التجزئة لية قيمة بنظرهم.

وفي الوقت نفسه كانت تركيا تفاوض فرنسا وتساهلها بصداقتها في شرقي البحر الابيض المتوسط للحصول على اللواء بأكمله، وقد تمت هذه المساومة بعقد معاهدة عسكرية في ١٩٣٨/٧/٢ ومعاهدة صداقة وتحالف في ١٩٣٨/٧/٤<sup>144</sup>. وقد نص الاتفاق على الاحتلال العسكري المختلط اللواء بـ (٢٥٠٠) جندي فرنسي ومثلهم من الجنود الاترك<sup>145</sup>. ثم اجتاز الجيش التركي حدود الاسكندرونه في ١٩٣٨/٧/٥ واحتل مزلكرة في بعض المدن في حين بقيت القوت الفرنسية في مدن

140 الكيالي، المراحل، ج٤/٣٧٢-٣٧٩.

141 مجيد خنوري، قضية الاسكندرونه، ص ١١١.

142 فقد كان يلوم يتساهل مع الاترك لانه يهودي واليهود يعملون مع الاترك ليكونوا بجانبهم في

قضية فلسطين، الكيالي، المراحل، ج٤/٣٦٨.

143 خنوري، المصدر السابق، ص ١١٤-١١٥؛ الكيالي، المراحل، ج٤/٣٦٧-٣٦٨.

144 كان هذا الاتفاق الفرنسي التركي نتيجة اتصالات فرنسية تركية سابقة، حيث توضح ذلك رسالة (De Oaix) مندوب فرنسا في العصبة في ١٩٣٨/٦/١، ردا على رسالة (ماسبيلي) المدير السياسي بوزارة الخارجية التركية في ١٩٣٨/٥/٣٠، وتوضح رسالة (توكيه) مناقشات لجنة الانتداب في العصبة لتقرير فرنسا عن سوريا ولبنان. A.A.E.S.-L. Vol.573, P.51.

145 A.A.E.S.-L. Vol.573, P.63.

اخرى، وجرت تظاهرات حماسية من قبل لترك اللواء في استقبال الجيش التركي، وهتف المتظاهرون بحياة أتاتورك<sup>146</sup>.

ونتيجة لذلك جلا عن اللواء كثير من العرب الى حلب واللاذقية، وهاجر عدد من الارمن الى سورية، واشرفت فرنسا على رحيلهم وان كانت تركيا قد قدمت بعض الضمانات للمسيحيين والارمن في اللواء بناء على طلب فرنسا<sup>147</sup>.

وعقب دخول القوات التركية تألفت لجنة مشتركة فرنسية تركية في ١٩٣٨/٧/١٥ للإشراف على الانتخابات ثم اجريت الانتخابات للدرجة الاولى في ١٩٣٨/٧/٢٣ وفق قانون الانتخابات وللدرجة الثانية في ١٩٣٨/٨/٢٢ فكان من الطبيعي في هذا الجو من التعاون التركي الفرنسي ان يفوز (٢٣) نائباً تركياً و(١٨) نائباً من الجانب الآخر (الطوائف العربية والكردية والارمنية والمسيحية) وهكذا نجح الاتراك بالحصول على اكثرية رسمية في مجلس اللواء التمثيلي بزيادة ضئيلة، وكان ذلك وسط اضطرابات شديدة وتفرق الفئات التي كان يمكن توحيدها باتجاه الوحدة مع سورية<sup>148</sup>.

ثم اجتمع المجلس النيابي في ١٩٣٨/٩/٢ واستكملت اجراءات انشاء جمهورية (هاتاي) ووضع لهم علم خاص وهو نفس العلم التركي مع اضافة نجمة حمراء داخل النجمة<sup>149</sup>. ولقد النواب الاتراك ان اللواء تركي تماماً، مما دعا احد النواب من غير

<sup>146</sup> خدوري، قضية الاسكندرونة، ص ١١٦. وهو يذكر ان دخول القوات كان في ١٩٣٨/٧/٢٥. بينما تذكر المصادر الفرنسية انه في ١٩٣٨/٧/٥، Puaux G. Deux années au levant, P.50.

ويذكر الكيالي ان مفرزة من الجيش التركي قدمت الى اللواء في ١٩٣٨/٦/١٩ تنفيذا للاتفاق الكيالي، المراحل، ج ٣٨١-٣٨٠/٤. ومن بالخير: هتاي الدولة المستقلة، ص ٩٤، حيث يتحدث عن دخول الجيش التركي لاستكمال التسجيل الذي انتهى في ١٩٣٨/٦/٣٠، واستقبل الجيش التركي في اطاركية من قبل عبد الرحمن ملك زاده واشراف المدينة من كل الجماعات العرقية ومن مجموعات كبيرة من الطوائف الاخرى، وفي ١٩٣٨/٧/١٤ قامت مظاهرات تأييد للصداقة الفرنسية التركية ونظمت حفلات الافراح بهذه المناسبة.

<sup>147</sup> تفاصيل نقل الارمن وتوزيعهم في سورية ولبنان : Puaux, G. OP. Cit, P.52-55. تفاصيل اعداد النواب، انظر مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص ١١٦، قرقوط، تطور الحكم الوطني في سورية، ص ١٦٠، ويؤكد الحكيم ان السكان من عرب وارمن اعربوا عن رغبتهم وهم اكثرية السكان في اللواء في بقاء اللواء مع امه سورية، وان هذا مقالته وكرره في دمشق السوريون من رجال الحكومة والاحزاب وجميع النازحين الى سورية من عرب اللواء، بالاضافة الى مقارنته الصحف السورية، يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص ٢٨٤.

<sup>149</sup> تحمس الاتراك في ذلك اليوم، وكانت الجملة برئاسة اكبر الاعضاء منا وهو محمد الامنة لي (وزير سوري سابق) وجرت المناقشة باللغة التركية فقط مع ان نظام اللواء نص على العربية كلغة رسمية ايضاً، ثم انتخب المجلس رئيساً له ثم رئيساً للدولة وهما تركيا واقترح التלב صبحي بركت

الأتراك ليستعين بكلمة لاتاتورك"، ان هاتاي لسكانها جميعا دون تفريق بين الاجناس والمذاهب، وفاخر نائب ارمني بان الارمن كانوا الركن الاساسي لاستقلال اللواء، ووقف النائب زين العايدين الحلبي وقال ان طائفة العلوية متحدرة من الاصل التركي النجيب<sup>150</sup>.

واعلن القانون الاساسي لدولة هاتاي في ١٩٣٨/١١/٢<sup>151</sup>. ثم عمدت السلطة الجديدة الى طرد الموظفين العرب وتحريم اللغة العربية واستبدال العملة بالتركية، واتخذت اجراءات اقتصادية للتقارب مع تركيا والابتعاد عن سورية<sup>152</sup>. حيث جرى تعديل الحدود الجمركية بين اللواء وتركيا والغاء مراكز الدرك واقامت بدلا منها مع سوريا، وبذلك تكون مهمة الكولونيل كوله (Collet) مندوب المفوض في اللواء، قد وصلت الى نهايتها ولذا سترك الاسكندرونة وسيخلفه ضابط فرنسي مع هيئة جديدة<sup>153</sup>.

وهكذا تألفت هذه الجمهورية ولم يبق لتركيا الا الحاقها بها، ولم يعد لمفاوضات التجزئة مع سورية قيمة بنظر تركيا، وللمفاوضات الاتفاق التي كان يحبها بعض السوريين المعروفين برغبة التقاهم مع الاتراك وارسلوا بهذا المعنى رسائل الى رئيس الجمهورية السورية وكذلك بعض ساسة الدول العربية، وتمسك السوريون بحقهم الصريح في اللواء كله، وعندما مالوا الى الاخذ بفكرة المفاوضات كان الحاق اللواء بتركيا قد اصبح امرا مقضيا، فقد كانت قناعة الفرنسيين ان هذه الجمهورية ستتنتهي، ووضحت مذكرة فرنسية في ١٩٣٨/١٠/٦ ان تركيا لاتخذع نفسها عندما تؤكد ان جميع هاتاي ستعود اليها في يوم من الايام رغبت فرنسا في ذلك لم لم ترغب، وحيث توافقت عملية سلخ جزء من ارض الشام (الاسكندرونة) لاقامة دولة الاتراك مع عملية انشاء دولة لليهود الصهاينة في جزء لخر (فلسطين) والمنفذون الاستعماريون

(رئيس مجلس النواب السوري سابقا) ابدال اسم اللواء بمسمى هاتاي وهي كلمة تركية تعني (حشي) لانهم يعتقدون انهم من اصل الحثيين، والفت الوزارة في ١٩٣٨/٩/٥ من اتراك، ونقل المجلس عاصمة الدولة من الاسكندرونة الى انطاكية التي يولف فيها الاتراك اكثرية، ومزيد من تفاصيل ظهور جمهورية هاتاي ورجالها وتكوينها، وحول اجتماع المجلس وقراراته انظر: A.A.E.S.-

L, Vol, 573, P. 63.

<sup>150</sup> من بالقير، هتي الدولة المستقلة، ص ٥٤-٥٦، ٦٧.

<sup>151</sup> A.A.E.S.-L, Vol, 573, P. 63.

<sup>152</sup> فركوط، تطور الحركة الوطنية في سورية، ص ١٦٥؛ نجيب الارمناري، سوريا من الاحتلال حتى الجلاء، ص ١١٠؛ وخدوري، قضية الاسكندرونة، ص ١١٨.

<sup>153</sup> A.A.E.S.-L, Vol, 573, P. 38.

والمتناقضون هم انفسهم، لذا كانت الصحافة العالمية تقارن بين العمليتين من حيث تشابه اساليبهما واهدافهما، وترصدت وزارة الخارجية الفرنسية هذه المقارنة وحللتها<sup>154</sup>.

#### ٨. دور فرنسا في تسليم اللواء الى تركيا

ترافق تسليم اللواء الى تركيا مع نهاية المعاهدة والحكم الوطني في سورية والذي بدأ مع مجيء المفوض السامي الفرنسي الجديد بيو (Puaux) الذي اوضح الموقف بقوله " فلما جاء عام ١٩٣٩ عدت تركيا ان (كوميدبا هاتاي) قد استمرت طويلا، وانه حانت الساعة لطلب الحاقها بتركيا وانهاء فصولها الروائية، فطالب وزير الخارجية التركي سراج لوغلو في كانون الثاني ١٩٣٩ بذلك وصرح به للمفير الفرنسي في انقرة (Nasigli) الذي كان يحذ سرعة الاجابة قبل فوات الوقت لاكتساب الصداقة التركية، كما طالب الاتراك بتهينة الراي العام السوري لاستقبال قرار الحاق اللواء بتركيا تماما وهددوا بالانضمام الى الدولة الديكتاتورية (المانيا وايطاليا) وظهر المفوض خوفا من ان يطالب الاتراك بمناطق اخرى كحلب والجزيرة اللتان كانتا في دائرة الاطماع لدى الجارة العزيزة - كما يسميها - وذكر ان الدعاية التركية - القوية تنتشر كوباء يعم المناطق الشمالية من سورية<sup>155</sup>.

وكان المفوض السامي (بيو) يبرق باستمرار الى وزارة الخارجية الفرنسية فيشرح نشاطات الدعاية التركية ويوضح اوضاع الاسكندرون الجديدة، ويطمئن حكومته حول احوال الارمن الذين مازالوا مستقرين في اللواء وكذلك حول اوضاع العلويين من سكان اللواء، وهي الامور التي كانت فرنسا تبدي قلقها بشأنها في اللواء تحت حكم الاتراك<sup>156</sup>.

ورأت فرنسا شدة النشاط الذي تمارسه تركيا للاحاق اللواء بها، فحاولت تأخير ذلك لاطالة مدة بقائها فيه، وذلك بتطمين تركيا بان اللواء سيبقى في يدها لانه لم يتم ابرام للمعاهدة الفرنسية السورية، مما يجعل حجة الاتراك غير ملحة، واستمرت

<sup>154</sup> نشرت تيمو (Timo) في ١٠/١٠/١٩٣٨ مقالة حول للوضع في سورية وفلسطين وقيام دولة هتاي، فقام الفرنسيون بتحليله وارسله الى وزارة الخارجية الفرنسية: A.A.E.S.- L, Vol, 573, P.73-76.

<sup>155</sup> Puaux, G.: Deux anneess au levnnnt, P.51.

<sup>156</sup> برقية المفوض في ٢٢/٢/١٩٣٩ حول الدعاية التركية : A.A.E.S.-L, Vol, 573, P.148.



المراسلات بين وزير الخارجية الفرنسي والسفير الفرنسي في انقرة والسفير التركي في باريس<sup>157</sup>.

كما كانت للصحافة الفرنسية تعارض في تسليم اللواء الى تركيا وترى في ذلك خسارة لفرنسا وتعلن ان تركيا ستطالب بحلب ايضا وقسم من الحدود السورية الشمالية مثل جبل كردداغ، وتنتقد سياسة المفوض السامي الفرنسي تجاه القضية، وكذلك هاجمت بعض الشخصيات الفرنسية الموقف الفرنسي الرسمي المتخاذل تجاه تركيا، واعلنت معارضتها لتسليم اللواء الى تركيا لانه ضد حقوق سورية وضد ارادة الشعب في اللواء نفسه، ومخالف لتعهدات فرنسا الدولية نحو المنطقة التي اوتمنت عليها، وأكدت ان ذلك خسارة لفرنسا في الوقت نفسه لانه سيتم ضياع ثغر الاسكندرونة العظيم منها والذي سبق لوزير الخارجية السابق لرستيد بريان (Arislid Berian) ان قدم الاماني باحرازه الى الشعب الفرنسي<sup>158</sup>.

وبسبب استمرار القلق الفرنسي على وضع اللاجئين الارمن في اللواء، تابعت المفوضية الفرنسية في بيروت برقياتها الى وزارة الخارجية في شهر نيسان ١٩٣٩ ولكتبت ان (كوله) حصل على عهد من حكومة هاتاي بتعيين الارمن في الوظائف وانه لاداعي للقلق، وشرحت الوضع في اللواء، ودور (Collet) وغيره من المسؤولين الفرنسيين<sup>159</sup>، ولما عاد المفوض الى بيروت فانه تابع شرح مواقف تركيا بخصوص هاتاي وحدودها وحول ما اثاره مندوب تركيا في لجنة الانتداب بعصبة الامم خلال شهر ايار ١٩٣٩<sup>160</sup>.

<sup>157</sup> برقيات وزير الخارجية الفرنسي جورج بونيه (G.Bonnet) الى (Ponfot) في ١٩٣٩/٤/٤ ورسالة السفير (مسيقلي) A.A.E.S.D.N, Vol, 573, P.215-220. وقد كتبت تركيا تحتج بالمعاهدة الفرنسية السورية لتطالب بضم اللواء اليها، مجيد خلوري، قضية الاسكندرونة، ص ١-٢.

<sup>158</sup> على سبيل المثال: مقالة تحدثت عن سياسة الحكومة الشعبية الفرنسية والمفوض السامي تجاه القضية وهي بعنوان "يجب التمسك بالاسكندرونة".

<sup>159</sup> برقية وكيل المفوض السامي (Heyrer) في ١٩٣٩/٤/٢٥ الى وزارة الخارجية الفرنسية: A.A.E.S.-L. Vol, 573, P.218-220.

<sup>160</sup> برقية المفوض السامي في ١٩٣٩/٥/١٦ الى وزارة الخارجية : A.A.E.S.-L. Vol, 573, P.223.

وكان الاتراك يواصلون مساعيهم وتهديداتهم مستفيدين من الاوضاع الدولية ومن ضعف البلاد السورية، ففي تموز عام ١٩٣٩ غدت الظروف الدولية ملائمة مرة اخرى لتركيا فلم تلبث ان استثمرتها دفعة واحدة على حساب سورية، فقد كانت المفاوضات بين بريطانيا وتركيا تسير سيرا حثيثا لعقد معاهدة تحالف، وقد احسن الترك اغتنام الفرصة، فكانوا يسمعون سفير فرنسا (ماسيفلي) ان تركيا يمكنها ان توقع معاهدة مشابهة مع فرنسا عند انتهاء مشكلة هاتاي، ويكفي كما قال سراج اوغلو، وضم اسم فرنسا محل اسم بريطانيا<sup>161</sup>.

وبدا التنازل الفرنسي للمرحلة الاخيرة مع بداية المباحثات الفرنسية للتركية، وتحدثت الصحف الفرنسية عن تاريخ قضية الاسكندرون، واعرضت على السياسة الفرنسية، وذكرت ان جورج بونيه وزير الخارجية الفرنسي ادلى بحضور (سعاد دافاز) سفير تركيا بتصريح صحفي عن قضية السنجق بانها بالنسبة الى تركيا ليست قضية اراضي فقط، ثم صرح (بونيه) في ١٩٣٩/٦/٩ امام لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الفرنسي بقوله "ان تجربة النظام الخاص للواء تضمنت صعوبات استمرت بالظهور دون توقف وتضخمت في عام ١٩٣٨، وان تركيا طلبت في لوائح ١٩٣٩ ربط اللواء بها، ونحن قدرنا ان ذلك في مصلحة السوريين لتحسين العلاقات بين سورية وتركيا"<sup>162</sup>. وتم الاتفاق بين فرنسا وتركيا بعقد معاهدة وقعت في انقرة في ١٩٣٩/٦/٢٣ يتم بموجبها ضم اللواء الى تركيا نهائيا، وفي الوقت نفسه صدر في باريس تصريح مشترك فرنسي تركي تضمن المحافظة على حدود سورية واستقلالها، وفي ١٩٣٩/٦/٢٦ وافق مجلس هاتاي على ماتم في تقرير مصيره<sup>163</sup>. واصبح تسليم

<sup>161</sup> وكانت ألمانيا قد اجتاحت تشيكوسلوفاكيا ولم تكثف بالقيام الموديت الذي باعته لها فرنسا وابطاليا، نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص ١١٠-١١١، خدوري، قضية الاسكندرون، ص ١١٨. وقد تم توقيع المعاهدة الانكليزية التركية في ١٩٣٩/٧/١٢ وتعلقت بالبلقان والشرق الاذن لمواجهة الاحداث الجديدة.

Jabri Jrfan: La Question d'Alexandrette dans le cadre Mandat syrien, P.183-184.

<sup>162</sup> A.A.E.S.-L. Vol, 496, P.100.

<sup>163</sup> تضمن الاتفاق تنظيم تسوية وبرتوكول ورسالتين ملحقتين، اما التصريح فكان من سبع نقاط: Puaux G.: Deux anneés an levant, P.51.

والمذكرة الفرنسية السورية المرفوعة الى وزير الخارجية الفرنسي في ١٩٣٩/٧/٢٣ وما تضمنته حول الاسكندرون: A.A.E.S.-L. Vol, 496, P.100-101.

اللواء الى تركيا ساريا منذ ١٩٣٩/٦/٣٠<sup>164</sup>. ولم تنفع بعض الاعتراضات في عصابة الامم على المعاهدة الفرنسية للتركية لان ماتصمته مخالف لصك الإنتداب، فقد تم كل شيء سياسيا<sup>165</sup>.

ومما تقدم يبدو واضحا ان تسليم اللواء الى تركيا هو ثمن اتفاقها مع فرنسا وبريطانيا.

وفي حين قامت الاقراح في تركيا بتوقيع المعاهدة مع فرنسا، قامت التظاهرات والاحتجاجات في كل مكان من سورية<sup>166</sup>، ولرسلت الحكومة السورية في اواخر حزيران/١٩٣٩ مذكرة الى الحكومة الفرنسية لحتجت فيها على الاتفاق، كما ارسل رئيس الجمهورية السورية، قبيل استقالته، كتابا الى رئيس الجمهورية الفرنسية وغيره من زعماء فرنسا اشار فيه الى ان الحدود السورية كانت تتكلس منذ باشرت فرنسا ان تقوم بهذه المهمة في سورية ولبنان، ولم تكن الحكومة السورية تستطيع ان تتخذ سياسة مستقلة في معالجة هذه المشكلة الخطيرة بسبب وضعها الدولي من ناحية، وبسبب محاذرة رجالها من اغصاب الرأي العام الذي كان ينادي بوجوب المحافظة على اللواء العربي محافظة تامة<sup>167</sup>.

وهكذا ادرك الاتراك غايتهم رويدا رويدا في اقل من ثلاث سنوات بسبب سلسلة للتنازلات للفرنسية المخالفة لابطسب مبادئ الحق والعدل والتي كانت خسارة لفرنسا ايضا<sup>168</sup>. واستلم الاتراك اللواء بصورة كاملة بعد ان قضى الفرنسيون على العهد الوطني في سورية.

وقد كان ضياع الاسكندرونة نتيجة منطقية وفورية للمعاهدة الفرنسية السورية، والتي استغلها الاتراك، وكان للصهيونية دورها الواضح منذ البداية في ضياع

<sup>164</sup> المذكرة الفرنسية في وزارة الخارجية في ١٩٣٩/٨/١٧، A.A.E.S.-L. Vol, 496, P.215-217. نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص ١١١-١١٢؛ خدوري، قضية الاسكندرونة، ص ١١٨-١٢٠.

<sup>165</sup> خدوري، المصدر السابق، ص ١٢٠. وفي ١٩٣٩/٧/٢٤ وهو اليوم التالي لخروج القوات الفرنسية من اللواء نهائيا، بلغ وزير الخارجية الفرنسي السكرتير العام للعصبة بان فرنسا وقعت في ١٩٣٩/٦/٢٣ اتفاقا مع تركيا: A.A.E.S.-L. Vol, 573, P.27.

<sup>166</sup> الكوالي، المراحل، ج ٤/١٧.

<sup>167</sup> نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص ١١٤-١١٥.

<sup>168</sup> اشارت احدى الوثائق الفرنسية الى ذلك، ان سلسلة التنازلات الفرنسية تجاه تركيا، دفعت فرنسا ثمن اخطائها اذ خسرت موقعا استراتيجيا بفتح على آسيا الوسطى وطريق بغداد، وخسرت الطبيعة الجميلة والمركز الثاني للمسيحية في انطاكية، والتي انشئ فيها من قبل مستعمرة طبيعية، وطلاب الكاثب بعدم ابرام المعاهدة مع تركيا والمحافظة على وحدة الاراضي السورية.

A.A.E.S.-L. Vol, 573, P.204.

الاسكندرونة، وقد اشارت مذكرة فرنسية الى اهمية ماتم بالنسبة للاسكندرونة على اعتبار انه جزء من السياسة المتبعة من قبل فرنسا وبريطانيا في المنطقة، ومن ضمنها قضية اليهود في فلسطين والتي تشير اليها المذكرة بانها "معركة العالم العبري مع الاسلام"<sup>169</sup>. فالقضيتان متشابهتان من حيث للخطر ووحدة الاهداف وللقائمين عليهما. واخيرا لقد كان على فرنسا بصفتها دولة منتدبة المحافظة على مناطق انتدابها ومنها الاسكندرونة، ولكن حاجتها الى تركيا في الشرق وبالذات في منطقة البحر المتوسط، اكبر من ذلك، وانها تشترك مع عصبة الامم في المسؤولية على ضياع ارض من البلاد السورية، ان سلخ لواء الاسكندرونة عن سوريا ، يبين بوضوح السياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في المشرق العربي.

<sup>169</sup> مذكرة فرنسية مؤرخة في ١٧/٨/١٩٣٩ منظمة من قبل وزارة الخارجية الفرنسية لشؤون افريقيا والمشرق: A.A.E.S.-L.Vol,496, P.217.

## الاستراتيجية الامريكية لتحقيق (النصر) في العراق

الاستاذ المساعد الدكتور

حميد نفل التداوي<sup>(١)</sup>

### المقدمة

في الاول من ايار عام ٢٠٠٣ أعلن الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش بأن المهمة قد أنجزت وأن العمليات العسكرية في العراق قد أنهت ولم يدرك الرئيس أنها البداية لمرحلة جديدة حملت معها الكثير من التداعيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والامنية نتيجة "للاخطاء" الكبيرة التي وقعت فيها الادارة الامريكية في العراق وتحديدًا القرارات التي اتخذها الحاكم المدني في العراق بول بريمر والتي اجهز فيها على الدولة العراقية وكان من أبرز نتائجها حدوث فراغ سياسي وأمني قاد الى أوضاع داخلية مضطربة لم يشهد تاريخ العراق الحديث والمعاصر لها مثيلاً. دفعت الرئيس الامريكي الى الاعتراف "بالاخطاء" التي ارتكبت في العراق والاعلان في ٢٠٠٥/١١/٣٠ عن الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق والتي فشلت في تحقيق تقدم ملموس على المسارات السياسية والاقتصادية والامنية .

ونتيجة لهذا الاخفاق عاد للرئيس الامريكي في ٢٠٠٧/١/١٠ ليعلن الاستراتيجية الامريكية الجديدة لتحقيق للنصر في العراق في ظل أزمة سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية تعصف بالعراق ودول اقليمية تبحث عن (مكاسب) وتصفية حسابات على الساحة العراقية ومجتمع دولي عاجز أو لايسمح له القيام بدور يمكن أن يساعد على الحل المطلوب .

ومن اجل التعرف على هذه الاستراتيجية واهدافها و مساراتها سنتناول الموضوع من خلال المبحثين الاتيين :

- (١) المقدمات وخلفيات المواقف الامريكية تجاه العراق .
- (٢) الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق .

### المبحث الاول

#### المقدمات وخلفيات المواقف الامريكية تجاه العراق

تزامن الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ مع متغير اساسي على صعيد العلاقات الدولية تمثل في تراجع دور ومكانة الاتحاد السوفياتي وانهاره لاحقاً وتبؤ

(١) استاذ جامعي - باحث اكايمي

للولايات المتحدة الامريكية مركز القيادة العالمية لتوافرها على عناصر القوة العسكرية والاقتصادية والمعرفية والتبشير بولادة نظام عالمي جديد .

وقد شكلت هذه الازمة " أول اختبار حقيقي لهذا النظام " حيث عملت الادارة الامريكية على افضال لية محاولة عربية أو اقليمية أو دولية لأيجاد مخرج لهذه الازمة لانها أختارت قرار الحرب ونجحت فيه من تجريد العراق من قوته العسكرية وتنمير بنيته التحتية وأردفتها بسملة قرارات صادرة عن مجلس الامن أسهمت بشكل كبير في أضعاف الجبهة الداخلية وعزل العراق عن محيطه العربي والاقليمي والدولي " بعدما أتاح لها انهيار الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة توظيف الامم المتحدة بصفة عامة ومجلس الامن على وجه الخصوص لفرض عقوبات مختلفة و ممارسة المزيد من الضغوط عليه " وتصفية الحسابات معه لاحقاً.

ولم يكن هذا بمعزل عن نمو الفكر اليميني المحافظ الذي يرى في " استخدام القوة أحد الخيارات المطروحة والضرورية للوصول الى غاية بناء مشروع امريكي عالمي وهذه التطورات في أنتاج الرؤى حدثت نتيجة النمو المستمر في الاقتصاد والعلم والتكنولوجيا " وجاءت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ لتثير جدلاً كبيراً ونقاط اختلاف عديدة من حيث طبيعتها وتأثيرها في السياسة الخارجية الامريكية وقد برز في هذا الجدل الفكري والسياسي اتجاهان :

**الاتجاه الاول :** يرى انها لحظة فارقة أدت الى تشكيل سياسة خارجية امريكية جديدة ذات معالم مختلفة عن تلك التي كانت قائمة من قبل<sup>١</sup>.

**الاتجاه الثاني :** يؤكد انها لحظة كاشفة بمعنى ان السياسة الخارجية الامريكية التي بدأت تتشكل عقب تلك الاعتداءات لم تكن في الواقع جديدة . فقد كانت هذه السياسة قائمة بالفعل وكل ما فعلته أحداث ١١ أيلول أنها كشفت عن واقع تلك السياسة وقدمتها للعالم في صورتها الحقيقية خالية من

<sup>١</sup> محمد شوقي عبد العال . مواقع العرب في النظام الدولي الجديد . شؤون عربية العدد ٧٥ الامانة العامة لجامعة الدول العربية . القاهرة ١٩٩٣ ص ٧٢ .

<sup>٢</sup> لمزيد من التفاصيل بهذا الخصوص أنظر أديس كريني . التدخل في الممارسات الدولية : بين الحظر القانوني والواقع الدولي المتغير في العولمة والنظام الدولي الجديد . سلسلة كتب المستقبل العربي ٣٨ . مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٤ .

<sup>٣</sup> عماد مؤيد جاسم . أثر دراسة قوى التغيير في مستقبل الدولة القومية . أطروحة دكتوراه غير منشورة . كلية العلوم السياسية . جامعة النهرين ٢٠٠٦ ص ٨٤ .

<sup>٤</sup> بامل سلوم محمود . المجمع الصناعي العسكري والاعلام الامريكي ودورها في رسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية ١٩٩٠ - ٢٠٠٢ أطروحة دكتوراه غير منشورة . المعهد العالي للدراسات الدولية / الجامعة المستنصرية ٢٠٠٤ / ص ٢٠٢ .

السمات ومحاولات التجميل كسياسة تنزع بشدة نحو الهيمنة على مقدرات عالم مابعد الحرب الباردة<sup>٥</sup>.

وبعيدا عن هذا الخلاف والتباين في وجهات النظر فإن الشيء المهم الذي يجب التأكيد عليه أن هذه الاحداث تمثل إحدى المحطات الرئيسية لعالم مابعد الحرب الباردة وهو مايسلم به منظرو هذين الاتجاهين .

لقد استخدمت الادارة الامريكية الهزة النفسية الهائلة التي خلفها الحدث في صفوف الامريكيين لتبرير اجندتها وتبرير مضاعفة الاتفاق العسكري وتكثيف التدخل العسكري في الخارج<sup>٦</sup>.

ولكن هذا لا يمنع الاشارة الى ان رؤية الادارة الامريكية الجديدة لم تكن وليدة الفوز بانتخابات الرئاسة أو لحدث ١١ ايلول وإنما هي سبقت ذلك . وبالعودة الى الوثيقة التي صاغها كوندليزا رايس والتي كانت تتولى منصب مستشارة مرشح الرئاسة للشؤون الخارجية تعكس رؤية هذا المرشح المستقبلية للعالم في حالة انتخابه. وقد نشرت هذه الوثيقة في مجلة Foreign Affairs (الشؤون الخارجية) في عددها الاول من عام ٢٠٠٠ بعنوان (حملة ٢٠٠٠ النهوض بالمصالح القومية) وفي هذه الوثيقة نلمس الاتجاه المحافظ التقليدي في تصور السياسة الخارجية الامريكية للعهد الجديد والتي تقوم على الاسس الاتية :

١. ضمان قدرة الجيش الامريكي على درء التهديدات الخارجية والدفاع عن مصالح الولايات المتحدة عند فشل سياسة الردع والاحتواء .
٢. تعزيز النمو الاقتصادي من خلال تعزيز التجارة الحرة ونظام مالي عالمي مستقر .
٣. توطيد العلاقات الحميمة والقوية مع الحلفاء التقليديين الذين يشتركون مع الولايات المتحدة في قيمها ومستعدون للاسهام في تحمل أعباء نشر السلم والرفاهية.

<sup>٥</sup> علي حسين حميد . القوى الإقليمية والقوى الكبرى . دراسة في استراتيجيات الشراكة والتوظيف . دراسة حالة العراق والولايات المتحدة الامريكية . اطروحة دكتوراه غير منشورة / كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين ٢٠٠٧ ص ٢٧٦ .

<sup>٦</sup> السيد ولد أباه . عالم مابعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الاشكالات الفكرية والاستراتيجية . الدار العربية للعلوم . بيروت ٢٠٠٤ ص ١٢ .

<sup>٧</sup> باسل سلوم محمود . المجمع الصناعي العسكري والاعلام الامريكي ودورها في رسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية ١٩٩٠ / ٢٠٠٢ . مصدر سابق ص ٢٠٠ - ٢٠٠ وكذلك السيد ولد أباه عالم مابعد ١١ سبتمبر مصدر سابق ص ٣٦ - ٣٧ .

٤. تركيز الطاقات الامريكية على بناء علاقات مع القوى الدولية الكبرى وخاصة روسيا والصين بما يضمن تحقيق مصالح الولايات المتحدة .

٥. للتعامل بشكل حاسم مع خطر " الانظمة المارقة " المتهمه من قبل الولايات المتحدة برعايتها للارهاب تارة ومحاولتها للحصول على أسلحة الدمار الشامل تارة أخرى .

وترى رايس أن الادارة الديمقراطية السابقة قد استبدلت معيار المصلحة الوطنية بمقولة المصالح الانسانية أو مصالح المجموعة الدولية . في حين يتعين إعطاء الاولوية للمصالح القومية الامريكية بل أن تركيز الولايات المتحدة على مصالحها الذاتية يؤدي عمليا الى تعزيز الحرية والسلام والرفاهية الاقتصادية في العالم<sup>٨</sup>.  
وتقوم هذه الاستراتيجية على ركيزة أساسية قوامها السعي الحثيث لاجهاض التطورات والقوى المنذرة بالخطر قبل أن تصبح في حاجة الى علاجات حاسمة<sup>٩</sup>.  
ويتعلق الامر هنا بأستراتيجية تقوم على التخويف والضربة الاستباقية بلورتها مراكز الرأي الغربية من مدرسة المحافظين الجدد التي أسست لهذا الغرض بنية ثقافية وأعلامية . متكاملة<sup>١٠</sup>.

وتتمحور هذه الاستراتيجية حول ثلاثة مرتكزات أساسية هي :

- (١) ملاحقة التنظيمات " الارهابية " بالوسائل العسكرية والامنية والقانونية .
- (٢) السعي لمنع انتشار أسلحة الدمار الشامل والحيولة دون امتلاكها من قبل الدول " المارقة " .
- (٣) توظيف قيم الديمقراطية وحقوق الانسان واستغلالها لتحقيق المصالح الامريكية.

أن ممكن الخطورة في عقيدة الحرب الاستباقية التي تعني شن الحرب لمجرد الاشتباه في وجود تهديد على الولايات المتحدة ودون الحاجة الى تفويض من الامم المتحدة ليس فقط في أنه يخلق حالة عداء وخوف من نيات الولايات المتحدة وخططها تجاه الآخرين إنما لانه (يوجه دعوة الى الآخرين لتطبيق العقيدة نفسها)<sup>١١</sup>.  
كل حسبما يرى مصلحته .

<sup>٨</sup> السيد ولد أباه مصدر سبق ذكره ص ٣٧ .

<sup>٩</sup> عبد القادر محمد فهمي . المعخل الى دراسة الاستراتيجية . دار الرقيم للنشر والتوزيع الطبعة الاولى بغداد ٢٠٠٥ ، ص ٣٣٠ .

<sup>١٠</sup> السيد ولد أباه مصدر سابق ص ٨٠ .

<sup>١١</sup> جيفري ريكورد الحرب الامريكية في العراق في عاميها الاوليين . الناشر معهد البحرية الامريكية . عرض المستقبل للعربي . السنة ٢٨ . العدد ٢١٧ تموز ٢٠٠٥ . ص ٢١٦ .



أن الرؤية الأمريكية بعد أحداث ١١ أيلول أصبحت تتمحور حول خطا يحاول الجمع أو (التقريب) بين المثالية الولسونية أمريكيا بصفتها ضمير الانسانية والمسؤولة عن نشر الحرية والديمقراطية والاستثنائية الاحادية في حدها الاقصى الذي (يتخذ شكل طموح أمبروطوري تقليدي لايتقيد بضوابط تشريعية ولايقيم وزنا لمنظم ومؤسسات دولية بل ينطلق من مبدئين متلازميين هما من جهة أن الشرعية تتولد من السلطة المهيمنة وان مصلحة الولايات المتحدة القومية هي مصلحة العالم)<sup>١٢</sup>.

وشكلت هذه الرؤية علامة فارقة ونقطة تحول في الفكر السياسي وفي رؤية الولايات المتحدة لنفسها ولعلاقاتها مع العالم ووجدت فيه فرصة تعوض فيه مافقته من فرص توفرت لها بعد انتهاء الحرب الباردة وكذلك حرب الخليج الثانية لإعادة صياغة المبدء للنظام لسياستها الخارجية<sup>١٣</sup>.

وخلال ألك (٤٨) ساعة التي تلت الحدث ركز الخطاب السياسي الأمريكي على ثلاث عناوين مركزية هي<sup>١٤</sup>:

- ١ - نفذ الاعتداءات أسامة بن لادن وتنظيمه القاعدة .
  - ٢ - قاعدتهم في أفغانستان يجب الاطاحة بها عبر الحرب .
  - ٣ - يجب أن تمتد الحرب بعد ذلك الى دول أخرى تقدم للارهابيين ملاذا .
- وعلى أساس هذه النقاط تحدثت الافكار والاسس بخصوص محاربة الارهاب كونها مبادئ لايتقبل النقاش "معنا لو مع الارهابيين" وهو مايعني وضع الادارة الأمريكية الحرب على الارهاب في المستوى نفسه والمكانة ذاتها للشي كان يحتلها هدف محاربة الشيوعية خلال الحرب الباردة<sup>١٥</sup>.

وفي ظل تلك الاجواء كثفت الولايات المتحدة من خطابها السياسي حيال العراق متهمة آياه بامتلاك أسلحة الدمار الشامل وعلاقته بالقاعدة<sup>١٦</sup>، وأفترضت إمكانية

<sup>12</sup> السيد ولد آياه مصدر سابق ص . ٥٠ .

<sup>13</sup> جمال عبد الجواد . السياسة الأمريكية تجاه العراق . تشدد يعني وهوس أمني . السياسية الدولية . العدد ١٥٠ . ٢٠٠٢ . ص ٨٥ .

<sup>14</sup> ماتيهاس بروكيز . المؤامرة . نظريات المؤامرة وأسرار ٩/١١ . ترجمة كاميران حوج . منشورات الجمل . كولونيا ألمانيا - بغداد - ٢٠٠٥ . ص ١٦٤ .

<sup>15</sup> أحمد أبراهيم محمود . الارهاب الجديد . الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية . السياسة الدولية . العدد ١٤٧ . السنة ٢٠٠٢ . ص ١٦٤ .

<sup>16</sup> ذكرت محطة ( سي بي اس ) أن رامسفيلد وبعد ساعات من الهجوم على مبنى البنتاغون أوعز بالهجوم على العراق على الرغم من أن مسؤولي الاستخبارات أخبروه أن القاعدة وراء الهجوم ولايوجد ارتباط بين العراق والقاعدة الا أن رامسفيلد قال " تحركوا بكثافة وأجمعوا كل شيء المرتبط وغير المرتبط " أنظر حسين الحاج علي أحمد . تغيير الثقافة باستخدام السياسة . تجربة العراق . المستقبل العربي العدد ٢٦٤ . ٢٠٠٣ . ص ٥٥ .

أقدام العراق على مهاجمتها يوما بأسلحة دمار شامل مباشرة أو عبر وكلاء<sup>١٧</sup>، ووفقا لهذه الافتراضات استكملت الولايات المتحدة استعدادها للحرب ووضعت الأمم المتحدة على الخطوط الجانبية حينما أصبح مؤكدا أن غالبية أعضاء مجلس الأمن لن يؤيد القول بأن العراق في حالة ( خرق مادي ) ومن ثم ينبغي أن يولج عواقب وخيمة وهو تعبير مرادف للحرب<sup>١٨</sup>.

وعلى هذا الأساس دأبت الإدارة الأمريكية على الترويج لفكرة أن سياسة الإدارة الديمقراطية المباشرة في أحتواء النظام العراقي التي جاءت في إطار سياسة الاحتواء المزوج المطبقة منذ عام ١٩٩٢ قد أثبتت فشلها طيلة العقد الماضي ولن هذا الفشل يمثل مسوغا قويا لتوجيه ضربة عسكرية للعراق تصحح أخطاء الماضي وتزيل الخطر الذي يمثله النظام العراقي كلفة<sup>١٩</sup>.

وفي هذا السياق طرح الرئيس جورج دبليو بوش خيار الحرب ضد العراق خلال اجتماعه في كروفورد مع رئيس الوزراء البريطاني توني بليزر " أن سياسة حكومتي هي الاطاحة بصدام حسين وأن الخيارات كلها مفتوحة"<sup>٢٠</sup>.

وأكدت الإدارة الأمريكية أنها ستشن الحرب على العراق سواء بقرار من مجلس الأمن أو من دونه مما يجسد درجة عالية من الاستخفاف بالشرعية والقانون الدولي<sup>٢١</sup>. وأكدت على قوى دولية مثل فرنسا وألمانيا حقا في الاختلاف مع السياسة الأمريكية بشأن التعامل مع المسألة العراقية متهمة إياها بأنها تعبر عن أوروبا القديمة<sup>٢٢</sup>. كما أنها لم تهرأ ذاتا صاغية لاعتراضات روسيا والصين ولم تقم أي اعتبار للرأي العام الأمريكي والعالمي المناهض للحرب وكان نتيجة هذه السياسة شن الحرب في ٢٠٠٣ / ٣ / ٢٠ وسقوط النظام الحاكم في ٢٠٠٣ / ٤ / ٩ ووقوع العراق في قبضة الاحتلال الأمريكي - البريطاني.

١٧ نصير عازوري . حروب جورج دبليو بوش الواقعية بين مركزية الخوف وعولمة أروهاب الدولة . المستقبل العربي . السنة ٢٦ . العدد ٢٦٧ . تشرين الثاني . ٢٠٠٣ . ص ٢٧ .

١٨ هاتز فون سيونيك . مبادئ الحرب ومقابل السلام : للعراق إلى أين . المستقبل العربي . السنة ٢٨ . العدد ٣١٧ تموز ٢٠٠٥ . ص ٤١ .

١٩ علي حسين حميد القوى الإقليمية والقوى الكبرى مصدر سابق . ص ٦٦ . نقلا عن مايكل هلمسون سياسات السلام الأمريكي في العراق والشرق الأوسط في مجموعة بلاتين . احتلال العراق وتداعياته عربيا ودوليا . ط١ . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ٢٠٠٤ .

٢٠ ميلان راي . خطة غزو العراق . ترجمة حسن الحسن . ط١ . بيروت دار الكتب العربي ٢٠٠٣ . ص ١٢٦ .

٢١ حصنين توفيق إبراهيم . النظم السياسية العربية . الاتجاهات الحديثة في دراستها . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ٢٠٠٥ . ص ١٤٨ .

٢٢ المصدر نفسه . ص ١٤٧ .

ولذا ما استبعدنا الأهداف المعلنة لاحتلال العراق فإن الأهداف الحقيقية للولايات المتحدة تتمثل في السيطرة على نفط المنطقة وضمان أمن إسرائيل لأن الامساك بورقة النفط في العالم كورقة ضغط استراتيجية حيث التحكم في تصدير النفط ( العرض ) وفي أسعاره يضع كل القوى الاقتصادية العالمية تحت رحمة الشروط الأمريكية ويحد كثيراً من قدرتها على منافسة الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة<sup>٢٣</sup>.

وقد عبر فرانك كارلوتشي الخبير في مجلس سياسات الدفاع الأمريكية عن هذه التوجهات " لدينا استراتيجية عليا غاية في البساطة نحن نريد في المنطقة نظاماً موالية لنا لا تقاوم أرادتاً ، ثم أننا نريد ثروات هذه المنطقة بغير منازع ، ونريد ضماناً لامن إسرائيل لأنها الصديق الوحيد الذي يمكننا الاعتماد عليه"<sup>٢٤</sup>.

وفي ذات السياق يشير مايكل هدسون الباحث الأمريكي من جامعة جورج تاون في المؤتمر الذي نضمته السفارة الألمانية في بيروت/ تموز - ٢٠٠٣ بالتعاون مع مؤسسة فريد ريش ليبيرت . والذي حمل عنوان (المسألة العراقية : حق تقرير المصير تحت الاحتلال ) أن لهذا التدخل أسباب غير معلنة تتلخص بتعزيز الأمن الاقليمي لإسرائيل وألغاء الخطر الذي يشكله العراق على دول خليجية وتفكيك الاقتصاد الاشتراكي الموجه في هذا البلد وتعزيز بعض المؤسسات النفطية الأمريكية<sup>٢٥</sup>.

المبحث الثاني:

الاستراتيجية<sup>٢٦</sup> الأمريكية لتحقيق النصر في العراق

<sup>23</sup> خير الدين حبيب . مستقبل العراق . الاحتلال . المقاومة . التحرير والديمقراطية . سلسلة كتب المستقبل العربي . ٣٥ . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ٢٠٠٤ ص ٢١٨

<sup>24</sup> عودة مختار موسى . مستقبل العلاقات الأمريكية - السودانية بعد اتفاقية السلام . المستقبل العربي . المنة ٢٨ . العدد ٣١٩ . أيلول ٢٠٠٥ ص ٦٤ . نقلاً عن محمد حسنين هيكل . الامبروطورية الأمريكية .

<sup>25</sup> جاسم يونس الحريري - العراق الى أين (( ملف )) للوحدة الوطنية . المستقبل العربي . المنة ٢٧ . العدد ٣٠٥ . تموز ٢٠٠٤ ص ٦٢ .

<sup>26</sup> إذ كانت السياسة هي مجال تحديد الأهداف فإن الاستراتيجية هي الآداة للوصول الى تحقيق هذه الأهداف ويصبح خضوع الاستراتيجية للسياسة هو من المبادئ الأساسية المسلم بها في الفكر الاستراتيجي . وفي ضوء هذا التصور فإن الاستراتيجية يمكن تعريفها بأنها " علم وفن استخدام الوسائل والقدرات المتاحة في إطار عملية متكاملة يتم اعدادها والتخطيط لها بهدف خلق هامش من حرية العمل تعين صناع القرار على تحقيق أهداف سياستهم العليا في أوقات السلم والحرب "

ومن خلال هذا التعريف يفترض توالف عدة شروط عند وضع الاستراتيجية منها  
(١)وضوح الأهداف(٢)واقعية الأهداف(٣)العقلانية(٤)الاستمرارية(٥)المرونة.

"سوف يتم تحقيق النصر بتوفر العزيمة ، ولكن ليس في موعد محدد ولم يسبق أن تم تحقيق النصر في أي حرب في السابق بناء على جدول زمني ولن يحدث ذلك في هذه الحرب أيضاً".<sup>٢٧</sup>

هذه الفقرة هي جزء من خطاب الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في ٢٠٠٥/١١/٣٠ في الأكاديمية البحرية في لنا بوليس بولاية ميريلاند تتناول فيه الاهداف الامريكية في العراق والخطة لتحقيق النصر ، والغرض من " الاستراتيجية القومية للنصر " التي أصدرها البيت الابيض وأعدّها مجلس الامن القومي .

وجاء في الاستراتيجية: نظرا لكونه " (( أي العراق )) الجبهة الرئيسية في الحرب العالمية على الارهاب فإن النصر في العراق عنصر أساسي في الحرب الطويلة ضد أيديولوجية تولد الارهاب الدولي<sup>٢٨</sup> .

ولتحقيق هذه الغاية فإن هذه الاستراتيجية تتمحور حول ثلاثة مسارات :

١. المسار السياسي : ويتمثل في أرساء "النظام السياسي الديمقراطي" القادر على حماية حقوق ومصالح جميع المواطنين .

٢. المسار الأمني : شن حملة واسعة لهزيمة الارهابيين وإعادة بناء قوات الامن العراقية وتطويرها!.

٣. أرساء اقتصاد متين قادر على الاستمرار دون مساعدات خارجية .

وعلى الرغم من التأكيد أن هذه " الاستراتيجية متكاملة ومتكافئة العناصر "<sup>٢٩</sup> . لم يؤخذ بنظر الاعتبار هذا التزام بين هذه المسارات الثلاثة والقيام بمراجعة شاملة للوضع في العراق تقضي الى تجاوز "الخطاء" التي أرثكت طويلة الفترة الماضية وفي مقدماتها مبررات خوض الحرب<sup>٣٠</sup> . والتي أسندت الى معلومات عن امتلاك العراق لاسلحة الدمار الشامل وعلاقته بالقاعدة لتبرير شن الحرب وهو ماتبين للراي العام الأمريكي والعالمي لاحقا أنه لا أساس لها من الصحة على الاطلاق .يضاف الى ذلك الاخفاق الكبير في تقديم تقدير دقيق لحجم مشكلات العراق السياسية والامنية

لمزيد من التفاصيل عن الموضوع انظر عبد القادر محمد فهمي . المدخل الى الاستراتيجية . مصدر سابق . ص ١٢ - ٢٦ .

<sup>27</sup> جورج دبليو بوش . الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق . نشرة واشنطن . مكتب برامج الاعلام الخارجي بوزارة الخارجية الامريكية .

1/12/2005 [www.usinfo.state.gov/ar/home/](http://www.usinfo.state.gov/ar/home/)

<sup>28</sup> نلس المصدر.

<sup>29</sup> جورج دبليو بوش . الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق . مصدر سابق.

<sup>30</sup> وفي ذات السياق اشارت وزيرة الخارجية البريطانية مارغريت بيكت " الى أن بريطانيا والولايات المتحدة ارتكبتا اخطاء في العراق منذ الحملة لاسقاط نظم صدام حسين " قناة الحرة ٢٠٠٧/١٢/٢٩

والاقتصادية والاجتماعية والمخاطر المحدقة لتدخل قوى وأطراف إقليمية في الشأن العراقي<sup>31</sup>.

ولملم هذه المشكلات والتعقيدات لم تجد وزيرة الخارجية الامريكية كونداليزا رايس سوى الاعتراف صراحة بالارتكاب الاف "الاطعاء" التكتيكية في العراق والتي كان الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش قد سبقها في الاشارة الى عدم استيعاب الواقع العراقي ومن ثم عدم تحديد الآليات بشكل صحيح . ففي مقابلة نشرتها صحيفة نيويورك تايمز في ٢٦/٨/٢٠٠٤ يقول ( لقد وقعنا في اخطاء حسابية بشأن ما ستكون عليه الاحوال في العراق )<sup>32</sup>.

وفي الحقيقة فإن هذه "الاطعاء" التي تحدثت عنها كونداليزا رايس والرئيس الامريكي جورج دبليو بوش لم تكن تكتيكية ولا حسابية على الاطلاق ولكنها مرتكزة على الفلسفة والثقافة السياسية الامريكية في رؤيتها للعالم وموقفها من الاخر وتعاطيها مع القضايا الدولية .

لذلك يرى الكثير من الاستراتيجيين والمحللين السياسيين ومن بينهم أنتوني كوردمان الأستاذ في مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن أن المشكلة تكمن في أن (( الولايات المتحدة أختارت استراتيجية ذات أهداف لما بعد الصراع غير واقعية ومن غير الممكن تحقيقها . لقد خططت لحرب أرادت أن تخوضها وليس السلام الذي كان من المؤكد أن يعقبها ))<sup>33</sup>.

ولو كان المفكر الاستراتيجي الالماني كارل فون كلاوزفيتز حيا لكان قد نكر بمدى أهمية أن يعرف المرء متى يذهب الى الحرب وأي نوع من السلام يريد<sup>34</sup>. وكان الفيلسوف اليوناني أرسطو قد أشار الى هذه الحقيقة عندما قال " أن الحرب ليست إلا وسيلة احتياطية لحل المشاكل وأنه لا يجب اللجوء اليها الا في النادر والقليل من الحالات"<sup>35</sup>.

لقد أشارت الكثير من التقارير والدراسات الى خطورة الوضع في العراق وإن حالة من الفوضى سوف تسود الساحة العراقية لأن الادارة الامريكية لم تضع السياسات والآليات الملائمة لمرحلة ما بعد صدام حسين أو أنها تريد ذلك .

<sup>31</sup> لمزيد من التفاصيل حول الموضوع انظر أنتوني كوردمان . المقاومة المتطورة في العراق المستقبل العربي . السنة ٢٨ . العدد ٣١٨ . اب ٢٠٠٥ .

<sup>32</sup> فيليبس بينيس . انتقال فائز للسلطة . النفقات المتصاعدة في العراق . المستقبل العربي . السنة ٢٧ . العدد ٣٠٩ . تشرين ٢٠٠٤ . ص ١٣ .

<sup>33</sup> أنتوني كوردمان . المقاومة المتطورة في العراق . مصدر سبق ذكره . ص ٣٤ .

<sup>34</sup> هاتز فون سيونيك . ما بعد الحرب وبعد السلام . مصدر سابق ص ٤٢

<sup>35</sup> مارسيل بريلو . جورج لوسكيه . تاريخ الأفكار السياسية . الاهلية للنشر والتوزيع . بيروت . ١٩٨٦ . ص ٦٩ .

أن طريقة الولايات المتحدة في تناول عراق ما بعد الحرب عسكريا وسياسيا واقتصاديا قد كشفت عن أنها كارثة للولايات المتحدة وللإعراق ككتلة وللحالة المادية والعقلية للشعب العراقي . أن المعاناة لثلاث سنوات الدكتاتورية وسنوات العقوبات الاقتصادية قد استبدلت بعد الغزو غير الشرعي بمعاناة بسبب الاحتلال<sup>٣٦</sup> . كانت الإدارة الأمريكية تعلم معظم هذه الحقائق والمخاطر قبل الحرب وكان بإمكانها أن تكتشف حقائق أخرى ولكنها بدل من هذا استهانت بها أو اخفتها أو اساعت تقديمها<sup>٣٧</sup> .

وانثارت موجات السلب والنهب والحرق والتدمير عقب سقوط النظام علامات استهقام كبيرة حول طبيعة هذه الاعمال والجهات التي تقف ورائها والتي كان الهدف من ورائها الاساءة الى تاريخ العراق وهويته الوطنية .

وبهذا الصدد يشير بول بريمر الحاكم المدني للعراق الى " النهب التام للمتحف الوطني العراقي حيث سرق الناهبون الاف القطع الاثرية القديمة التي لا تقدر بثمن وترجع الى فجر الحضارة في بلاد ما بين النهرين "<sup>٣٨</sup> . والتي لم تحرك ساكنا لدى القوات الامريكية على الرغم من نداءات الاستغاثة من قبل العاملين في المتحف ويوعز بول بريمر سبب ذلك الى " انه لم يكن لدى الجنود الامريكيين الذين يزيد عددهم على (٤٠) الف أوامر لوقف الناهبين<sup>٣٩</sup> .

ولكن الحديث لا يزال لبول بريمر (عندما احتلت القوات التي تقودها الولايات المتحدة هايتي في سنة ١٩٩٤ قتلت قولتا ستة ناهبين خرخوا منع التجول فتوقف النهب)<sup>٤٠</sup> .

وعلى ارض الواقع شرع بول بريمر الحاكم المدني للعراق ( ايار ٢٠٠٣ - حزيران ٢٠٠٤ ) على اتباع سياسة خاطئة<sup>٤١</sup> فقد جرى حل الجيش العراقي

36 هانز فون سيونييك . مصدر سابق . ص ٤٣ .

37 ٧٢٩ اكاديميا من خبراء الشؤون الخارجية والامن : سياسات ادارة بوش في العراق الاكثر ضلالة منذ فترة فيتنام ، رسالة مفتوحة الى الشعب الامريكي . المستقبل العربي ، العدد ٣٠٩ ، تشرين ثاني ٢٠٠٤ . ص ١٤٢ .

38 بول بريمر عام قضيته في العراق . ترجمة عمر الايوبي . دار الكتاب العربي . بيروت . ص ٢٤ .

39 نفس المصدر السابق ص ٢٢ .

40 المصدر نفسه . ص ٢٧ .

41 ان التصور الذي اشاعه بعض الكتاب والمحللين الغربيين والذي جاراهم فيه عدد من الكتاب والمحللين العرب ومفاده ان بول بريمر ارتكب خطأ جسيما حينما اعلن حل الجيش العراقي قد تسبب في شيوخ فكرة زائفة ومضللة عن اهداف وطبيعة الاستراتيجية الامريكية في العراق و لقد تبين بوضوح ان القرارات التي اتخذها بول بريمر ومنها قرار حل الجيش لم يكن مجرد خطأ او سوء تقدير بل كان تجسيدا لسياسة تدمير ومحو الدولة وصولا الى تفكيك المجتمع العراقي وفق اسس طائفية وعرقية على نحو يتوافق مع المصالح الامريكية في المنطقة .

وقوات الشرطة والامن، وحل وزارة الاعلام، وتسريح الاف من الموظفين، الذين شملهم قانون (اجتثاث البعث) وانكفاء حدة النزعات العرقية والطائفية<sup>٤٢</sup>. مما ساعد على خلق لوضاع داخلية مضطربة لم تعد الدولة ومؤسساتها قادرة على فرض سلطة القانون .

وهكذا قامت هذه السياسة الى تعقيد الازوضاع وتفاقم المشكلات بدلا عن ايجاد الحلول المناسبة لها والى تنامي المشاعر الوطنية للرافضة للاحتلال<sup>٤٣</sup>. لان 'معارضة الاحتلال ليست متوقفة على منطق المحتل او الكيفية التي يتصرف بها'<sup>٤٤</sup>. والشعارات التي يرفعها ولكنها مرتبطة بالدرجة الاساس بالدفاع عن ارض وهوية وتاريخ وحيثما يوجد احتلال توجد مقاومة<sup>٤٥</sup> ولا يمكن بأي حال من الاحوال ان يكون العراق استثناء من هذه القاعدة .

وهكذا بدأت الوقائع تنحضر منطلقات الخطاب السياسي الامريكي عن شرق اوسط جديد-كبير ينعم بالديمقراطية والاستقرار بعد ان اخفقت الولايات المتحدة في خلق الظروف السياسية المناسبة للتقليل من الاستياء الشعبي (كون تفكيرها وهمها الاساس انصب على جانب واحد هو كيفية القضاء على للنظام العراقي وعدم اضرارها

---

فاضل الربيعي، الاحتلال الامريكي للعراق . نكتيك الهروب من كابوس الشرق الاوسط الجديد، نتائج وتداعيات في الاحتلال الامريكي للعراق، صوره و مصانره . سلسلة كتب المستقبل العربي ٤٣، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٥ ص ص ١٤٨-١٤٩ .  
وكذلك انظر عبد الوهاب القصاب، الجيش (( العراق الى اين / ملف . المستقبل العربي. السنة ٢٧ . العدد ٣٠٥ تموز ٢٠٠٣ . ص ١١١

<sup>٤٢</sup> حينما عينت سلطة التحالف مجلس الحكم تبنت مشروعا للتمثيل التسمي الطائفي والعراقي بدلا من التمثيل السياسي .و على الرغم من الدعوات المتكررة الى اقامة التمثيل العراقي على اساس سياسي فان التوزيع العرقي والطائفي ظل قائما واصبح السمة الطاغية على العملية السياسية.

انظر علي حسين حميد. القوى الاقليمية والقوى الكبرى . مصدر سابق ص ٣٤٩ ، وكذلك بول بريمر . علم قضيته في العراق. مصدر سابق. ص ١٢٤.

<sup>٤٣</sup> شكل قرار مجلس الامن الدولي ١٤٨٣ ايار ٢٠٠٣ . نقطة تحول حاسمة حينما وصف الولايات المتحدة وبريطانيا بدولتي احتلال . انظر ايم روبرتس . نهاية الاحتلال في العراق ( ٢٠٠٤ ) في الاحتلال الامريكي للعراق صوره و مصانره . سلسلة كتب للمستقبل العربي ٤٣ . مركز دراسات الوحدة العربية . ص ١٩٩ .

<sup>٤٤</sup> كارل كونييتا. دائرة شريرة، ديناميات الاحتلال والمقاومة في العراق ج ١، أنماط المسخط الشعبي ، مجلة المستقبل العربي. السنة ٢٨ . العدد ٣١٧ تموز ٢٠٠٥ ص ١٢٧ .

<sup>٤٥</sup> المقصود هنا بالمقاومة التي تقاتل المحتل من اجل استقلال و حرية و وحدة العراق، اي المقاومة الوطنية. اما اعمال الخطف والقتل والتفجيرات التي تستهدف المواطنين الابرياء فهي اعمال ارهابية يجب ادانتها و شجبها و استكراها.

لواقع الحال بعد انهيار مؤسسات الدولة<sup>٤٦</sup>، وتفتي ثلوث-العنف والارهاب- والفساد المالي والاداري- وأتعلم الخدمات، وبدلاً من الاقرار بالامر الواقع والاعتراف بحجم هذه المشكلات وانعكاس ذلك على الوضع الداخلي "افترضت للولايات المتحدة لفترة امتدت لمعظم السنة الاولى بعد سقوط نظام صدام حسين أنها تواجه عدد محدوداً من المقاومين الذين يمكن لقوات التحالف أن تهزمهم"<sup>٤٧</sup>. واختزلت كل المشكلات الناجمة عن الاحتلال في إطار مايسمى مكافحة الارهاب.

وبدل الحديث عن السلام وأشرطاته جرى الحديث عن محاربة الارهاب وإن العراق أصبح الجبهة الرئيسية في الحرب العالمية على الارهاب وكأنها المهمة التي جاءت من أجلها الولايات المتحدة لاحتلال العراق! وبذلك انحسرت وتراجعت وتلاشت الافكار التي تتحدث عن ((نموذج عراقي ديمقراطي)) يؤسس لشرق أوسط جديد- كبير والذي تحدث عنه الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في قمة الدول الصناعية الثمانية / حزيران ٢٠٠٤.

أن دراسة حالتي العراق وافغانستان وكذلك للتجارب التي سبقتها في البوسنة والهرسك وكوسوفو يعزز القول أن كل المشكلات قد تصبح اسوأ اذ مافرض الشكل الديمقراطي من الخارج بطريقة الفرض من أعلى الى أسفل وبتركيز مفرط على خطوات رمزية قليلة مثل إجراء انتخابات، أي دون فهم عميق بقدر كاف للاحوال الاجتماعية ودون انتباه كاف يوجه كل من الرغبات والقدرات المحلية بالاتجاه الصحيح<sup>٤٨</sup>.

لذلك نستطيع القول ان الديمقراطية ليست دساتير وقوانين ومؤسسات واجراءات فحسب ولكنها تتضمن الى جانب ذلك قيماً ثقافية وسياسية مثل التسامح والاعتدال والمشاركة والقبول والتعدد والاختلاف والايمان بالحلول الوسط وبالطرق السلمية في حل الخلافات والصراعات<sup>٤٩</sup>.

أن الانتخابات التي جرت في ٢٠٠٥/١٢/١٥ والتي شاركت فيها غالبية القوى السياسية كان من الممكن أن تكون مقبلة لانضاج تجربة سياسية واعدة وخطوة اولى لارساء مشروع وطني يضع في الاعتبار مصلحة الشعب العراقي ووحدة الوطن. الا ان الاحزاب والكتل الكبيرة التي شكلت الحكومة الحالية والحكومات التي سبقها لازالت تحمل افكار واتجاهات وسياسات لا تتسمج مع مشروع بناء الدولة

٤٦ جاسم يونس الحريري . العراق الى أين . مصدر سبق ذكره . ص ٥٢ .

٤٧ أنتوني كوردمان . مصدر سبق ذكره . ص ٣٩ .

٤٨ ألومون جي . كي . بايلز . الامن العالمي في عام ٢٠٠٥ ودروس العراق . مجلة المستقبل العربي . السنة ٢٨ . العدد ٣٢٣ . كانون الثاني ٢٠٠٦ . ص ٤١ .

٤٩ حسنين توفيق ابراهيم . التنظيم السياسية العربية . مصدر سابق . ص ١١٠ .



الديمقراطية الحديثة والتركيز على بناء السلطة السياسية على اساس المحاصصة الطائفية والعرقية . وهذا ماينسجم مع هدف المحتل في " تهشيم الوحدة الوطنية عن طريق استئثار التنوع في تركيبة البلد الذي يحتلونه قوميا ودينيا ومذهبيا لغرض تحويل ذلك للتنوع الطبيعي الى محفز يخدمهم لتحطيم مقاومة الشعب ثم أرغامه على الرضوخ".<sup>50</sup>

و من اجل اعادة بناء الدولة العراقية على اسس وطنية و ديمقراطية و كبح صيغ المحاصصة للطائفية و العرقية التي اثبتت تجارب السنوات الاربع الماضية فشلها .

فان المطلوب لتجاوز هذه الازمة في بعدها الداخلي ما ياتي:

(١) المشروع الوطني الذي يؤسس لبناء العراق الديمقراطي الموحد و الذي يستند الى فكرة المواطنة بعيدا عن الاعتبارات الطائفية و العرقية و بخلافه فان (الاحوال سوف تتجه نحو مزيد من الانقسام للطائفي و العرقي، انها تتحرك نحو مزيد من الفوضى و انعدام القانون)<sup>51</sup> على حد وصف ايلد علاوي رئيس الوزراء الاسبق .

(٢) تعزيز سلطة الدولة و مؤسساتها لتكون بديلا عن كل المظاهر الغير قانونية (لان احد الجوانب الاساسية التي تميز الوضع الحالي في العراق هو غياب السلطة المركزية لاستخدام القوة في البلاد مما ادى الى نمو متزايد للعيباشيات و الجماعات المسلحة وظهور العصابات و الجريمة المنظمة التي تنتهك في بعض الاحيان بانها على علاقة مع بعض القطاعات في الشرطة وقوى الامن يضاف الى ذلك تزايد عدد الشركات الامنية المحلية و الدولية).<sup>52</sup>

(٣) التعامل مع المشكلات الخلفية من خلال رؤية وطنية صادقة بدأ باجراء بعض التعديلات على الدستور و موضوع الفدرالية و تقاسم الثروات و مشكلة كركوك و قانون اجتثاث البعث.

<sup>50</sup> بقر إبراهيم . الغزو عدوان واستبداد وتصيق للشقاق . المستقبل العربي . السنة ٢٨ ، العدد ٣١٦ ، حزيران ٢٠٠٥ ، ص ١١٠ .

<sup>51</sup> مقابلة مع شبكة ام.اس.ان.بي الاثنين ١١/١٢/٢٠٠٦ نقلًا عن جريدة الزمان الاربعاء ٢٠٠٦/١٢/١٣ .

<sup>52</sup> تقرير بطة الامم المتحدة الدوري بشأن حقوق الانسان في العراق للمدة من الاول من تموز الى نهاية آب ٢٠٠٦ جريدة الصباح العدد ٩٥٦ ، ١٠ تشرين الاول ٢٠٠٦ . وكذلك انظر تقرير منظمة العفو الدولية . الاعتقال و التعذيب في العراق بعد احداث ابو غريب . المستقبل العربي ، السنة ٢٨ ، العدد ٣٢٦ ، نيسان ٢٠٠٦ .

(٤) ضرورة وضع حد لظاهرة الفساد المالي و الاداري و نهب موارد الدولة و المال العام حتى لمسى العراق من بين الدول الثلاث الأكثر ضحدا في العالم<sup>٥٣</sup>.

(٥) تبني استراتيجية اقتصادية و تنموية شاملة تهدف الى تغيير الواقع الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي و البني لعموم العراق تضع في سلم اولوياتها اعادة اعمار العراق و توفير فرص للعاطلين عن العمل و تحسين مستوى للرواتب و الاجور.

(٦) تحقيق المصالحة الوطنية الحقيقية باعتبارها المنخل الصحيح و صمام الامان للعلاقة بين الانا و الاخر.

ومن هنا يتبين حاجة الحكومة و النخب السياسية و الحزبية و مؤسسات المجتمع المدني و القوى الاجتماعية و الدينية ( اقامة برنامج له القدرة على التوفيق بين المسعى المضاد لمواجهة الارهاب و للمسعى المطلوب لتهيئة الارضية الداخلية اللازمة لضرورة العملية السياسية الديمقراطية)<sup>٥٤</sup> وذلك (لا يتم الا بجذب الاخر و تأهيله للالتزام بقدمية الديمقراطية كنهج للبناء لا تزيعة للتمير)<sup>٥٥</sup>. وهذا البرنامج بالتأكيد سيفضي الى التخفيف من سطوة الاحتلال و التمهيد للخلاص منه لاحقا و الحد من التدخلات الاقليمية التي تعمل على زيادة العنف بمختلف اشكاله.

والبعد الثاني للارزمة العراقية يتمثل في سياسات دول الجوار الجغرافي للعراق في تغذية العنف و توجيهه حسبما تقتضي اهدافها و مصالحها. و هو ما وجدت فيه دول الجوار الجغرافي و حتى العربي منفذا للتأثير و عنصرا للمساومة في تحديد الخيارات الوطنية العراقية يعادل بتأثيره سطوة الولايات المتحدة على الخارطة المجتمعية العراقية<sup>٥٦</sup>.

لذلك لا يمكن تصور اي نجاح في العراق في هذه المرحلة على الاقل بدون حوار حقيقي و التزام حقيقي من هذه الاطراف تجاه ضبط الامن و تحقيق الاستقرار و هذا ما اشار اليه تقرير بيكر-هاملتون في ان (السياسة الامريكية لا ينبغي ان تركز على الاستراتيجية العسكرية فقط و انما على الحصول على التزام و تعاون جميع الجيران)<sup>٥٧</sup>، لانه ليس من (مصلحة اي بلد في المنطقة ان تعم الفوضى في العراق)<sup>٥٨</sup>.

<sup>٥٣</sup> ستيفان فينلر و ديميتري سيفاستو بولو ( ماذا حدث لعشرين مليار دولار من الاموال العراقية ) ، المستقبل العربي ، السنة ٢٧ ، العدد ٣١١ ، كانون الثاني ٢٠٠٥ .  
و كذلك تقارير منظمة الشفافية العالمية .

<sup>٥٤</sup> علي حسين حمود . القوى الاقليمية و القوى الكبرى . مصدر سابق ص ٤٠٧ .

<sup>٥٥</sup> منعم صليح السار . المشروع الديمقراطي العراقي و حواشيه الاقليمية و الدولية . مجلة جدل . بغداد . العدد ١٠٥ .  
السنة الاولى شباط ٢٠٠٦ ، ص ١٥ .

<sup>٥٦</sup> منعم صليح السار . المشروع الديمقراطي العراقي . مصدر سابق ص ١٦ .

<sup>٥٧</sup> تقرير بيكر-هاملتون جريدة المشرق السنة الثالثة ، العدد ٨٥٢ ، ١٢/١٢/٢٠٠٦ .

و هذا ما يجب التفكير به و الحذر منه لان دول المنطقة تعاني من مشاكل متشابهة عرقية و طائفية و امكانية انتقال لصراع واردة مع ما يحمله من مخاطر و تداعيات. وفي هذه البيئة نجد اسرائيل و التي عملت بحرص شديد لعزل العراق و عدم تمكنه من القيام بدور فعال في معادلة الصراع العربي للصهيوني و التي عملت مع الادارة الامريكية ابان الغزو العراقي للكويت لاضلال اية محاولة عربية او اقليمية لاجاد حل لهذه الازمة و اعتماد قرار الحرب ضد العراق.

و بعد الاحتلال الامريكي للعراق فان اسرائيل مع (عراق ضعيف و مقسم عرقيا و طائفيا و حليفا ضد الجارين السوري و الايراني و نقطة وثوب الى الخليج و قلب اسيا حيث الطموحات التي تراود اسرائيل بان تكون شريكا في السيطرة على الثروة النفطية في الخليج العربي و منطقة بحر قزوين<sup>68</sup>:

اما بخصوص السياسة الايرانية تجاه المنطقة العربية عموما و العراق على وجه الخصوص فان الولايات المتحدة تبدي خشيتها من تعاطف هذا الدور و تحديد ا في العراق علاوة على الجدل الكبير الذي يثار حول البرنامج النووي الايراني و اتهامها بالسعي لامتلاك السلاح النووي و هذا ما يفسر الضغوط التي مارسها الولايات المتحدة على المجتمع الدولي و استصدار قرار مجلس الامن المرقم ١٧٣٧ كانون الاول عام ٢٠٠٦ الذي يتضمن فرض عقوبات على ايران في حال عدم تعليقها لانشطة تخصيب اليورانيوم و بالنظر لعدم امتثال ايران لهذا القرار فقد اصدر مجلس الامن القرار ١٧٤٧ - اذار ٢٠٠٧

و الذي يفرض عقوبات على ايران لعدم "انصياعها لارادة المجتمع الدولي"، اما ايران فانها ترى ان برنامجها النووي مخصص للاغراض السلمية و لا يهدف الى انتاج اسلحة نووية .

و اذا كانت الولايات المتحدة قد نجحت في تدمير القسم الاكبر من قوة العراق العسكرية في اعقاب غزو الكويت في عام ١٩٩٠ و فرضت عليه حصارا شاملا مهد لاحتلاله عام ٢٠٠٣ ، فانها بالمثل ( لا تريد ان ترى ايران لا يردعها رادع و تهيمن على المنطقة )<sup>69</sup> و هذا ما يفسر طبيعة التصعيد في لهجة الخطاب السياسي حيال ايران و اتهامها بالسعي لزعزعة الاستقرار في العراق و (انها متورطة بارسال اسلحة و متفجرات حديثة و مجاميع مسلحة انت الى مقتل ١٧٠

<sup>68</sup> بي هاملتون، قلة الحرة، ٢٠٠٧/٣/١

<sup>69</sup> محمد المسعود الدريس . تحديات المستقبل العراقي بين العداية السياسية و خيار المقاومة. المستقبل العربي ، السنة ٢٨ ، العدد ٣٢٦ ، نيسان ٢٠٠٤ . ص ٣٢ .

<sup>60</sup> جورج فريدمان . مستقبل العراق: البحث عن توازن اتجاه ايران . المستقبل العربي ، السنة ٢٧ ، العدد ٣١٤ ، نيسان ٢٠٠٥ . ص ٨٤ .

جندياً امريكياً و اصابة ١٦٢٠ اخرون بجروح منذ حزيران ٢٠٠٤<sup>٦١</sup>. من جانبها ردت ايران على هذه الاتهامات و شبهت (هذه الادعاءات بتلك التي كانت تطلقها الولايات المتحدة بامتلاك العراق اسلحة دمار شامل)<sup>٦٢</sup>.

و يبدو ان هناك نوعاً من المقاربة بين الاستراتيجية الامريكية المتبعة مع إيران و تلك التي اتبعت مع العراق ، عزل سياسي و عقوبات اقتصادية و قد يعقبها اجراء عسكري لان ايران تنتهج سياسة العراق في عدم الاذعان للسياسة الامريكية لحقبة ما قبل الاحتلال . و هذا ما بلور ادراك الفكر الاستراتيجي الامريكي بان ايران هي العقبة الاساس التي تعترض المشروع الامريكي لا بل المصلحة الامريكية في منطقة الخليج. فمن الواجب و الضرورة (اجراء التغيير لاكمال خط الديمقراطية الموصل بين تركيا-العراق-ايران-افغانستان والضممن لنجاح المشروع الامريكي الكبير الذي تحل فيه ايران حلقة الوصل بين العراق و افغانستان)<sup>٦٣</sup>.

و الاتهامات الامريكية لسوريا مشابهة لتلك الموجهة الى ايران في دعم "الارهاب" و السماح لمروور مقاتلين لتغذية العنف في العراق اضافة الى معارضتها للسياسة الامريكية حيال الصراع العربي الاسرائيلي والملف اللبناني.

اما تركيا فانها لا تخفي قلقها عما يحدث في العراق و انعكاسه على امنها القومي خاصة فيما يتعلق باقرار فيدرالية لقليم كردستان و التي سيكون لها تأثيرها الواضح في الاستقرار في تركيا و مطالبة اكرادها بحقوق اوسع كما انها تعلن صراحة انها لن تقف مكتوفة الايدي في حالة تعرض مصالح التركمان الى الخطر حول موضوع كركوك. و قد تتجاوز للكثير من هذه التحفظات و الاعتراضات (بتوظيف المتغير العراقي لصالح التسريع بانضمامها الى الاتحاد الاوروبي و استمرار تدفق المساعدات الامريكية)<sup>٦٤</sup>.

وبخصوص الموقف العربي فقد ائتم بالضعف و انعدام المبادرة سواء كان ذلك قبل اندلاع الحرب أم فيما بعد و لم يؤسس لدور حقيقي و فعال يمكن ان يؤديه في العراق و لوضحت استقالة ممثل الجامعة العربية في بغداد مختار اسناني ( ان الجامعة العربية لا تمتلك رؤية عربية واضحة للمساعدة في إيجاد حل للمشكلة العراقية)<sup>٦٥</sup>.

<sup>61</sup> تصريح لمسؤول عسكري امريكي قناة الحرة . ٢٠٠٧/١/١١ .

<sup>62</sup> التاطل باسم وزارة الخارجية الايرانية محمد علي حسيني. قناة العربية ٢٠٠٧/١/١١ .

<sup>63</sup> حازم محمد موسى . العلاقات العربية الامريكية . دراسة في الابعاد الاستراتيجية لمشروع الشرق الاوسط الكبير ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين ٢٠٠٦ ص ٢٥٦-٢٥٥ .

<sup>64</sup> المصدر نفسه . ص ٣٨٤ .

<sup>65</sup> قناة الحرة . ٢٠٠٧/١/٢٨ .

لما على صعيد التعامل الأمريكي مع الأزمة العراقية فإن حالة الاضطراب مسوف تتصاعد مع تمادي النظرة الأحادية للسلوك الأمريكي التي عبر عنها الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش عقب احداث الحادي عشر من ايلول هو اما ان يكون الآخرون معنا او مع "الأرهاب" ومع ( استمرار الولايات المتحدة الأمريكية في اعتمادها لخيار "صفر" في علاقاتها الدولية الأمر الذي لا يتيح للقوى الأخرى مشاركة القوة الأمريكية بل يكرس حصول واشنطن على ما تريد مقابل اذعان الآخرين واقصياهم لتام لها )<sup>٦٦</sup>.

وهذا ما دفع البعض الى تطبيق طريقة "النسخ التاريخي" في استشراف مستقبل الوجود الأمريكي في العراق ومن بينها ان التاريخ قد يعيد نفسه بحيث تجد الولايات المتحدة نفسها وسط مستتق اخر خصوصاً مع وجود بيئه إقليمية غير مواتية لو بكلمة اخرى غير مرحلة بهذا "الوجود"<sup>٦٧</sup> وبيئة سياسية عراقية تعكس الخلافات الطائفية والعرقية سواء على صعيد مجلس النواب او الحكومة وفشلت في تقديم خطاب او برنامج وطني يعلو على خطاب وتوجهات الكتل السياسية التي تشكل الحكومة ومجلس النواب ، وبيئة دولية عاجزة او ممنوعة من المشاركة في إيجاد الحلول الناجعة للأزمة العراقية .

والمتابع والمحلل لانعكاسات هذه الأزمة على الساحة الأمريكية يمكن ان يؤشر ثلاثة أمور مركزية :-

١ - رأي عام امريكي معارض للحرب قبل اندلاعها ولحد الآن وهذا ما اظهرته الكثير من الدراسات واستطلاعات للرأي ومنها ما اظهره استطلاع للرأي أجرته صحيفة USA TODAY اوضح ان ٥٩% من المشاركين يرى ان قرار الحرب كان خاطئاً وان شعبية الرئيس جورج دبليو بوش وصلت الى ادنى مستوى بلغ ٢٣% وان ٢٨% من الذين شملهم الاستطلاع يعتقدون ان للولايات المتحدة سوف تحقق النصر<sup>٦٨</sup>.

٢ - الخسائر الكبيرة للحرب حيث بلغت خسائر الجيش الامريكي في العراق ٣٢٤٤ قتيل لغاية ٢٩/٣/٢٠٠٧<sup>٦٩</sup> و هناك تقديرات تشير الى ان العدد يصل الى اضعاف

<sup>٦٦</sup> احمد منيسي . الاستراتيجية الأمريكية ، نزوع امبراطوري ونفوذفوضى دولية . مواقع اسلام اون لاين ، ١٠ / ٧ / ٢٠٠٧ ص ١٠

<sup>٦٧</sup> [www.islamonline.net/arabic/politics/2002/10/article.07.shtml](http://www.islamonline.net/arabic/politics/2002/10/article.07.shtml)

<sup>٦٨</sup> صمد مؤيد جشم . اثر دراسة قوى التغيير في مستقبل الدولة القومية . مصدر سابق

ص ٤٤

<sup>٦٩</sup> قناة الشريعة . ٢٠٠٧ / ٣ / ٦

<sup>٦٩</sup> شبكة ال سي . ان . ان

ذلك، اما الخسائر المالية فقد بلغت نحو ٣٢٠ مليار دولار امريكي لغاية شهر نيسان ٢٠٠٦<sup>٧٢</sup>، و هناك تقارير تؤكد ان هذه الخسائر وصلت الى ٤٠٠ مليار دولار في مطلع العام ٢٠٠٧<sup>٧٣</sup>.

٣ - الانقسام الحاد داخل الولايات المتحدة حول السياسات التي يجب اتباعها لمعالجة الوضع في العراق خصوصاً بين الكونغرس الذي يهيمن عليه الديمقراطيون والرئيس بوش والذي لا يزال يعول على الحل العسكري وفقاً للاستراتيجية الأمريكية الجديدة لتحقيق النصر في العراق الذي اعلنها في ١٠/١/٢٠٠٧ ( ان إرسال نشر أكثر من ٢٠٠٠٠ جندي اضافي في العراق دعماً للخطة العراقية لأحلال الأمن في البلاد سيؤدي الى تغيير المسار في العراق ويساعدنا في النجاح في معركتنا ضد الإرهاب )<sup>٧٤</sup>.

وفي ذات الوقت يحمل على ايران وسوريا وبثمهما بالتدخل في العراق والسعي الى زعزعة استقراره ( يتطلب النجاح في العراق حماية وحدة الأراضي العراقية واحلال الاستقرار في المنطقة ويبدأ هذا بمعالجة امر سوريا وايران )<sup>٧٥</sup>.

وبالمقابل فإن الأكثرية في الكونغرس وخاصة في مجلس النواب يركزون على الحل السياسي وينتقدون سياسة بوش في العراق ويعدون خائفة وتعتمد أولويات معكوسة ويطالبون الرئيس الأمريكي بوضع جدول زمني للانسحاب من العراق حيث وافق مجلسي النواب و الشيوخ على قانون يربط بين تمويل العمليات القتالية وبين انسحاب القوات في العام ٢٠٠٨<sup>٧٦</sup>. اما بخصوص العلاقة مع ايران و سوريا فان الاغلبية في الكونغرس يحذون الحوار مع ايران وسوريا استناداً الى تقرير لجنة بيكر - هاملتون ورفض للتصعيد لأنه سوف يزيد من تعقيد الوضع

( يجب على الولايات المتحدة ان تتخوّل مباشرة مع ايران و سوريا في محاولة للحصول على التزام منهما بسياسات بناءة تجاه العراق والقضايا الإقليمية

[http://arabic.cnn.com/2007/middle\\_east/3/28/iraq.soldier/index.htm](http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/3/28/iraq.soldier/index.htm)

70 صحيفة الاند بند نت البريطانية.

<http://news.independent.co.uk/world/americas/article360657.ece>

71 قناة الحرة. ٢٠٠٧/٣/١٧.

72 جورج دبليو بوش، الاستراتيجية الأمريكية الجديدة لتحقيق النصر في العراق، نشرة واشنطن. مكتب برامج الاعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية ٢٠٠٧/١/١٢

[www.usinfo.state.gov/ar/home/](http://www.usinfo.state.gov/ar/home/)

73 نفس المصدر.

74 قناة الحرة ٢٠٠٧/٣/٢٨.

الأخرى)<sup>٧٥</sup>. و كذلك ( يجب ان يكون هناك التزام متجدد و مستمر من الولايات المتحدة بتسوية شاملة بين العرب و الاسرائيليين على الجبهات كافة)<sup>٧٦</sup>.  
 (لقد كسبت الولايات المتحدة حتى الآن معركة احتلال العراق ولكن المهم من سيكسب الحرب)<sup>٧٧</sup>. ويبدو ان هذا التوصيف دقيقا حتى ان الرئيس الأمريكي عكس هذه الحقيقة حينما اشار الى ( ان الاخفاق في العراق سيكون كارثة بالنسبة للولايات المتحدة )<sup>٧٨</sup>.  
 و لم يجد الرئيس الامريكي سوى الاعتراف بصعوبة و خطورة الوضع في العراق ( ان الوضع في العراق غير مقبول بالنسبة للشعب الأمريكي و غير مقبول بالنسبة لي ،لقد حاربت قولتنا هناك ببسالة لقد قامت بكل ما طلبناه منها وفي الحالات التي ارتكبت فيها اخطاء انا هو المسؤول عنها)<sup>٧٩</sup>.  
 و السؤال المطروح هو هل يشكل هذا الاعتراف مدخلا للحل لازمة يتفاعل فيها اكثر من طرف :

اولا: الطرف الامريكي الذي يجب ان يقر و يعترف بانه ( لا تستطيع الولايات المتحدة الامريكية حسم الحرب عسكريا بل هي في حاجة الى حسمها سياسيا)<sup>٨٠</sup>.  
 ثانيا: الطرف الاقليمي هو الاخر عليه الاعتراف ان الانغماس في هذه الازمة الى هذا الحد لتحقيق مكاسب انية عليه ان يدرك ان خسارته سوف تكون كبيرة في حال التصعيد المستمر مع الولايات المتحدة او انهيار الدولة العراقية و اندلاع حرب اهلية.  
 ثالثا: الطرف للعراقي ان يعترف بانه يتحمل القسط الاكبر في هذه المعادلة ، و ان الحل معقود عليه لذا كان مستعدا لاجراء التسويات الضرورية التي تتطلبها الديمقراطية و ان الاطراف الاخرى يمكن ان تساعد على الحل، و يبدو ان وزير الخارجية الفرنسي فيليب دوست بلازي كان مصيبا حينما اشار الى ان (المقاربة الشاملة و الاستراتيجية السياسية وحدها للكفيلة بادخال السلام الى العراق)<sup>٨١</sup>.

75 تقرير بيكر هاملتون. جريدة المشرق. السنة الثالثة. العدد ٨٥٢، ١٢/١٢/٢٠٠٦

76 نفس المصدر.

77 التعبير ملفوظ من الرئيس نيكسون الذي اشار عندما كان نائبا للرئيس في محاضرة القاها في اتحاد الطلبة بجامعة اكسفورد بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ والمعنون الثلاثي على مصر ( ان عبد الناصر خسر المعركة و لكنه كسب الحرب ( Nasser lost the battle but won the war )

انظر خير الدين حسيب، المشاهد المستقبلية المحتملة في العراق في مستقبل العراق، الاحتلال- المقاومة- التحرير والديمقراطية. مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة كتب المستقبل العربي ٣٥، بيروت ٢٠٠٤ ص ٢٣٨ .

78 جورج دبليو بوش، الاستراتيجية الامريكية الجديدة لتحقيق النصر في العراق، مصدر سابق.

79 نفس المصدر.

80 جون كيري. أمريكا والعراق. اجندة مواعيد لاجتياح المهمة. الواشنطن بوست ٢٠٠٦/٤/٦

[www.elaph.com/elaphweb/newspapers/2006/4/139891.htm](http://www.elaph.com/elaphweb/newspapers/2006/4/139891.htm)

81 قناة الحرة ٢٥/١/٢٠٠٧.

### الخاتمة

- ١) ان الاهداف الحقيقية لاحتلال العراق هو السيطرة على الثروة النفطية و ضمان لمن اسرائيل وتعزيز نفوذها الاقليمي و ان الذرائع التي ساقتها الولايات المتحدة عن امتلاك العراق اسلحة دمار شامل و علاقة للنظام السابق بالقاعدة ثبت بطلانها.
- ٢) لم يحظ قرار شن الحرب الذي اتخذته الولايات المتحدة بالشرعية الدولية و اتخذت الكثير من الدول منها (فرنسا و المانيا و روسيا و الصين) مواقف مناهضة للحرب.
- ٣) ارتكبت الادلرة الامريكية الكثير من "الاطفاء" منها حل الجيش العراقي و الاجهزة الامنية و وزارة الاعلام و قانون "اجتثاث البعث" و التي خلقت فراغا سياسيا و امنيا ادى الى تعقيد الاوضاع و تفاقم المشكلات بدلا عن ايجاد الحلول المناسبة لها.
- ٤) افقرت الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق الى الكثير من عناصر الاستراتيجية الناجحة لانها وضعت محاربة الارهاب في المرتبة الاولى في سلم اولوياتها و اختزلت كل المشكلات الناجمة عن الاحتلال في اطار ما يسمى محاربة الارهاب و الانتصار عليه.
- ٥) لا تستطيع الولايات المتحدة الامريكية حسم الحرب عسكريا بل هي في حاجة الى حسمها سياسيا عبر رؤية سياسية واضحة لاطرافها الثلاثة ( الامريكي - الاقليمي - العراقي) مع التشديد على ان الطرف العراقي يتحمل المسؤولية الاكبر في هذه المعادلة و ان الآخرين يمكن ان يساعدو في الوصول الى الحل المنشود.



## اثر النفط في العلاقات العراقية الكويتية ١٩٦٨-٢٠٠٥

الاستاذ المساعد الدكتور

قيس جواد علي الغريزي<sup>(١)</sup>

## المقدمة

أدى النفط وما زال دوراً كبيراً في العلاقات الدولية، فبسبب النفط ولأجله رسمت الحدود وأقيمت أنظمة وسقطت أنظمة، بل وحدثت الحروب وعقدت المعاهدات والاتفاقيات وهذا ما ينطبق على منطقة الخليج العربي بالذات، والتي شهدت خلال عقدين قيام أكثر الحروب كلفة في التاريخ المعاصر.

لأن دراسة أثر النفط في العلاقات العراقية الكويتية بعد عاملا مهماً في فهم طبيعة تطور العلاقة بين البلدين. فقد أن الأولان لدراسة هذه العلاقة دراسة موضوعية علمية بعيدة عن التشنّج، خاصة وقد مرت فترة زمنية كافية لنسيان الأحقاد والأحداث المؤلمة التي مرت بها علاقة البلدين الشقيقين منذ أكثر من نصف قرن.

أحتوى هذا البحث على خلفية تاريخية، وثلاثة محاور تتناول المحور الأول منها، العلاقات العراقية - الكويتية من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧٩ وهي فترة العهد الجمهوري الثالث، أما المحور الثاني فقد أسهب بالحديث عن العلاقات العراقية الكويتية خلال حكم صدام حسين إلى نهاية الاجتياح العراقي للكويت عام ١٩٩١. وفي المحور الأخير أختص بالحديث عن هذه العلاقات من عام ١٩٩١ إلى عام ٢٠٠٥، ومن ضمنها فترة الاحتلال الأمريكي للعراق، لأن هاتين الفترتين تختصان برد الفعل العراقي على تخطيط الحدود الجديد، ونتائج هذا الترسيم على العلاقات بين البلدين.

أثر النفط في العلاقات العراقية - الكويتية ١٩٦٨ - ٢٠٠٣

## لمحة تاريخية

لم يكن اهتمام بريطانيا بمنطقة الخليج العربي بدوافع إستراتيجية فقط، وإنما كان لنفط وادي الرافدين العامل المهم الآخر فيه، إذ كانت تراقب بقلق النشاط الألماني في المنطقة، وتتابع تقارير الخبراء الألمان في نهاية القرن التاسع عشر، والتي وصفت

(١) استاذ جامعي - باحث أكاديمي

مناجم أرض الرافدين بانها (بحيرة من النفط) لا تتضب<sup>١</sup>، فضلاً على البحوث التي نشرها كولبنكيان<sup>٢</sup> بين عامي ١٨٩٠ - ١٨٩٤ عن وجود النفط في العراق. فظهر المشروع الألماني لمد سكة حديد برلين-بغداد، ولمتد ليجمع من الكويت نهاية لهذا الخط، واقتزن هذا الخط بمنح الشركة حق استثمار الثروات المعدنية على جانبي السكة ولمسافة ٢٠ كم على الجانبين<sup>٣</sup>، ومن الواضح أن هذا المشروع صار مفتاح الزحف الألماني البري للسيطرة على ثروات المنطقة رداً على الزحف البريطاني نحو النفط للفارسي منذ عام ١٨٨٩<sup>٤</sup>. واحسن من عبر عن هذه الحالة هو ب.ج ماركين حين قال:

((أن الاستعمار قد سار منذ ذلك الحين، جنباً إلى جنب مع شق السكك الحديدية))<sup>٥</sup>.  
وغني عن القول أن التنافس على نفط وادي الرافدين قد أدى دوراً كبيراً في فرض بريطانيا حمايتها على الكويت عام ١٨٩٩، وتعمد الشيخ مبارك لها عام ١٩١٣، بأن لا يمنح أي امتياز للبحث عن النفط في الكويت، الا لمن تعينه الحكومة البريطانية<sup>٦</sup>. ومهما يكن من امر، فقد كشفت الحرب العالمية الأولى أهمية النفط، الذي صارت كل قطرة منه تعادل قطرة دم على حد تعبير كليمنصو رئيس وزراء فرنسا<sup>٧</sup>. وتحت ضغط من شركات النفط، اندفعت بريطانيا لتخطيط الحدود داخل مناطق نفوذها، وما حدث من تخطيط لحدود الكويت في مؤتمر العقير عام ١٩٢٢، الا دليلاً قوياً على صحة ما نقول، اذ وضع برسي كوكس (بجرة قلم) حدود الكويت على

<sup>١</sup> نوري عبد المحمد العاني، التاريخ السياسي لأمتيازات النفط في العراق ١٩٢٥ - ١٩٥٢، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٠.

<sup>٢</sup> كالوست سركيس كولبنكيان: أرمني من عقلية عثمانية ثرية، تخرج من كلية الملك في لندن في هندسة التعدين عام ١٨٩١. وقام بدور كبير في تأسيس شركة النفط التركية، وكانت حصته فيها ٥% ومن هنا لقب بالمستثمر خمسة بالمئة.

Ralph Hewins , Mrfive percent , The Biography of calouste Gulbenkian , London , 1957 , p.28 - 29 .

<sup>٣</sup> حسن علي الابراهيم، الكويت - دراسة سياسية، الكويت، ١٩٨٠، ص ٤٨؛ أمين سعيد، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، بيروت، لات، ص ٨٨.

<sup>٤</sup> Stephen . H.Longrigg , Oil in the Middle East, London , 1954, p.16

<sup>٥</sup> أحمد حسن جودة، المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩، بغداد، ١٩٧٩، ص ٦٨.

<sup>٦</sup> J.C.Hurewitz, Documents of Near East Diplomatic History , near Middle East studies , School of International Affairs Columbia University, New York , 1951, p.91 .

<sup>٧</sup> صلاح العقاد، البترول أثره في السياسة والمجتمع، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٩.

خارطة الجزيرة العربية، اعتماداً على الاتفاق العثماني-البريطاني غير المصدق لعام ١٩١٣، دون استشارة أحد<sup>٨</sup>.

أرسي مؤتمر العقير للجنة الأولى لحدود محمية الكويت وزاد من الهيمنة البريطانية عليها، ممهداً الطريق لتحويلها إلى مستعمرة نفطية بريطانية، ظهرت بوضوح في التقارير البريطانية. إذ وصف أحد هذه التقارير الكويت بأنها: (كانت من الناحية السياسية والاقتصادية كياناً مصطنعاً، وظلت على الدوام عرضة للضغط من العربية السعودية والعراق)<sup>٩</sup>.

وهكذا أدى النفط إلى تمسك بريطانيا بقوة تجاه محاولات السعودية والعراق لضمها. إذ أن بريطانيا تأخذ ٥٠% من حاجاتها من نفط الكويت، فضلاً على الاستثمارات الكويتية في الخارج والتي كان معظمها في بريطانيا والتي قدرت عام ١٩٦١ إلى أكثر من ملياري دولار<sup>١٠</sup>.

والواضح من استقرار العلاقة بين العراق والكويت خلال العهد الملكي، يمكن أن نجد نوري السعيد أحسن من أدار هذه العلاقة بمهارة سياسية كبيرة بحكم ما عرف عنه من نكاء وخبرة في السياسة الخارجية، استطاع خلالها إقناع بريطانيا بانضمام الكويت إلى الاتحاد العربي الهاشمي، لتحقيق نوع من الاتحاد الفيدرالي معها، إلا أن قيام ثورة ٤ تموز ١٩٥٨ حال دون ذلك<sup>١١</sup>.

وبعد الإطاحة بالنظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨، وإعلان استقلال الكويت عام ١٩٦١، طالب الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم بالكويت، فجوبه طلبه بمعارضة قوية عربية ودولية، ووصلت مشاكل الحدود بين البلدين إلى طريق مسدود، بل وسامت العلاقات إلى درجة أقدام الكويت على غلق حدودها مع العراق، وترحيل عدد كبير من العراقيين منها<sup>١٢</sup>.

<sup>٨</sup> للتفاصيل ينظر: مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، دراسة وثائقية، جامعة البصرة، ١٩٧٥، ص ١١٥.

<sup>٩</sup> F.O.371-18909, Record of meeting held at (1) the foreign office on the 5<sup>th</sup> feb, 1935.

نقلاً عن مصطفى عبد القادر النجار، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٢.

<sup>١٠</sup> الشيخ عبد الله الطريقي، البترول في خدمة القضايا القومية، مجلة البترول والغاز العربي، القاهرة، العدد (٤)، ١٩٦٥، ص ٤٢.

<sup>١١</sup> نوري عبد الحميد العاتي وعلاء جاسم محمد الحري، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨ - ١٩٦٨، ط ٢، بغداد، ٢٠٠٥، ص ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

<sup>١٢</sup> رضا هلال، الصراع على الكويت - مسألة الأمن والثروة، القاهرة، ١٩٩١، ط ١، ص ٥٤.

وبعد الإطاحة بنظام عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ حصلت الكويت على اعتراف رسمي من العراق بكيانها الخاص وبحدودها الجغرافية<sup>١٣</sup>، دون أن ينتبه النظام العسكري الجديد إلى حل مشكلة العراق الجيوسياسية مع الكويت في إيجاد ميناء له على الخليج العربي، وبذلك استغلت الكويت كثيراً من الصراع العسكري على السلطة في العراق خلال العهد الجمهوري، وقلة خبرة "العسكريتاريا" بشؤون السياسة الخارجية، الأمر الذي جعل هذه الأنظمة تتدخل في مشاكل مع الكويت فيما بعد، لقد أدرك الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف مشاكل العراق الحدودية مع الكويت، فطالب الكويتيون بتعديل الحدود فقط وليس الميادة على بلدهم. فحاول أن يضغط على الكويت عن طريق الحوار السياسي تارةً وثارةً أخرى ملوحاً بالقوة العسكرية، واضعاً في حساباته الظروف الدولية والإقليمية المعقدة، فبقى ملف الحدود معلقاً حتى نهاية رئاسته في ١٧ تموز ١٩٦٨.

#### العلاقات العراقية - الكويتية ١٩٦٨ - ١٩٧٩

عاد حزب البعث إلى السلطة في العراق بعد الإطاحة بنظام عبد الرحمن عارف في ١٧ تموز ١٩٦٨، وبقيت قضية الحدود معلقة مع الكويت، وفي مطلع السبعينات بدأ المسؤولون الكويتيون بزيارة العراق لحل مشاكل الحدود بينهما، ولكن دون التوصل إلى نتيجة<sup>١٤</sup>. وقد تزامنت هذه الزيارات مع إقدام الكويت على التوقيع على اتفاقية الجرف القاري مع السعودية وإيران عام ١٩٦٨<sup>١٥</sup>. دون إشراك العراق في هذه المفاوضات أو أخذ رأيها، إذ إن العراق يشترك مع إيران والكويت في الجرف القاري في شمال الخليج العربي.

ومن جانب آخر توترت العلاقات بين العراق وإيران أواخر عام ١٩٦٩، بعد أقدام الأخيرة على إلغاء اتفاقية عام ١٩٣٧، واستيلائها على نصف شط العرب، مما أضعف موقف العراق في الملاحة بشط العرب<sup>١٦</sup>. فطلبت الحكومة العراقية من المسؤولين الكويتيين السماح للقوات العراقية بالتمركز في مناطق شمال الكويت، خوفاً من هجوم إيراني محتمل على ميناء أم قصر، إلا أن الحكومة الكويتية رفضت المطالب العراقية<sup>١٧</sup>.

<sup>13</sup> هيام محمد ديب أبو تاج ومرزوق محمد الشمري، للكويت، لام، ٢٠٠٤، ص ٤٣٢.

<sup>14</sup> Abdul.H.Raouf, confrontation and Détente in the Arabian Gulf : The Case of Iraq, p.14 .

<sup>15</sup> صبري فارس الهيتي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٦.

<sup>16</sup> عباس عبود عباس، أزمة شط العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص ٤١.

<sup>17</sup> من الانترنت [www.albainah.net](http://www.albainah.net)

تزامنت هذه الأحداث، مع تدهور علاقة العراق مع شركة نفط العراق في مطلع السبعينات، فاتجهت هذه الشركة -كعادتها- الى خفض إنتاج النفط العراقي والاتجاه الى نفط دول الخليج العربي ومنها الكويت للتعويض عن نقص النفط العراقي<sup>18</sup> فسي وقت كان العراق يعاني من ضيق اقتصادي كبير، رفضت الكويت خلاله منح العراق قرضاً لتمويل مشروع كهربية سد سامراء عام ١٩٧٢<sup>19</sup>.

أن سياسة كهذه كان لابد أن تثير للعراق، فأقدم على احتلال مركز الصامنة الحدودي في ٢٠ آذار ١٩٧٢، وهي منطقة غنية بالنفط<sup>20</sup>.

أن أهم ما يسترعي النظر في هذا الحادث الحدودي، هو رد الفعل الكويتي الذي كان شديداً، فقد أعلنت الطوارئ وأغلقت الحدود، ودعي مجلس الأمة الى الاعتقاد، وتم الاتصال بالدول العربية<sup>21</sup>، وهاجمت الصحف الكويتية للعراق، واتهمته بأنه قام بهذا الغزو لتقديم قاعدة للأسطول السوفيتي في الخليج العربي، خاصة وأن نواقل النفط السوفيتية كانت تتردد على ميناء لم قصر لاستغلال حق نفط الرميطة<sup>22</sup>. وبذلك ضربت بعض الصحف الكويتية على الوتر الحساس لأثارة المعسكر الغربي على العراق، الذي أربط باتفاقية تعاون وصدقة مع الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٧٠<sup>23</sup>.

لم تقتصر هذه الضجة على رد الفعل الكويتي وحده، بل وظهر رد فعل آخر أقوى منه على الجانب الآخر من شاطئ الخليج، فقد أعلنت الحكومة الإيرانية عن استعدادها لإرسال قوات عسكرية الى الكويت لمساندتها، وحذر رئيس وزراء إيران- آنذاك- بأن إيران لن تسمح بأي مسمى لأحداث تغييرات في الجغرافيا السياسية في المنطقة<sup>24</sup>.

وعلى أثر هذا التصعيد للأزمة تدخلت الجامعة العربية، فأبلغها العراق بأنه سحب اعترافه باتفاق عام ١٩٦٣، ودعا الى إجراء محادثات عراقية-كويتية لبحث قضية الحدود<sup>25</sup>.

<sup>18</sup> Peter Mangold , Super power intervention in the Middle East " LONDON – Cromtlem, 1978 " , p.89 .

<sup>19</sup> جمال زكريا قاسم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٢ .

<sup>20</sup> محمد عبد الله خالد العبد القادر ، الحدود الكويتية العراقية - دراسة في الجغرافية السياسية ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، ٢٠٠٠ ، ط ١ ، ص ٨٢ .

<sup>21</sup> جريدة الثورة ، للعدد (١٤٠٩) ، ٢٧ آذار ١٩٧٣ .

<sup>22</sup> جمال زكريا قاسم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٨ .

<sup>23</sup> صلاح العقاد ، نزاع الحدود بين العراق والكويت ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٣٣ ، ١٩٧٣ ، ص ١١١ .

<sup>24</sup> من الانترنت [www.albainah.net](http://www.albainah.net) .

<sup>25</sup> محمد مشكور ، النزاعات الحدودية في الخليج العربي ، لام ، ١٩٩٧ ، ص ١٠٣ .

ومعنى ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الى تقديم وساطته لحل المشكلة، فعرض على الكويت طلب العراق بالحصول على شريط ساحلي يتراوح طوله بين ٧ - ٨ كيلومترات ليكون امتداد لميناء أم قصر، فهذا الموقع يؤمن للعراق مياه عميقة يحتاجها لإنشاء مرافق كبير، وذلك لأن مياه أم قصر العراقي، مياه ضحلة لا تسمح باستقبال سفن كبيرة، ولكن للكويت رفضت الطلب العراقي<sup>٢٦</sup>.

وعادت الكويت لاتصالاتها مع العراق، فقد قام للشيخ جابر الأحمد الصباح ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء بزيارة العراق، وتباحث مع صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة للفترة من ٢٠ - ٢٢ آب ١٩٧٣، حول قضية الحدود، حيث طالب العراق بأن يستأجر جزيرتي وره وبوبيان<sup>٢٧</sup>. ولكن رئيس الحكومة الكويتية أبلغ العراقيين، أنه بالامكان البحث في تأجير جزيرة وره وبعض الأجزاء الأخرى، ولكن من الصعب تأجير جزيرة بوبيان لأنها تقع في وسط الكويت<sup>٢٨</sup>. وهنا فوت العراق أيضاً فرصة تاريخية للحصول على بعض المطالب من الكويت، وفي مؤتمر الجزائر عام ١٩٧٥، جرت مفاوضات بين العراق والكويت تحت رعاية الجامعة العربية، فأقترح صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة على أمير الكويت إعادة جزيرة وره وتأجير نصف جزيرة بوبيان لمدة (٩٩) عاماً، ولكن أمير الكويت لم يعط رأيه في ذلك<sup>٢٩</sup>. ويبدو أن العراق كان يرغب بإنشاء قاعدة بحرية عسكرية متقدمة في أم قصر لمواجهة التفوق البحري الإيراني في الخليج<sup>٣٠</sup>. وعلى أية حال، ففي مؤتمر الجزائر، تم حسم العراق لمشاكله مع إيران بعدد إتفاقية الجزائر. وأدت جهود الجامعة العربية أيضاً الى سحب العراق لقواته من الصامته عام ١٩٧٥<sup>٣١</sup>.

#### العلاقة بين العراق والكويت ١٩٧٩ - ١٩٩١

نتحى أحمد حسن البكر عن رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٩، وتولي صدام حسين السلطة فيه، وتزامن ذلك أيضاً مع سقوط نظام الشاه في إيران في شباط من العام نفسه ومجيء أية الله الخميني الى السلطة في إيران. ولنا أن نشير هنا الى حقيقة، هي أن

26 طيبة خلف عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص ١٧١.

27 تقع جزيرتا وره وبوبيان في مدخل خور الزبير ويبلغ طول جزيرة بوبيان ٣٦ كم وعرضها ٢٠ كم، أما جزيرة وره فيبلغ طولها ١٠ كم وعرضها ٦ كم، وهما خليفتين من السكان جي. ج. لوريمر، الكويت في دليل الخليج، ج ٢، القسم الجغرافي، ترجمة مكتب الترجمة في ديوان أمير دولة قطر، ط ١، ١٩٩١، ص ١٠٥.

28 جريدة السياسة الكويتية، العدد (٢٥٨١)، ٢٩ آب ١٩٧٥.

29 علي حسن كريم، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤.

30 صلاح العقاد، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١.

31 عبد الملك التميمي، العلاقات الكويتية العراقية ١٩٢١ - ١٩٩٩، دراسة تاريخية، مجلة عالم المعرفة، العدد، ١٩٥، الكويت، ١٩٩٤، ص ٥٧.

عهد رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر، اتسم بالمطالبة بتعديل الحدود فقط، ولكنه لم يستفد من الفرص المتاحة، وعندما لجأ إلى التلويح باستخدام القوة، ظهرت تداعيات عربية وإقليمية خطيرة، متمثلة خاصة بدور إيران الشاه، التي سمّت بصورة علنية لو سرية إلى الحد من تطلعات للعراق نحو موانئ الخليج العربي.

وعلى أية حال، فقد عاد الجمود إلى مفاوضات الحدود بين العراق والكويت، بعد اندلاع الحرب العراقية-الإيرانية عام ١٩٨٠، والتي استمرت ثمان سنوات كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على إبطالها لأضعاف الطرفين. ولم يخف أحد الكتاب الأمريكيين الأسباب وراء إطالة الحرب بقوله:

(( إذا نجحت إيران في الحرب العراقية - الإيرانية فتشكل خطراً على دول الخليج العربي (البحرين)، وكذلك إذا نجح العراق في تلك الحرب فسيشكل نفس الخطر، فهاتان اللقتان تتطلعان للاتجاه جنوباً))<sup>٣٧</sup>.

وأود أن أشير هنا إلى حقيقة، هي أن هذه الحرب ونتائجها قد انتهت لا ليكون الخليج عربياً أو فارسياً ولكنه صار أمريكياً بمقدار ما استغادت الولايات المتحدة الأمريكية من هذه الحرب.

ومن المفيد أن نذكر هنا، أن العراق اعتمد على الموانئ الكويتية-خلال الحرب في استقبال مختلف البضائع والمواد الغذائية والاستراتيجية، والتي لا يستطيع استيرادها بسبب الحصار البحري الإيراني عليه<sup>٣٨</sup>. كما صدرت الكويت لحساب العراق يومياً (١٢٥) ألف برميل وفاء لالتزامات تعاقدها في الأسواق ثم توقف عن التزاماته نتيجة ظروف الحرب<sup>٣٩</sup>.

وقدّمت الكويت للعراق خلال الحرب أيضاً قروض بـ (١٣) مليار دولار كديون على العراق<sup>٤٠</sup>، بينما بالغ الشيخ صباح الأحمد الجابر وزير الخارجية الكويتي، حين ذكر للصحفيين بأن الكويت مولت المجهود الحربي العراقي خلال حربه مع إيران بحوالي (٤٠) مليار دولار<sup>٤١</sup>.

<sup>32</sup> Edited by , Robert. G Darius, Gulf Security in to the 1980 s, Slonford university California , USA, 1984, p.121 .

<sup>33</sup> من الانترنت [www.albainah.net](http://www.albainah.net).

<sup>34</sup> محمد حسنين هيكل، حرب الخليج . أوهام القوة والتصر ، ط١ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٢ ، ص٢٠٦ .

<sup>36</sup> علاء سالم ، السلوك العراقي وعمليات التصعيد ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٠٢) تشرين الأول ، ١٩٩٠ ، ص٢٢ .

<sup>36</sup> جريدة الأهرام ، العدد (٣٩٧٠٠) ، ١٧ آب ١٩٩٥ .

وبعد نهاية الحرب العراقية-الإيرانية عام ١٩٨٨، قام أمير الكويت جابر الأحمد الصباح بزيارة العراق عام ١٩٨٩، وحصل على وسام للراشدين تقديراً لمواقفه في الحرب<sup>٣٧</sup>.

وتوالي بعد ذلك زيارات المسؤولين الكويتيين للعراق من أجل تخطيط الحدود، إلا أن الجانب العراقي لم يكن متحمساً لترسيم الحدود مع الكويت، إذ كان مستمراً في الضغط على الكويت للحصول على جزيرتي ورهب وبوييان معاً. ومما زاد مخاوف المسؤولين الكويتيين من العراق رفضه التوقيع على معاهدة عدم اعتداء معهم، وقد برر عزة إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ذلك، بأن على الطرفين أولاً الانتهاء من مشاكل ترسيم الحدود قبل البحث في مسألة معاهدة عدم الاعتداء<sup>٣٨</sup>.

ومما يسترعي النظر هنا، أن العراق خرج من الحرب قوياً عسكرياً ومنهاراً اقتصادياً. فقد كانت لدى العراق قبل الحرب مدخرات تصل إلى أكثر من (٣٨) مليار دولار، وعندما انتهت الحرب، تبخرت هذه المدخرات وأصبح مديناً بما يقارب (١٠٠) مليار دولار<sup>٣٩</sup>، في حين بلغت خسائر الحرب المادية (٣٠٠) مليار دولار<sup>٤٠</sup>.

لدى تراكم الديون وعجز العراق عن سداد ديونه مقترناً بتدهور أسعار النفط فمن أجل سداد ديونه كان على العراق أن يدفع ما يعادل سبعة مليارات دولار سداداً للفوائد فقط. وذلك لا يتحقق إلا بسعر يعادل خمسة وعشرين دولاراً للبرميل الواحد، بينما كان السعر آنذاك يقارب ثمانية عشر دولاراً فقط<sup>٤١</sup>.

ومعنى ذلك أن يدخل العراق في دائرة المديونية التي لا يخرج منها أبداً، في وقت كان بحاجة إلى أعمار البصرة وكثير من المصانع والموانئ والمطارات التي دمرت بسبب الحرب، فضلاً على الاتفاق على استيراد السلع والتزامات المعيشة والحياة المدنية في العراق، إضافة إلى اعتماد العراق على العمالة الوافدة بسبب عسكرة المجتمع والتي قدرت تحويلاتها عام ١٩٨٩ بأكثر من مليار دولار سنوياً<sup>٤٢</sup>.

<sup>37</sup> محمد الأطرش، أزمة الخليج جذورها والسياسة الأمريكية تجاهها، المستقبل العربي، العدد ١٥٥، مركز دراسات الوحدة العربية، كانون الثاني ١٩٩٢، ص ١١٨.

<sup>38</sup> محمد حسنين هيكل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٩.

<sup>39</sup> بيار سالنجر وإريل لوران، المفكرة المخفية لحرب الخليج: رؤية مطلع على العد العكسي للأزمة، بيروت، ١٩٩١، ص ١١.

<sup>40</sup> غاري القصيبي، أزمة الخليج: محاولة للفهم، دار السلي، لندن، ١٩٩١، ص ١١.

<sup>41</sup> Joel Beinin, Origins of the Gulf war (west field, New Jersey : open Magazine, 1991, p.8.

<sup>42</sup> عامر التميمي، الأبعاد الاقتصادية للغزو، مجلة عالم المعرفة، العدد ١٩٥، الكويت، ١٩٩٤، ص ص ٢٣٠ - ٢٣٢.



والمعروف إن دول الأوبك اتفقت عام ١٩٨٩ على رفع السعر الى واحد وعشرين دولاراً للبرميل وتحديد حصص معينة للإنتاج من أجل ذلك، الا ان دولتي الكويت والامارات لم تلتزمها بحصص الأوبك ، مما أدى الى هبوط السعر الى خمسة عشر دولاراً للبرميل واحياناً الى أحد عشر او اثني عشر ، وكان الجزء الأكبر في زيادة الإنتاج للكويتي المتجاوز لحصة اوبك من حقل الرميطة الواقع على المناطق الحدودية المتنازع عليها بين العراق والكويت<sup>43</sup>.

أدت سياسة الكويت والامارات النفطية الى إثارة العراق ، حيث كبّدت العراق خسائر قدرها الرئيس العراقي صدام حسين في خطابه في ١٦ تموز ١٩٩٠ بـ (١٤) مليار دولار سنوياً، فهدد الكويت بقوله (قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق)<sup>44</sup>.

وقدم طارق عزيز وزير الخارجية العراقي مذكرة الى الشاذلي القليبي أمين عام الجامعة العربية في ١٥ تموز ١٩٩٠ ، إتهم الكويت بالتجاوز على الأراضي العراقية، حيث قامت بسرقة أبار من حقل الرميطة العراقي المتاخم للحدود الكويتية، خلال انشغاله في حربه مع إيران. وقدر كمية النفط المسروق بـ (٢,٤) مليار دولار، إضافة الى قيامها مع الامارات بتدهور أسعار النفط، حتى بلغت خسارة للعراق (٨٩) مليار دولار. واعتبر العراق هذا للتصرف بمثابة عدوان عسكري، وطالب الكويت باسقاط جميع القروض والمساعدات، وتنظيم خطة على غرار مشروع مارشال، لتعويض ما خسره العراق في تلك الحرب<sup>45</sup>.

وإزاء تصاعد التوتر بين العراق والكويت، بذل الرئيس المصري حسني مبارك جهوداً من أجل احتواء الأزمة، فزار العراق والكويت والسعودية، وتم الاتفاق على عقد محادثات في جدة بالسعودية يوم ٣١ تموز ١٩٩٠ بين الوفدين العراقي والكويتي وتحت رعاية الملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية<sup>46</sup>.

وفي المحادثات قدم للعراق للطرف الكويتي قائمة بعدة مطالب منها<sup>47</sup>:-

١. أن تشطب للكويت ١٣ مليار دولار قيمة ديونها على للعراق.
٢. أن تؤجر للكويت جزيرة وربة ويوبيان لمدة ٩٩ عاماً قرصاً.
٣. إبتناع الكويت عن سحب النفط العراقي من حقول الرميطة.

<sup>43</sup> Joel Beinin , opcit , p.8.

<sup>44</sup> للتفاصيل ينظر : فؤاد مطر وآخرون ، موسوعة حرب الخليج ، الموسوعة العربية للدراسة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص ص ٧ - ١١ . جريدة الثورة ، العدد (٧٣٥١) ، ١٨ تموز ١٩٩٠ .

<sup>45</sup> Adel darwish, Gregory Alexander, "Unholy Babylon" st marten press , New York 1991, p.271 .

<sup>46</sup> أيمن السيد عبد الوهاب ، مصر واحتواء الأزمة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد (١٠٢) ، شباط ١٩٩١ ، ص ٢٠ .

<sup>47</sup> غلام سالم ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢ - ٢٥ .

٤. أن تقدم للكويت ١٠ مليارات دولار قرضاً للعراق لإعادة أعمارها.  
ساد جو المؤتمر توتر شديد بين الوفدين العراقي برئاسة عزت إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، والوفد الكويتي برئاسة سعد العبد الله الصباح ولي العهد، فقد رفض الجانب الكويتي المطالب العراقي، فادى ذلك الى قيام صدام حسين باجتياح الكويت واحتلاله في ٢ آب ١٩٩٠.<sup>٤٨</sup>

ويمكن إدراك أبعاد الموقف الأمريكي من هذه الأزمة من خلال عدة محاور، أولها عبور القوات العراقية على وثيقة في دائرة أمن الدولة الكويتية، عبارة عن محضر اجتماع بين مدير عام هذه الدائرة العميد سالم صباح مع القاضي وليم وبستر مدير عام وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في ١٤/١١/١٩٨٩، واتفق الاثنان على التنسيق والاستفادة من الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي خلفتها الحرب للضغط على العراق من أجل ترسيم الحدود مع الكويت<sup>٤٩</sup>. وثانيهما المقابلة التي جرت في حزيران ١٩٩٠ بين ولي العهد الكويتي سعد العبد الله الصباح والسفير الأمريكي في الكويت، والتي نصحه فيها بعدم تلبية المطالبين العراقيين، لأن مطالبهم لا تنتهي، وأن الحكومة الأمريكية مستعدة لإرسال قوات للدفاع عنكم<sup>٥٠</sup>.

وظهر الدور الأمريكي واضحاً أيضاً من خلال المقابلة التي جرت بين السفير الأمريكية في بغداد إيريل كلاسي، والرئيس العراقي صدام حسين، إذ ذكرت للرئيس العراقي أن الخلاف الحدودي بين العراق والكويت ليس محور اهتمام امريكي، ولا توجد معاهدة دفاع مشترك مع الكويت، وأن الولايات المتحدة تتمنى حل المشكلة من خلال الجامعة العربية، وفي هذا ضوء أخضر لصدام، استخداماً لسياسة التوجيه عن بعد، وهو ما أنكرته السفارة أمام الكونكرس الأمريكي، إلا أن صدام نفسه اعترف به<sup>٥١</sup>. فضلاً على الزيارة التي قام بها مبعوث الحكومة الأمريكية جون كيلى لصدام في شباط ١٩٩٠، حين قال له :

((أنتم قوة توازن في المنطقة، تتمنى الولايات المتحدة توثيق العلاقات معها))<sup>٥٢</sup>.

والعامل الآخر والأهم هو طبيعة النظام السلطوي الدكتاتوري في العراق، والذي اتخذ من العنف وسيلة لتحقيق الأهداف، فضلاً على جهله بطبيعة العلاقات والمتغيرات الدولية، والتي حصلت في العالم بعد إتهيار الاتحاد السوفيتي<sup>٥٣</sup>.

٤٨ سعد البراز، حرب بلد أخرى، عمان، ١٩٩٢، ص ١٢٨.

٤٩ جريدة الثورة، العدد (٧٤٤٠)، ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٠.

٥٠ شبكة الانترنت [www.Majdah.com](http://www.Majdah.com).

٥١ خالد بن سلطان، مقتل من الصحراء، بيروت، دار السلمي، ط ١، ١٩٩٥، ص ٢٠٧.

٥٢ بير ستلجر، أريك لوران، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠ - ٣٣.

٥٣ شفيق ناظم الفهرا، نقد العقل المغامر: حالة أزمة الخليج، مجلة السياسة الدولية، العدد (١١٩)

، كانون الثاني ١٩٩٥، ص ٢٠.

فكشف ذلك عن عجز تام في استيعاب منطق العصر، ولم يكن هذا التصرف الا نتيجة منطقية لانعدام الديمقراطية في النظام بكافة مؤسساته فلا يوجد رأي آخر سوى رأي (القائد الملهم) ومن تسول له نفسه ابداء رأي مخالف ولو كان مصيباً- فإن جزاءه للتصفية الجسدية.

وهناك من يشير، الى أن الحكومة العراقية قد حصلت على وعد بقبولها عضواً في مجلس التعاون الخليجي ثمناً لدخولها الحرب ضد إيران، إلا أنه تم استبعاده منه بعد نهاية الحرب<sup>٥٥</sup>.

وإزاء كل ذلك، اتجه الرئيس العراقي الى تأليف مجلس التعاون العربي ليشتمل دول عربية فقيرة وهي مصر والأردن واليمن، ورفع شعار حق الفقراء العرب بالثروة النفطية<sup>٥٦</sup>، معتقداً أن هذه الدول ستكون خير معين له في مغامراته، إلا أن بعضها وقفت ضده بشكل أو بآخر.

ومما يسترعي النظر، أن الحكومة العراقية بعد فرض الحصار الاقتصادي عليها في أيلول ١٩٩٠، عرضت بيع نفطها بسعر الكلفة الى دول قارات أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية<sup>٥٧</sup> من أجل كسب ودها وإثارة للرأي العام فيها ضد الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن هذه الدول وشعوبها، والتي راهنت القيادة العراقية على ردود أفعالها، لم تحرك ساكناً ولم تستطع تغيير حجم الكارثة التي حلت بالعراق فيما بعد.

العلاقات العراقية الكويتية ١٩٩١ - ٢٠٠٥

خرج العراق من حرب الخليج الثانية وهو متقل بالديون، والتي قدرها البنك الدولي بحوالي (١٢٧,٧) مليار دولار<sup>٥٨</sup>. كما دمرت أغلب بنيته التحتية. وسمحت الكويت للقوات الجوية الأمريكية والبريطانية بفرض حظر جوي على جنوب العراق حتى نهاية عهد صدام حسين<sup>٥٩</sup>.

وعلى أية حال، فإن الكويت سارعت الى استغلال حقول نفط الرمييلة التي استولت عليها من العراق وفق التخطيط الجديد وأخذت تبيع النفط بسعر مخفض للشركات الأمريكية بحدود ٢٠ - ٢١ دولار للبرميل، وهذا أقل بكثير من سعره في السوق العالمية<sup>٦٠</sup>.

٥٤ تركي الحمد ، الغزو : الاسباب الموضوعية والمبررات الايديولوجية ، مجلة عالم المعرفة ، العدد ١٩٥ ، الكويت ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٦ .

٥٥ عبد الملك التميمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٢ .

٥٦ جريدة الثورة ، العدد (٧٣٥٥) ، ١٢ أيلول ١٩٩٠ .

٥٧ عبد الرحمن نجم المشهداني ، نادي باريس وإعادة جدولة ديون العراق ، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي / الجامعة المستنصرية ، العدد ١٨ - ١٩ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٠ .

٥٨ جريدة الثورة ، العدد (٨٥٨٩) ، ٢ تشرين الثاني ١٩٩٤ .

٥٩ جريدة المشرق ، العدد (٦٠٢) ، ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٦ .

ولعل من المهم أن ننكر هنا، أن العراق لم يتمكن من تصدير نفطه—بسبب الحصار الاقتصادي—إلا لمد نفقات لجان ونشاط الأمم المتحدة على الرغم من مطالبه للنظام السابق المتكررة لزيادة صادراته النفطية، والتي كان من الممكن أن يخصص جزء منها لمد الديون التي تراكمت عليه، والتي تضاعفت أيضاً بفعل الفوائد<sup>81</sup>.

وبعد نهاية الحرب شكل مجلس الأمن لجنة لترسيم الحدود بين العراق والكويت في مايس ١٩٩١، وقد عهد إليها مهمة ترسيم الحدود الدولية بين العراق والكويت على النحو المحدد في المحضر المتفق عليه والموقع من جانب البلدين عام ١٩٦٣، والممسجل لدى الأمم المتحدة، وفقاً للمادة (١٠٢) من ميثاق الأمم المتحدة فتكونت اللجنة من خمسة أعضاء ثلاثة مستقلون عنهم الأمين العام للأمم المتحدة، وممثلان عن العراق والكويت، وترأس اللجنة السيد مختار كوسوما إيمادجا وزير خارجية اندونيسيا السابق<sup>82</sup>.

أنهت اللجنة أعمالها وبعجالة في نيسان ١٩٩٢، على الرغم من انسحاب ممثل العراق للدكتور رياض القيسي منها، وفيما يأتي أهم القرارات المتعلقة بترسيم الحدود:

#### أ. الحدود البرية

١. يمتد الجزء الغربي من الحدود من تقاطع وادي العوجة مع الباطن شمالاً على طول وادي الباطن ومن نقطة التقاء الحدود العراقية-السعودية-الكويتية بوصفها للعمود رقم (١). وتسير مع أعرق نقطة في وادي الباطن.
٢. يمتد الجزء الشمالي من الحدود عند تقاطع محور وادي الباطن مع خط العرض الذي يمر خلال النقطة الواقعة جنوبي صفوان مباشرة وباتجاه الشرق جنوبي جبل سنام، ويعدّها على طول أقصر خط إلى ميناء أم قصر ومن هناك إلى نقطة التقاء خور الزبير مع خور عبد الله. وحددت للجنة جنوب صفوان بمسافة (٤٣٠ م)<sup>83</sup> فيما كان الاقتراح البريطاني للحدود عام ١٩٥١ قد أعطى للعراق ميل واحد (١٦٠٩،٣ م)، إلا أن الحكومة العراقية رفضته<sup>84</sup>.

<sup>81</sup> Iraq External Debt stands of 104 – 129 Bn, Middle East Survey 14.4/2003, at [www.meas.com.Economic](http://www.meas.com.Economic).

<sup>82</sup> مركز الدراسات والبحوث الكويتية، تخطيط الحدود الدولية بين دولة الكويت وجمهورية العراق كما أقرتها الأمم المتحدة، إشراف ومراجعة عبد الله يوسف القيم، ط٢، الكويت، ١٩٩٣، ص ٣٢ – ١١٧.

<sup>83</sup> بطرس بطرس غالي، الأمم المتحدة والنزاع بين العراق والكويت ١٩٩٠ – ١٩٩٦، سلسلة الكتب الزرقاء، المجلد التاسع، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٦، ص ص ٥٥ – ٥٦.

<sup>84</sup> وليد حمدي الاعظمي، الكويت في الوثائق البريطانية، ١٧٥٢١٧٥ – ١٩٦٠، ط١، لندن، ١٩٩١، ص ١٦٣.

## ب. الحدود البحرية

تم ترسيم الحدود الشرقية (البحرية) بين العراق والكويت وفق قرار مجلس الأمن (٧٧٣) عام ١٩٩٢، وقاطع العراق أعمال هذه اللجنة أيضاً. فقد خلصت اللجنة إلى أن الحدود القائمة التي مستحطت هي خط الوسط، على أساس أن يتاح لكلا الدولتين منفذاً ملاحياً إلى مختلف أجزاء إقليمها المتاخمة للحدود المخططة. والملاحظ هنا أن المقترح البريطاني لعام ١٩٥١ حدد خطأً مستقيماً جنوب صفوان إلى ملتقى المثلث لخور الزبير وخور الصبية وخورشاته، إلا أنه انحرف في صورة ألبت للعراق المنفذ المائي السابق كله، ولكن التخطيط الجديد للحدود جاء على طول الخط المستقيم من دون انحراف فجعل جزءاً من المجرى الأسفل لخور الزبير داخل أراضي الكويت<sup>٦٤</sup>.

ومن ملاحظة هذا الترسيم نستقرأ الملاحظات الآتية:

١. أدى ترسيم الحدود البرية إلى تحريك الحدود (٦٠٠م) على طول (٢٠٠كم) لصالح الكويت، وبناء على ذلك حصلت الكويت على ما يعادل (١٢٠كم<sup>٢</sup>) يشمل خمسة آبار نفط من حقل الرميلة والتي كان العراق يستغلها سابقاً<sup>٦٥</sup>. وفيما يتعلق بميناء لم قصر، فقد أخذت للكويت أجزاء منه بما في ذلك القاعدة البحرية مع لمواض بناء السفن، ولجزء من مباني عملاقة شيدها العراق في هذه المنطقة لأغراض التنمية<sup>٦٦</sup>.

٢. قامت اللجنة بترسيم الحدود في خور عبد الله على الرغم من أن صلاحيات اللجنة لا تشمل ذلك وبضغط مباشر من الكويت، واشترك ممثلها في تحديد موقع نقطة صفوان، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى استقالة رئيس اللجنة (كوسوما لتمانجا) في ٢٠ تشرين الأول ١٩٩٢، إذ برر استقالته لسببين الأول شخصي والثاني تحفظاته تجاه تخطيط الحدود في قطاع ما بعد الساحل (خور عبد الله)، إذ لم تجر الإشارة إليه في الرسائل المتبادلة عام ١٩٣٢، مما يعني عدم تحديد الحدود يمكن للجنة أن تتخذ منه أساساً في عملية الترسيم للموكلة إليها<sup>٦٧</sup>. والواقع إن منافذ العراق على الخليج العربي محدودة جداً عكس الكويت، لذلك فإن خور عبد الله ذو أهمية كبيرة للعراق، لأنه يطل منه على الخليج العربي، فسن

<sup>٦٤</sup> خالد السرجاني، ترسيم الحدود العراقية الكويتية بعد أزمة الخليج الثانية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١١١)، ١٩٩٣، ص ٢٣٢.

<sup>٦٥</sup> المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

<sup>٦٦</sup> بطرس بطرس غالي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

<sup>٦٧</sup> الأمم المتحدة، الوثائق الرسمية لمجلس الأمن، ملحق نيسان وابار وحزيران ١٩٩٣، الوثيقة المرفقة (S/٢٥٩٠٥). من الانترنت [www.kuwait.kw](http://www.kuwait.kw).

الضروري أن تنطبق عليه وصف الظروف الخاصة، حسب اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٢، بتعيين حدود البحر الإقليمي بطريقة تخالف قاعدة خط الوسط<sup>٦٨</sup>، خاصة وأن العراق قد اتفق مليارات الدولارات عبر عشرات السنين لتحسين الملاحة فيه من أجل انسياب تجارته عبر البحار.

ومهما يكن من امر، فقد تم وضع منطقة منزوعة السلاح لمسافة ٢٠٠ كم على جانبي الحدود<sup>٦٩</sup>. وأصبحت الكويت على بناء خندق لتأمين حدودها الجديدة، وباشرت العمل به في ٩ حزيران ١٩٩٣ فشقت خندق من مثلث العوجة جنوب غرب الكويت يمتد إلى الشمال<sup>٧٠</sup>، وقد بلغ عمق الخندق ثلاثة أمتار وعرضه خمسة أمتار وسائر ترابي على ارتفاع ثلاثة أمتار وجدار يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار وسياجاً من الأسلاك الشائكة<sup>٧١</sup>. وعلى الرغم من أن الأمم المتحدة طلبت من الكويت التريث في بنائه لأن عملية طرد المواطنين العراقيين من أراضيهم سيخلق توتراً في المنطقة، إلا أن الكويت قامت بترحيل جميع المواطنين العراقيين في منطقة أم قصر والعبدي، وقررت الأمم المتحدة بالاتفاق مع الكويت تعويض المزارعين والمواطنين العراقيين، وشكلت لجنة ترأسها خبير سويدي أقرت مبلغ التعويض الأجمالي هو (٥٦) مليون دينار عراقي لـ (٩٥) مزرعة و (١٥,٥) مليون دينار عراقي لـ (٢٠٦) بيوت سكنية<sup>٧٢</sup>.

وسدنت الكويت مبلغ التعويضات، غير أن أحداً من العراقيين لم يوافق على تسلم مبلغ التعويضات، وأودع المبلغ في حساب ضمان تابع للأمم المتحدة حيث تبقى تحت تصرف المستفيدين<sup>٧٣</sup>.

وهكذا نجحت دبلوماسية (الدينار الكويتي) في إصدار القرار الخاص بترسيم الحدود في ٢٧ مايس ١٩٩٣، والذي وافقت عليه الكويت، وعارضه العراق<sup>٧٤</sup>، إذ علق وزير خارجية العراق أحمد حسين على قرار الترسيم هذا بقوله: ((إن القصد السياسي الواضح من هذا القرار ليس حرمان العراق من حقوقه التاريخية والجغرافية وإلحاق الأذى بمصالحه الحيوية فحسب، وإنما هو تعمد خلق

<sup>68</sup> من الانترنت [www.alriyadh.com](http://www.alriyadh.com).

<sup>69</sup> بطرس بطرس غالي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦.

<sup>70</sup> الوثائق الرسمية لمجلس الأمن، الوثيقة (S/١٩٩٤/١٣٧١) من الانترنت.

[www.kuwait.kw](http://www.kuwait.kw).

<sup>71</sup> المصدر نفسه، ملحق تشرين الأول وتشيرين الثاني وكقوان الأول، الوثيقة (S/١٩٩٥/٨٣٦).

<sup>72</sup> المصدر نفسه، الوثيقة (S/١٩٩٤/٢٤٠).

<sup>73</sup> بطرس بطرس غالي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩.

<sup>74</sup> مركز الدراسات والبحوث الكويتية، تخطيط الحدود للدول، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

وضع غير شرعي وغير منطقي ومهدد لمصالح حيوية لشعب عريق فرضت عليه محنة بطريق القوة المسلحة والابتزاز السياسي<sup>٧٥</sup>.

وظهر للتخطيط السياسي واضح لدى الحكومة العراقية سواء في جامعة الدول العربية أو المحافل الدولية، فقد اعتمد على المراهقات السياسية ضمن اللعبة الدبلوماسية، من خلال الاعتراض والمقاطعة أو العزلة أو العناد دون الاستناد إلى أسس قانونية، فادى ذلك إلى خسارة الموقف الذي يمكن الحصول عليه من خلال الحوار والمشاركة حول الموضوع المختلف عليه مع الطرف الآخر، وظهر ذلك واضحاً من خلال معارضة الحكومة العراقية لقرار ترسيم الحدود ثم الموافقة عليه، بقرار من مجلس قيادة الثورة والمجلس الوطني يوم ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٤<sup>٧٦</sup> ويبدو أن اندريه كوزيريف وزير خارجية روسيا لعب دوراً في ذلك، واعدت القيادة العراقية - بعد الاعتراف برفع الحصار الاقتصادي عن العراق، والأهم من ذلك بقاء نظام صدام حسين في السلطة.

اعتقدت الحكومة العراقية، أن الاعتراف بالكويت سيادة وحدوداً، سيحل معظم المشاكل التي تواجهها ومنها الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ودول خليجية أخرى استمرت في ممارسة الضغوط على العراق بحجة وجود أسلحة الدمار الشامل لديه، الأمر الذي دفع العلاقات العراقية الكويتية إلى العودة إلى نقطة الصفر بعد عام ١٩٩٤ صعوداً، حتى احظر العراق إلى حشد قوته على الحدود مع الكويت، ووصلت الأزمة ذروتها عام ١٩٩٨ حين تعرض العراق إلى عدوان جوي آخر<sup>٧٧</sup>.

وفي عام ٢٠٠٣ سمحت للكويت للقوات الأمريكية والبريطانية باحتلال العراق عبر أراضيها، وقام بعض رجال مخابراتها بتمجير الكثير من المنشآت العراقية انتقاماً من الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠<sup>٧٨</sup>، على الرغم من ما حصلت عليه الكويت من تعويضات هائلة.

وأعلن بول بريمر للحاكم المدني الأمريكي في العراق، بعد تسلمه منصبه في شهر حزيران ٢٠٠٣ إلى ضرورة عودة حدود العراق إلى ما كانت عليه، فأبدى أحد شبوخ الكويت قلقه من الوعود الأمريكية للعراق<sup>٧٩</sup>.

<sup>75</sup> المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

<sup>76</sup> جريدة الثورة ، العدد (٨٥٩٩) ، ١١/١١/١٩٩٤ .

<sup>77</sup> جريدة الثورة ، العدد (٨٥٩٩) ، ٢٦/١٢/١٩٩٨ .

<sup>78</sup> جريدة المشرق ، العدد (٥٥) ، تموز ٢٠٠٤ .

<sup>79</sup> جريدة المشرق ، العدد (١٦١) ، ٨ تموز ٢٠٠٤ .

وقام رئيس الوزراء العراقي أياد علاوي بزيارة الكويت في تموز ٢٠٠٤، أكد خلالها على احترام سيادة واستقلال الكويت، وتم خلال الزيارة مناقشة مسألة استغلال الحقول النفطية المشتركة الحدود بين البلدين، لأن الكويت تستغل هذه الحقول من جانب واحد<sup>80</sup> مما يلحق الضرر الكبير بالعراق.

ومن جانب آخر رفضت الكويت بشدة الطلب الذي تقدم به كل من رئيس الجمهورية غازي عجيل الياور ورئيس وزراء العراق أياد علاوي ومبعوث الرئيس الأمريكي جيمس بيكر إلغاء التعويضات والديون العراقية<sup>81</sup>، بسبب ظروف العراق الاقتصادية الصعبة، ولا زالت الكويت تأخذ هذه التعويضات، والتي بلغ مجموع ما نفق العراق منها حتى أيلول ٢٠٠٦ ما يعادل (٢٧) مليار دولار<sup>82</sup>.

ومن المعلوم أن ديون الكويت على العراق قبل غزوه للكويت كانت (١٣) مليار دولار، وقدرت الأمم المتحدة الأضرار الناجمة عن اجتياحه للكويت بـ (٢٣) مليار دولار<sup>83</sup>. إلا أن الكويت أضافت إلى هذه التعويضات جميع المنح التي قدمتها للعراق أثناء حربه مع إيران، فضلاً عن أضافتها لفوائد جعلت هذه الأرقام تتضاعف بشكل كبير على الرغم من أن هذه التعويضات هي ديون بغضضة<sup>84</sup>، بسبب الحرب، سبق للولايات المتحدة أن ألغتها بعد إنهيار النظام الدكتاتوري في كوستاريكا عام ١٩٢٣<sup>85</sup> كما لم تفرض على ألمانيا بعد إنهيار النظام الهنلري فيها بعد الحرب العالمية الثانية. وكما يبدو من مناقشات الجمعية الوطنية العراقية في آب ٢٠٠٥، فإن الكويت لم تكفي بما حصلت عليه من ترسيم الحدود عام ١٩٩٣، فقد استغلت الفوضى السياسية والأمنية في العراق، فقامت باختراق الحدود العراقية، وظهر ذلك من خلال البيان الذي لقاه جواد (نوري) للملكي رئيس لجنة الأمن والدفاع في الجمعية أمام الأعضاء قائلاً:

80 المصدر نفسه، العدد (١٨٢) ٢٠ آب ٢٠٠٤.

81 شبكة الانترنت [www.ashargalawsat.com](http://www.ashargalawsat.com).

82 جريدة المشرق، العدد (٨١٩)، ٢٩ أيلول ٢٠٠٦.

83 عامر التميمي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٥.

84 الديون البغيضة : مفهوم أطلقه سلك الوزير السابق والاستاذ في الاقتصاد الدولي في جامعة الموريون وما قاله : اذا تركت سلطة دكتاتورية ديناً لم يكن لمطالبات او مصلحة الدولة بل لتقوية نظامها الدكتاتوري وقهر شعبيها، فإن هذا الدين بغض وكره لكل هذا الشعب وبالتالي يسقط هذا الدين من الناحية القانونية بسقوط السلطة. هناك عهد الظلم الممارسي، ماهي قضية شطب الديون العراقية، مجلة الحكمة، العدد ٣٨، السنة المبلغة، بيت الحكمة، كانون الأول ٢٠٠٤، بغداد، ص ٢٩.

85 شكر موسى عيسى، الديون القبيحة والتعويضات الظالمة على الشعب العراقي، مجلة الحكمة، المصدر نفسه، ص ٣١.



((المعلومات التي توفرت لدينا من خلال مشاهدات عينية ومتابعات ان الخندق المحفور قد تم رصمه، وتجاوزته الحدود الكويتية لمسافة تصل في بعض المناطق الى كيلومتر)) ثم أضاف ((عاد الكويتيون وتجاوزوا هذا الحد مرة أخرى، وهدموا المنازل في أم قصر وأقاموا المنشآت لسرقة النفط العراقي)).<sup>86</sup> وتجاوزت الكويت على المياه العميقة في أم قصر والتي تصل الى ١٦ متراً ولم يبق لنا منها الا ما عمقه ستة أمتار.<sup>87</sup>

وهاجم بعض النواب الكويت ، لأنها سلبت أراضي عراقية وحقوق نفطية جديدة ، ودعوا الى إعادة النظر في ترسيم الحدود.<sup>88</sup> فيما أشار النائب عبد الكريم المحمدلوي، الى ان الكويت تجاوزت النفق الذي أقامته بمسافة ٢ الى ٣ كم داخل الحدود العراقية ، ووضعوا أنبوباً حديدياً أخذوا بموجبه نصف أم قصر.<sup>89</sup>

أثارت تصريحات النواب هذه بعض المسؤولين الكويتيين، الذين نعتوا نواب المجلس بمختلف النعوت، وأعلنوا رفضهم بشدة البحث في مسألة إعادة ترسيم الحدود مع العراق، وإضاف أحد مسؤولي وزارة الخارجية الكويتية غانم صقر الغانم قائلاً:

((لقد وضعنا في صندوق لدى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٩٤ وحتى الآن ما أجماله مليون و١١٤ ألف دولار هي قيمة التعويضات المقدرة عن مزارع وأراضي ومنازل العراقيين، إلا ان للنظام العراقي السابق رفض تسليمها اليهم)).<sup>90</sup>

ومهما يكن من أمر فقد شكل مجلس النواب وفداً رسمياً برئاسة النائب خالد العطية، حيث زار الوفد منطقة أم قصر لتقصي الحقائق، وأجرى مباحثات مع المسؤولين الكويتيين، وطلب منهم الترتيب في نصب الأنبوب لحين تشكيل حكومة عراقية دائمية ولقرار الدستور الدائم للبلاد.<sup>91</sup>

وإزاء هذه الأحداث يمكننا القول، ان الحكومة العراقية كانت منشغلة بترتيب البيت للعراقي، فلجأت الى التهذئة عبر الحوار الهادي العقلاني، دون الانزلاق وراء المهارات والمزيدات التي دفع العراق نتيجة لها طيلة عقود من السنين ثمناً باهضاً من دماء أبنائه واستنزاف أمواله ومراقبة أجزاء من خيرة أراضيه.

ونكتشف هذه الأحداث أيضاً، أنه اذا كانت الكويت تعادي نظام صدام حسين فهي محقة في ذلك، ولكن بعد سقوط النظام، كان أولى بالمسؤولين الكويتيين مراجعة

<sup>86</sup> جريدة المشرق ، العدد (٤٧٥) ، ٣ آب ٢٠٠٥ .

<sup>87</sup> الانترنت [www.Middleeastonline.com](http://www.Middleeastonline.com) .

<sup>88</sup> جريدة المشرق ، العدد (٤٧٥) ، ٣ آب ٢٠٠٥ .

<sup>89</sup> المصدر نفسه ، العدد (٤٧٦) ، ٤ آب ٢٠٠٥ .

<sup>90</sup> المصدر نفسه ، العدد (٤٨٢) ، ١١ آب ٢٠٠٥ .

<sup>91</sup> المصدر نفسه ، العدد (٤٧٨) ، ٧ آب ٢٠٠٥ .

مواقفهم السلبية السابقة، وفتح صفحة جديدة مع الشعب العراقي الذي ذاق الأمرين من ظلم النظام السابق.

#### الخاتمة

ظهر من خلال صفحات هذا البحث، أن الكويت بسبب النفط ولأجله تحولت إلى مستعمرة نفطية بريطانية، ظهرت واضحة بعد مؤتمر العقير عام ١٩٢٢. وتمسكت بريطانيا بها خوفاً على مصالحها الاقتصادية والتجارية. استغانت الكويت من ثرواتها النفطية ومن ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق، في تعزيز كيائها السياسي والوقوف بوجه محاولات ضمها. فحصلت على الاعتراف بكيانها السياسي من قبل نظام عبد السلام عارف عام ١٩٦٣. واتاحت للأنظمة الجمهورية المتعاقبة على الحكم في العراق بعض الفرص لحل مشاكل العراق الجيوستراتيجية والمتمثلة بإيجاد ميناء له على ساحل الخليج العربي والحصول على جزيرة وربه وبعض المناطق الجنوبية المتاخمة للحدود من أجل توسيع ميناء أم قصر، إلا أن جهل هذه الأنظمة وعدم قراءتها جيداً للتعاقب الزمني للتاريخ، وعدم تعاملها مع الواقع السياسي الموجود فعلاً، دفعها لأرتكاب أخطاء تاريخية كبيرة.

والواضح من استقراء العلاقة بين العراق والكويت بعد حرب الخليج الأولى، أن الطرفين ارتكبا سلسلة من الأخطاء، كان على العراق واجب إعادة الثقة بين الطرفين عن طريق الحوار الهادئ ومن خلال الجامعة العربية، درءاً للأيدي الخفية التي كانت تدفع بالطرفين نحو الهاوية.

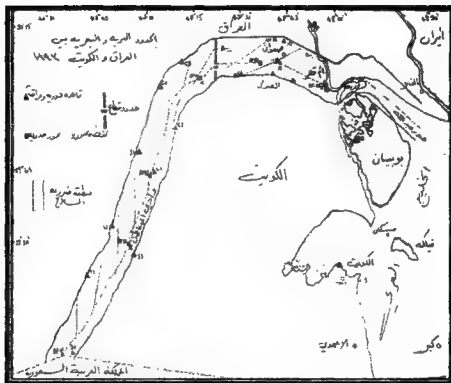
وانحنت العلاقات بين العراق والكويت منحى خطيراً بعد اجتياح الكويت، واتخذت أبعاد جيوستراتيجية واقتصادية خطيرة سواء بإغلاق منافذ الخليج العربي بوجه العراق وتحكم الكويت بها، أو بفرض الحصار الاقتصادي على الشعب العراقي لمدة (١٣٩) عاماً وما آل إليه من تدمير لثروات العراق واقتصاده وبنيتة الاجتماعية، والتي ستبقى في الذاكرة الشعبية مهما طال الزمن.

وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وعلى الرغم من محاولات ساسة العراق فسخ صفحة جديدة من العلاقة مع الكويت، إلا أن الكويت استمرت في ممارسة سياسة الابتزاز مع العراق سواء باستمرار سرقة نفطه وإجزاء من أراضيها، أم بإصرارها على اخذ التعويضات والديون مع فوائدها، بدل مساعدة الشعب العراقي الذي كان هو أكبر ضحايا النظام السابق.

وأخيراً نحن بحاجة إلى قراءة جديدة ودقيقة لتقييم العلاقات مع أشقائنا الكويتيين عبر الحوار الهادئ والبعيد عن الأتانية السياسية أو المهاترات العسكرية، من أجل رسم علاقة مستقبلية مشرقة للأجيال القادمة في كلا البلدين.



## خارطة رقم (٢) "١" المنطقة المحرمة بين العراق والكويت



82 بطرس بطرس غالي ، الأمم المتحدة والنزاع بين العراق والكويت ، ١٩٩٠ - ١٩٩٦ ، الكويت ، ص ٣٢١ .

## العلاقات الصينية-الإسرائيلية دراسة في الإدراك السياسي والاستراتيجي لصانع القرار في البلدين

المدرس المساعد

أحمد عبد الأمير الانباري<sup>(١)</sup>

### مقدمة :

يحتل موضوع هذه الدراسة أهميته كونه يعنى بدراسة العلاقات الصينية - الإسرائيلية من حيث الأسباب التي دفعت بصانعي القرار في كل من الصين وإسرائيل لإقامة العلاقات بينهما ، وما هي المكاسب التي حققها كل طرف - وذلك التي يأمل في تحقيقها - من خلال هذه العلاقات . وإذا كانت الصين ترى في إسرائيل ما يمكن أن يلبي جزء كبير من حاجتها للتكنولوجيا المتطورة ، خاصة العسكرية منها ، وإمكانية أن توفر لها هذه العلاقات أداء دور ، محدود ، في حل مشكلة الشرق الأوسط ، فإن إسرائيل ترى في الصين ، كونها دولة كبرى وعضو دائم في مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة ، مكسباً كبيراً لها سعت دائماً للحصول عليه ، فضلاً على المنافع الاقتصادية التي يمكن أن تحصل عليها من العمل في الأسواق الصينية بما توفره من فرص كبيرة لتسويق البضائع الإسرائيلية .

غير أن هذه العلاقات ولجعت ظروفاً إقليمية ودولية لها تأثيراتها في كل من الصين وإسرائيل - قد حالت دون إقامة هذه العلاقات في وقت مبكر على قيام الدولتين الصينية والإسرائيلية. منها ما يتعلق بسعي الولايات المتحدة الأمريكية لفرض عزلة دولية على جمهورية الصين الشعبية بعد قيامها عام ١٩٤٩ ، ومنها ما يتعلق بموقف إسرائيل من انضمام الصين لعضوية الأمم المتحدة واعتبارها الممثل الوحيد للصين بكاملها، ومنها ما يتعلق باندلاع الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) وموقف إسرائيل بالصد من الصين في هذه الحرب، فضلاً على تأثير مؤتمر بانغونغ.

الا أن ثمة متغيرات حصلت -ابتداءً من العام ١٩٧٩- دفعت باتجاه إقامة اتصالات سرية وعلاقات في مجالات محددة -عسكرية تحديداً- طيلة عقد الثمانينات من القرن العشرين، ومن ثم علاقات دبلوماسية كاملة في العام ١٩٩١ وتعاون في مختلف المجالات. ومن هذه المتغيرات وصول قيادة جديدة في الصين في العام ١٩٧٨ تتبنى رؤية مفادها الانفتاح على العالم والحصول على التكنولوجيا اللازمة لنهضة الصين، وإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً على عقد

(١) مركز الدراسات الفلسطينية - جملة بغداد

اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل مما دفع الصين باتجاه التعاون مع إسرائيل، وفي فترة لاحقة- ومع متغيرات أخرى اضافة لما سبق- إقامة علاقات قوية وفي مختلف المجالات.

إن القراءة الصحيحة لصناع القرار في الصين وإسرائيل للمتغيرات التي حصلت وسعيهم لتوظيفها بما يخدم مصالح بلديهم، دفعتهم للاتجاه نحو الآخر في محاولة- ناجحة- لتقديم تسهيلات واغراءات تتفع به لمزيد من التعاون والتقارب، حتى وصلت العلاقات بين البلدين لمستويات متقدمة، يصعب على أي منهما التفريط بها بسهولة.

#### العلاقات السياسية:

إن الحاجة الإسرائيلية إلى تأكيد وجودها وتطلب منها- بعد عام ١٩٤٨- الحصول على إعراف دول العالم بها كدولة. ولهذا سعت إسرائيل للحصول على إعراف جمهورية الصين الشعبية بعد تأسيس هذه الجمهورية عام ١٩٤٩.

وعلى الرغم من إعلان الصين الشعبية إستعدادها لإقامة علاقات دبلوماسية مع كل دولة رغبة في إقامة علاقات متبادلة معها، على أن تكون مستعدة لقطع علاقاتها مع نظام فرموزه (تاوان). هذا الإعلان جاء على لسان الزعيم الصيني ماو تسي تونج يوم تأسيس جمهورية الصين الشعبية، إلا أن الصين قد رفضت دعوة إسرائيل لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في ذلك الوقت. ومسبق هذه الرغبة الإسرائيلية قيام إسرائيل بالاعتراف بجمهورية الصين الشعبية بعد حوالي ثلاثة أشهر من تأسيسها وبالتحديد في ٩/كانون الثاني/١٩٥٠. وهي تعد ثامن دولة في العالم- من غير الدول الشيوعية- وأول دولة من دول الشرق الأوسط تعترف بالصين الشعبية. وتشير التصريحات التي كان يصرح بها قادة الصين الشعبية، في ذلك الوقت، على أن مسألة إقامة علاقات بين الصين الشعبية وإسرائيل هو أمر مستبعد. مثال على ذلك، أن رئيس وزراء الصين شو إن لاي أبلغ سفير مصر في الصين بتاريخ ١٩/تموز/1968 بأن الصين لن تعترف بإسرائيل حتى لو أعرفت بها الاقطار العربية طالما أن حالة العدوان الإسرائيلي قائمة على الأراضي العربية<sup>١</sup>. غير أن هذا الموقف الصيني قد تغير في فترة لاحقة تبعاً لمتغيرات حصلت على المستويين الداخلي والخارجي، رأت الصين في ضوءها أن مصالحها تتطلب تغيير مواقفها تجاه إسرائيل وكما سيتضح في سياق البحث .

فالصين تعد إسرائيل عدواً لها وإنها تنتمي إلى المعسكر الغربي المعادي للصين، لاسيما أن إسرائيل كان لها دور سلبي بالنسبة للقضية الصينية التي كانت مطروحة في

<sup>١</sup> د. محمد السيد سليم، الصين الشعبية والقضية الفلسطينية، القاهرة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٥، يوليو ١٩٧٠، ص ٧٠-٧١. كذلك انظر: د. مسعود هاشم، العلاقات الثنائية العربية - الصينية : الواقع والاتفاق المستقبلية، بمشق، مجلة الفكر السياسي، العدد ٧، ١٩٩٩، ص ١٨٢.

ذلك الوقت، وهي مسألة حصول الصين الشعبية على عضوية الأمم المتحدة واعتبارها الممثل الوحيد عن الصين بكاملها. وبقيت إسرائيل تصوت في الأمم المتحدة ضد انضمام الصين الشعبية بحجة أنها تريد تمثيل كل من الصين الشعبية والصين الوطنية (فرموزه) في هذه المنظمة. وجهة النظر الإسرائيلية التي أريد لها أن تبرر الموقف الإسرائيلي، جاءت على لسان وزير خارجية إسرائيل "ان مبدانا القائل بأن الأمم المتحدة يجب أن تعكس الواقع الراهن ينطبق على الصين. وفرموزه". والحقيقة أن هناك نظام حكم معين في البر الصيني، ولكن هناك حقيقة أخرى هي وجود نظام حكم معين في جزيرة فرموزه أيضاً. ومما لاشك فيه أن اندلاع الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) وموقف إسرائيل منها جعلت مسألة إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين أمراً صعباً. فقد أعدت إسرائيل أن الصين خالفت الشرعية بتدخلها في هذه الحرب، وصوتت لصالح إرسال قوات الأمم المتحدة لاجتياز خط العرض ٣٨ للحلولة دون وصول الإمدادات العسكرية إلى قوات للصين الشعبية وكوريا الشمالية. كما كان للاتصالات العربية-الصينية في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ دور في إفشال محاولات إسرائيل لإقامة علاقات مع الصين الشعبية، فالصين رأت في الدول العربية أكثر أهمية لها من إسرائيل ويمكن العمل مع هذه الدول لضعاف السيطرة الاستعمارية الغربية في المنطقة<sup>٢</sup>.

واستمر الموقف الصيني الرفض للمحاولات الإسرائيلية بإقامة العلاقات بين البلدين حتى بعد حصول الصين الشعبية على عضوية منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٧١. فلم ترد الصين على رسالة تهنئة بعث بها وزير خارجية إسرائيل بمناسبة حصول الصين الشعبية على عضوية منظمة الأمم المتحدة، بل أعيدت الرسالة دون أن تفتح بحجة أن الصين ليس بينها وبين إسرائيل اتفاقية بريد أو مواصلات سلكية أو لاسلكية. وكررت إسرائيل المحاولة عندما وجدت في التقارب بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين في مطلع السبعينات من القرن العشرين فرصة للتقارب مع الصين من خلال وساطة الولايات المتحدة، غير أنها لم تنجح. والفشل أيضاً لاسباب الوساطة الرومانية المكلفة من قبل إسرائيل لإقامة العلاقات مع الصين في كانون الأول عام ١٩٧٢. وفي أول بيان للصين في الجمعية العامة للأمم، أعدت الصين أن العدوان الإسرائيلي هو المسبب الأول للأزمة في الشرق الأوسط. كما أن الصين من المؤيدين لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونية حركة عنصرية. وادانت الصين بناء للمستوطنات الإسرائيلية في الأرض العربية المحتلة. وبالمقابل

<sup>2</sup> ج. هاجتسن، الصهيونية وإسرائيل وأسيا، ترجمة: راشد حميد، بيروت، مركز الأبحاث، ١٩٧٢، ص ١٥٨-١٥٩. كذلك انظر: د. حامد ربيع، تطور العلاقات الصينية الإسرائيلية، في: علاقات إسرائيل الدولية، بغداد، كلية العلوم السياسية، مركز الدراسات الفلسطينية، ص ٢١-٢٢.

اختارت الصين خيار مساندة الشعب الفلسطيني في نضاله لاسترداد حقوقه وأرضه ، من خلال تقديم المساعدات العسكرية والمالية للقضاء على إسرائيل . فالصين ترفض مبررات إسرائيل لاحتلالها الأرضي الفلسطينية والقاتلة بأن هذه الأرض هي أرض أسلافهم قبل ٢٠٠٠ عام<sup>٣</sup>.

غير أن دراسة السياسة الخارجية الصينية تجاه إسرائيل تفيد بأنها انتقلت من الموقف الذي تبنته الصين الشعبية منذ عام ١٩٤٩ إلى مطلع عقد السبعينات من القرن الماضي والذي يدعو للقضاء على إسرائيل بكل الوسائل وفي مقدمتها القوة العسكرية ، إلى موقف يدعو إلى حل قضية الشرق الأوسط بالطرق السلمية وإقامة دولة فلسطين إلى جانب دولة إسرائيل .

لقد تزامن هذا الموقف الصيني مع مؤشرات تفيد بوجود تقارب صيني - إسرائيلي الذي أخذ مساراً متصاعداً وصولاً إلى إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ومن ثم تقدم في مختلف المجالات .

بدأت أولى مؤشرات هذه العلاقات في نهاية عام ١٩٧٨ عندما التقى وفد من الكنيست الإسرائيلي خلال زيارته لعدد من دول شرق آسيا ( بورما ، اليابان ، كوريا الجنوبية ، النيبال ) عدد من الشخصيات الصينية . ثم تبعها أول زيارة لدبلوماسي صيني إلى إسرائيل لإجراء لقاءات مع مسؤولين إسرائيليين حول العلاقات بين البلدين ، وذلك في ١٤/كانون الثاني/١٩٧٩<sup>٤</sup> . هذا التطور كان يقف وراءه عدد من الأسباب منها :

- ١- وصول قيادة جديدة في الصين — الرئيس الأسبق دينج شياو بدينج — التي تتبنى رؤية — تختلف عن رؤية ماو تسي تونج — مفادها الانفتاح على العالم ، وخاصة أمريكا والغرب ، والاستفادة من التكنولوجيا الغربية اللازمة لتطور الصين .
- ٢- إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية .
- ٣- التطورات التي حصلت في طبيعة الصراع العربي-الإسرائيلي والمتمثلة في رغبة مصر بالسلام مع إسرائيل.

وشهد شهر آذار من عام ١٩٨٧ أول اتصال رسمي معلن بين البلدين وذلك باجتماع المندوب الدائم للصين في الأمم المتحدة مع وكيل وزارة خارجية إسرائيل . كما تم في العام نفسه لقاء بين وزيرى خارجية البلدين ، وكان نتيجة هذه اللقاءات فتح

<sup>٣</sup> انظر مصطفى كامل، السياسة الصينية والصراع العربي-الإسرائيلي، بيروت، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٥، ١٩٨٣، ص ٥٩-٦١. كذلك أنظر د. مسعود ظاهر، مصدر مقيم ذكره، ص ١٥٨ و ١٨٢.

<sup>٤</sup> د. عبد العزيز حمدي عبد العزيز ، العلاقات الصينية-الإسرائيلية ، القاهرة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٣٢ ، أبريل ١٩٩٨ ، ص ١٣٤ .



مكتب اتصال لأكاديمية العلوم والآداب الإسرائيلية في بكين<sup>٥</sup>. كما اتفق البلدان على افتتاح مكاتب صحفية في عواصم البلدين أثر مباحثات جرت في عام ١٩٨٩ بين وزيرى خارجيتهما في مقر الأمم المتحدة<sup>٦</sup>.

وكان قبول الدول العربية للتفاوض مع إسرائيل في بداية عقد التسعينات من القرن العشرين عاملاً دافعاً للصين لإقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع إسرائيل . وهذا يعطي الصين دوراً في المفاوضات العربية — الإسرائيلية ، فضلاً على حاجة الصين للخروج من العزلة التي فرضت عليها من قبل الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية واليابان بعد أحداث ( تيان أن مين ) عام ١٩٨٩ .

وقد مهد لإقامة العلاقات الدبلوماسية بقاء وزيرى خارجية البلدين في ١٩٩١/٩/٢٥ والتي أعقبها زيارة وفد دبلوماسي إسرائيلي إلى بكين ، ويتأس هذا الوفد موشي باجر مدير الشؤون الأفريقية والآسيوية في وزارة الخارجية الإسرائيلية ورئيس مركز الدراسات السياسية في قسم الشؤون الخارجية<sup>٧</sup>.

في ٢٤/كانون الثاني/ ١٩٩٢ تقيمت العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين الصين وإسرائيل . ويقف وراء الرغبة المتبادلة لدى البلدين لإقامة هذه العلاقات عدد من الأسباب ، تتمثل بالنسبة للجانب الصيني بما يأتي :

١- حاجة الصين للخروج من العزلة التي فرضت عليها بعد أحداث تيان أن مين في العام ١٩٨٩.

٢- الحاجة الصينية للحصول على التكنولوجيا الغربية من خلال إسرائيل ، لاسيما التكنولوجية العسكرية .

٣- ادراك الصين للدور الذي يمكن ان يقوم به أعضاء الكونكرس من اليهود في مجال حصولها على تسهيلات تجارية في علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية<sup>٨</sup>.

٤- تسعى الصين من خلال هذه العلاقة الى تحييد العلاقات الهندية — الإسرائيلية ، لاسيما ان هذه العلاقة تعطى دعماً للهند في تنافسها مع الصين للحصول على النفوذ في آسيا .

<sup>٥</sup> المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

<sup>٦</sup> د. ناظم الجاسور ، العلاقات الصينية — الإسرائيلية : الأهداف والتحديات ، في : مستقبل الحركة الصهيونية والمشروع الحضاري العربي ، بغداد ، بيت الحكمة ، ٢٠٠١ ، ص ٣٢٧ .

<sup>٧</sup> المصدر نفسه ، ص ٣٢٧ .

<sup>٨</sup> وابد عبد الحي ، الكتلة المستقبلية للصين في النظام الدولي ١٩٧٨-٢٠١٠ ، أبو ظبي ، مركز الاسرات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ٢٠٠٠ ، ص ١٨٤ .

ولمزيد من التفصيل أنظر : د. هاني اليونس الحديشي ، سياسة إسرائيل ازاء جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية والصين ، في : مستقبل الحركة الصهيونية والمشروع الحضاري العربي ، بغداد ، بيت الحكمة ، ٢٠٠١ ، ص ٣٦٧-٣٦٨ .

٥- كون الصين دولة كبرى وعضو دائم في مجلس الأمن ، فهي ترغب ان يكون لها دور في عملية السلام في الشرق الأوسط والصراع العربي — الإسرائيلي .  
وفيما يتعلق بإسرائيل، فإنها ترى في الصين أكثر من ميزة تنفع بها للارتباط معها بعلاقات دبلوماسية واقتصادية وتجارية ، ومنها :

- ١- فالصين دولة كبرى على المستوى الدولي .
- ٢- وهي عضو دائم في مجلس أمن منظمة الأمم المتحدة مما يوفر لها نفوذ سياسي كبير .
- ٣- من خلال هذه العلاقات استطاعت إسرائيل ان تعقد اتفاقية مع الصين بشأن الحد من تصدير الأسلحة الصينية الى الدول العربية<sup>٩</sup>.
- ٤- هي قوة اقتصادية صاعدة بسبب معدلات النمو العالية التي حققتها ولا زالت تحققها.

٥- أضف الى ذلك ان الصين تعد أكبر سوق استهلاكي في العالم، حيث يحتوي هذا السوق على أكثر من (١,٣) مليار مستهلك. مما يوفر فرصاً كبيرة للاقتصاد الإسرائيلي للاستثمار فيه، وسوقاً للبضائع الإسرائيلية.

وبعد فترة قصيرة على اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، زار إسرائيل وفد من الحزب الشيوعي الصيني حيث التقى مع رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ( اسحاق رابين ) ، وعبر الجانبان عن آمالهم في تطوير العلاقات بين البلدين وأهمية هذه العلاقات لكلا البلدين. وأصبحت الطروحات الصينية تقوم على أساس ان كسب السلام يتطلب من إسرائيل الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني والتخلي عن سياسة احتلال المزيد من الأراضي العربية والتوسع على حساب هذه الأراضي<sup>١٠</sup>.

وهذا يعد تغييراً في طبيعة الطروحات الصينية تجاه إسرائيل، حيث تحولت من موقف يذهب باتجاه ضرورة إزالة إسرائيل بشكل كامل، الى موقف يذهب باتجاه الاعتراف بإسرائيل كدولة مستقلة ولها الحق في العيش بأمن وسلام.

ومع زيارة الرئيس الصيني السابق جيانج زيمين الى إسرائيل في شهر نيسان عام ٢٠٠٠، أصبح التعاون الصيني-الإسرائيلي أكثر وضوحاً وعلانية<sup>١١</sup>. وجاءت الزيارة الأخيرة لرئيس الوزراء الإسرائيلي يهودا أولمرت الى الصين في كانون الثاني

<sup>٩</sup> اسامة فاروق مخيمر ، العلاقات بين الصين الشعبية وإسرائيل ، القاهرة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٠٨ ، ابريل ١٩٩٢ ، ص ٢٦٠ .

<sup>١٥</sup> د.عبد العزيز حمدي عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٧. كذلك أنظر: د. مسعود ظاهر، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢.

<sup>١١</sup> تميم خلاف ، إسرائيل والصين : تقارب استراتيجي جديد ، القاهرة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٤١ ، يوليو ٢٠٠٠ ، ص ١٦٢ .

٢٠٠٧، بمناسبة مرور (١٥) عام على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين<sup>١٢</sup>، تؤكد حرص الطرفين استمرار وتطوير علاقاتهما وبمختلف الميادين. ان هذه الزيارات المتبادلة بين مسؤولي البلدين وعلى أعلى المستويات، تدل على الحرص المتبادل على ادامة هذه العلاقات وتنميتها بما يحقق المصالح المشتركة لكل من الصين وإسرائيل. وهو يعكس ادراك صانع القرار الصيني والإسرائيلي للمنافع السياسية والاستراتيجية للمتحققة- والتي يمكن ان تتحقق- من خلال استمرار هذه العلاقات وتطويرها.

**العلاقات العسكرية:**

ان الرؤية العسكرية التي تمتلكها القيادة الجديدة في الصين (بعد عام ١٩٧٨) والتي تقول بضرورة العمل على تحديث الجيش وامتلاك الصين القدرة الكافية لبناء صناعة عسكرية متقدمة<sup>١٣</sup>، وادراك هذه القيادة ان هذه الأهداف لايمكن تحقيقها الا من خلال التعاون مع دول أخرى، دفع بالصين للتعاون مع إسرائيل في المجال العسكري.

فالعلاقات في المجال العسكري قد مهدت لعلاقات صينية — إسرائيلية في مختلف المجالات. فالصينيون كانوا قد فوجئوا بما أحرزته إسرائيل في مجال التكنولوجيا العسكرية، عندما شاهدوا الطائرة الإسرائيلية من نوع "الكفير" في عام ١٩٧٥ في معرض باريس، كذلك ما تم عرضه في الجناح الإسرائيلي في معرض سنغافورة عام ١٩٨٦. فقد مهدت الزيارة التي قام بها وفد إسرائيلي في شباط عام ١٩٧٩ لهذا التعاون، وكان من بين أعضاء هذا الوفد مدير عام هيئة الصناعة الجوية موشي كرت<sup>١٤</sup>.

وتتوافر المصلحة المتبادلة لدى كل من الصين وإسرائيل للتعاون في هذا المجال، فالصين تمتلك القدرة الاقتصادية لشراء ما تحتاجه من الأسلحة ذات التقنية المتقدمة،

<sup>12</sup> موقع وزارة خارجية جمهورية الصين الشعبية [www.fmprc.gov.cn](http://www.fmprc.gov.cn).

<sup>13</sup> ان الاهتمام الصيني بهذا الجانب يتلوه من أثره الكبير في اسناد حركة السياسة الخارجية للصين قديماً وحديثاً، انظر: .

Srikanth Kondapalli, China's Naval Power, New Delhi, Daryaganj, 2001, p. 184.

كذلك انظر: بول كندي، نشوء وسقوط القوى العظمى، ترجمة: مالك البديري، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٦، ص ٦٨٥. كذلك انظر: د. هاني الياس خضر الحديدي، العلاقات الإسرائيلية - الأسبوية - الهند - باكستان - الصين - وسط آسيا، بغداد، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية / جامعة بغداد، العددان ٣-٢، ٢٠٠٦، ص ٩.

<sup>14</sup> شاي فيلدمان، الأمن الصيني: تأثيراته على إسرائيل، القاهرة، مجلة مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد ٦٥، أيار ٢٠٠٠، ص ٧٦. كذلك انظر: د. عبد العزيز حمدي عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤.

وإسرائيل لديها مثل هذه التقنية -، لاسيما أن الأسعار الإسرائيلية تعد مناسبة نسبياً إذا ما قورنت مع الأسعار الأمريكية. فعلى سبيل المثال، الطائرة الإسرائيلية نوع "الكفير" سعرها (٦،٥) مليون دولار، مقابل (١١) مليون دولار سعر الطائرة (ف-٥-تايجر) الأمريكية<sup>١٥</sup>. وقد اشترت الصين في بداية عقد الثمانينات من القرن الماضي أسلحة من إسرائيل بلغت قيمتها (٢) مليار دولار، وشملت هذه صفقة تجهيزات ليزرية وأنظمة بالسفينة متطورة وتقنيات الكترونية وصواريخ جو/جو وصواريخ باتريوت وقطع غيار للدبابات (تي-٦٢). وسبقها صفقة شملت (٥٤) طائرة مقاتلة من نوع "الكفير" وعند من دبابات نوع "ميركافا" وعدد من المدافع والصواريخ<sup>١٦</sup>.

وقام موشيه أرينز في عام ١٩٩١ بزيارة إلى الصين وكان يشغل منصب وزير الدفاع في إسرائيل في ذلك الوقت، كان الغرض من الزيارة للتباحث مع المسؤولين الصينيين بشأن التعاون العسكري بين البلدين. واستطاعت إسرائيل من خلال توثيق علاقاتها مع الصين الحصول على ضمانات صينية بتحديد بيع الأسلحة إلى الدول العربية وإيران. وفي العام نفسه حصلت الصين على تقنية صاروخ (بي-ال-٨-إيج) جو/جو، كما حصلت الصين على معلومات مهمة عن أجهزة توجيه الصواريخ، وخاصة صواريخ باتريوت<sup>١٧</sup>.

وشهد العاشر من شهر تشرين الأول ١٩٩٣ تقدماً في هذه العلاقات بزيارة رئيس وزراء إسرائيل (إسحاق رابين) إلى الصين ومحاولته بيع العتاد العسكري الإسرائيلي إلى الصين<sup>١٨</sup>. وقامت إسرائيل بعد هذه الفترة بتطوير طائرات صينية نوع (ميغ ١٩) و(ميغ ٢١) وذلك بتزويدها بأجهزة رادار وحاسبات إسرائيلية الصنع. وفي شهر تشرين الأول ١٩٩٥ شاركت إسرائيل في معرض الصين العالمي للطيران من خلال ثمان مؤسسات إسرائيلية لصناعة الطيران. وقام مسؤول المشتريات الحربية (شين جيانج فانج) بزيارة جناح إسرائيل في هذا المعرض. كما عقدت صفقة صينية-إسرائيلية تم بموجبها بيع أسلحة إسرائيلية إلى الصين بقيمة (٣) مليار دولار، تتضمن مقذوفات مضادة للدبابات موجهة بالليزر ونخائر مدفعية وأسلحة أخرى. كما تم عقد صفقة بين البلدين بقيمة (٤) مليار دولار تقوم بموجبها إسرائيل ببناء منظومة للمراقبة والرصد على الحدود للصينية على مع جمهوريات آسيا الوسطى. ويشمل التعاون

<sup>15</sup> د. عبد العزيز حمدي عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤.

<sup>16</sup> د. خير الدين عبد الرحمن، القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين، دمشق، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦، ص ٩٠.

<sup>17</sup> المصدر نفسه، ص ٣٢٩-٣٣٠. كذلك أنظر: د. هاني الحديثي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٨. كذلك أنظر: علي حسين بكير، العلاقات العسكرية الإسرائيلية - الصينية

الصيني - الإسرائيلي في المجال العسكري ، قيام عدد من من الخبراء الإسرائيليين بتطوير وتحديث عدد من الطائرات الصينية نوع (٨١١/ف) بتزويدها برادارات متطورة ، وتحديث دبابات صينية نوع (٥٩ت). بالإضافة الى قيام إسرائيل بتطوير عدد من أنواع الدبابات للصينية مثل (تي ٥٤، تي ٥٥، تي ٥٦) بتغيير مدافعها التي كانت تحملها وهي من عيار (١٠٠ ملم) بمدفع أخرى عيار (١٠٥ ملم) ، وتغيير محركات الدبابات من نوع (تي ٥٤) ذات القوة الحصانية (٥٣٠) حصان ووضع محركات إسرائيلية الصنع بقوة حصانية تبلغ (٩٦٠) حصان ، وتحديث مدافعها بحيث تكون الحركة فيها كهربائية ، بدل حركة مدفع الدبابة (تي ٥٥) ذات الحركة الهيدروليكية. مع تحديثات أخرى شملت أجهزة الاتصال اللاسلكية وأجهزة رؤية ليلية<sup>١٩</sup>.

ونجحت الصين في العام ١٩٩٩ في عقد عدة صفقات مع عدد من الشركات الإسرائيلية، تضمنت اخضاع قادة للطائرات الحربية الصينية لتدريبات خاصة بأشراف إسرائيلي، كما شملت هذه الصفقة شراء الصين عجلات دفع رباعية الكترونية<sup>٢٠</sup>. وفي العام ٢٠٠٠ اعترضت الولايات المتحدة الأمريكية على صفقة - عرفت بصفقة رادارات الفالكون - كان قد تم الاتفاق عليها في وقت سابق بين الصين وإسرائيل . الصفقة تتضمن قيام إسرائيل بتركيب أجهزة انذار متطورة على طائرات صينية، مما يجعلها قادرة على استهداف محطات الرادارات والبطاريات المضادة للطائرات<sup>٢١</sup>. وطلبت الولايات المتحدة الأمريكية من إسرائيل إلغاء هذه الصفقة، والا فانها ستقطع المعونات المالية التي تقدمها لها والبالغة حوالي (٢,٨) مليار دولار سنوياً، مما اضطر إسرائيل الى إلغاؤها<sup>٢٢</sup>.

<sup>19</sup> تقارير استراتيجية، العدد ١٤، ١٩٩٥، ص ٢٩. نقلاً عن: عبد العزيز مهدي، واقع العلاقات الصينية - الإسرائيلية وأفاقها المستقبلية، بغداد، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد، ص ٦٦- ٧٦. كذلك أنظر : د.خير الدين عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص ٩٠.

<sup>20</sup> علي حسين باكير، مصدر سبق ذكره.

<sup>21</sup> Dr.P.R Kumaraswamy , The Israel - China - US arms triangle, [www.pinnr.com](http://www.pinnr.com)

<sup>22</sup> Sudha Ramachandram , US up in arms over Sino -Israel ties , Asia Times Online , December 21 , 2004

ولمزيد من التفاصيل انظر :

Chinas Missile Imports and assistance from Israel , Monterey Institute s , Center for Nonproliferation Studies , [www.nti.org](http://www.nti.org)

ومن خلال ما تقدم يمكن القول، ان إسرائيل أصبحت مصدراً مهماً لتزويد الصين بالتكنولوجيا العسكرية المتطورة<sup>23</sup>، وان الصين غير مستعدة للتخلي عن مصدر هذه التكنولوجيا.

### العلاقات الاقتصادية :

تعد العلاقات الاقتصادية بين الصين وإسرائيل ذات أهمية كبيرة لكلا البلدين . فإسرائيل تنظر الى الصين باعتبارها مستشكلاً مرحلة مهمة في النهوض الاقتصادي لها. فالسوق الصيني يغري كثيراً الصناعات الإسرائيلية ويمثل بالنسبة لها هدفاً تسعى للوصول اليه. لاسيما ان البضائع الإسرائيلية تحظى بقبول المستهلك في الأسواق الصينية، ويفضلون بعضها حتى على مثيلاتها من البضاعة الصينية، مثل ملابس الجينز<sup>24</sup>. فتحقق قبول للبضائع الإسرائيلية في أكبر سوق استهلاكي بالعالم له عوائده المالية التي لا يستهان بها، والتي ستعمل على زيادة الحرص الإسرائيلي لادامة وتوثيق العلاقات مع الصين. كما ان مثل هذه العوائد ستجعل إسرائيل غير مستعدة للتخلي عن العلاقة مع الصين أو الاساءة اليها بسهولة.

ولذا كما لهذه الأهمية من قبل صانع القرار في إسرائيل ومعززة بادراك متقابل من قبل نظيره الصيني، سعى الجانبان لتعزيز هذه العلاقات وتتميمتها . وهذا ما يدل عليه حجم التباد التجاري بين البلدين الذي يأخذ خطاً متصاعداً منذ العام ١٩٩٢ وحتى العام ٢٠٠٧ .

فقد ارتفع حجم التبادل التجاري بين البلدين من (٥٠) مليون دولار في العام ١٩٩٢ الى (٣) مليار دولار في العام ٢٠٠٥<sup>25</sup>، ليصل الى (٣،٩) مليار دولار في العام ٢٠٠٦<sup>26</sup>.

في ٢١ حزيران ٢٠٠٤ قام إيهود أولمرت-كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي ووزير الصناعة والتجارة في حينه-بزيارة الى الصين، وكان يترأس وفداً يضم أكثر من ٢٠٠ شخص من رجال الأعمال والتجارة في إسرائيل

<sup>23</sup> Barry Rubin , Chinas Middle East strategy , Mera Journal , Volume 3, No . 1 – March 1999 , www.meria.biu.ac.il

<sup>24</sup> محمد عبد الرحمن بونس ، الصين الجديدة .. في ظل الإصلاح والانفتاح ، مجلة وجهات نظر ، العدد السادس والأربعون ، نوفمبر ٢٠٠٢ ، ص ٤٧ .

<sup>25</sup> Chen Yonglong (Chinese Ambassador to Israel) , Reception marks the anniversary of China-Israel diplomatic ties , January 25 , 2007 , www.chinaembassy.org

<sup>26</sup> موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية ، ٢٤-١-٢٠٠٧

والذين يمثلون مختلف المجالات من الصناعة للمعلوماتية، التقنيات الإلكترونية، الأجهزة والمعدات الطبية، قطاع البيئة، الزراعة والاستثمار للخطر وغيرها. وبعد يوم واحد من هذه الزيارة، تم التوقيع على اتفاقية يتم بموجبها إنشاء صندوق مالي، حيث يستثمر فيه (١٥٠) مليون دولار من قبل مؤسسة مالية أمريكية وبالتعاون مع إحدى الجامعات الصينية لاستخدام العلوم والتكنولوجيا الإسرائيلية في الأسواق الصينية. كما تم الاتفاق على شراكة عمل بين شركة إسرائيلية للاعتمادات المالية وشركة صينية بقيمة (٧٥) مليون دولار. وتهدف إسرائيل إلى نشر صناعاتها في الأسواق الصينية بشكل كبير والعمل على رفع معدل التبادل التجاري بين البلدين<sup>٢٧</sup>.

وتبدي الشركات الإسرائيلية اهتماماً كبيراً للعمل بالأسواق الصينية وحرصها على زيادة حجم التبادلات التجارية والاقتصادية بين البلدين، حيث كان لهذه الشركات دور كبير في تعزيز هذه العلاقات وإقامة روابط تجارية قوية مع نظيراتها من الشركات الصينية وفي مختلف المجالات. هذا الاهتمام عبر عنه اموس يودان رئيس الغرفة التجارية الإسرائيلية، كما أوضح أن عدد الشركات الإسرائيلية التي أسست لها مكاتب محلية دخل الصين بلغ (٤٠) شركة، في حين عدد الشركات الإسرائيلية التي تعمل حالياً في الصين وصل إلى أكثر من (٨٠٠) شركة. وهذا يُعد مؤشراً واضحاً على اهتمام الجانب الإسرائيلي بتطوير علاقاته الاقتصادية مع الصين، لما توفره الأسواق الصينية من فرص اقتصادية كبيرة للاقتصاد الإسرائيلي، كون الأسواق الصينية تُعد من أكبر الأسواق في العالم. وفي المقابل أعربت القائمة بأعمال السفارة الصينية في إسرائيل نشانغ شياو عن اهتمام الجانب الصيني بتطوير هذه العلاقات وبما يخدم مصالح البلدين، متوقعة أن يصل حجم التبادل التجاري بين الصين وإسرائيل إلى (٥) مليار دولار في العام ٢٠٠٨<sup>٢٨</sup>. وهو ما يعكس إدراك القيادة في الصين لأهمية تنمية العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل، لما لها من منافع إيجابية في تقوية روابط مجمل العلاقات الصينية-الإسرائيلية.

#### العلاقات العلمية والتكنولوجية:

تمتلك القيادة الصينية التي جاءت بعد ماوتسي رؤية جديدة مفادها الانفتاح على العالم والاستفادة مما توصل إليه من تطور في الجوانب العلمية. ومما لا شك فيه أن الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية هم من يمثلون التكنولوجيا المتطورة. ولذا سعت القيادة الصينية بكل ما في وسعها من أجل الحصول على هذه التكنولوجيا دون

<sup>27</sup> فتح الأسواق الصينية .. هدف إسرائيل لعام ٢٠٠٤، صحيفة نديا الوطن ٢٠٠٤/٦/٣٠

[www.alwatanvoice.com](http://www.alwatanvoice.com)

[www.arabic.xinhuanet.com](http://www.arabic.xinhuanet.com)

<sup>28</sup> لقاء شينخوا، ١٠ / ١١ / ٢٠٠٦

النظر الى مصدر هذه التكنولوجيا سواء كان دولة اشتراكية أم رأسمالية<sup>٢٩</sup>. فالقادة في الصين يدركون جيداً ان اليوم هو للتكنولوجيا وليس للأيديولوجيا، وان أية دولة لا يمكن لها ان تحقق أهدافها الا من خلال التعاون مع وحدات المجتمع الدولي والانفتاح على هذا المجتمع.

وبذلك كان خيار إقامة العلاقات والانفتاح على دول العالم ولاسيما للدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، هو المسبيل لتحقيق أهدافها المتمثلة في الحصول على التكنولوجيا الغربية المتطورة. وتعد إسرائيل إحدى القنوات لامتلاك مثل هذه التكنولوجيا. فكان خيار إقامة العلاقات مع إسرائيل خياراً يجد مسوغاته في تحقيق المصالح الصينية .

وفي إطار التعاون للصيني-الإسرائيلي في هذا المجال ، أُنقِط البلدان على إقامة (٣٠٠) معهد مشترك في الصين لتجربة أولية، تقوم بتقديم خبراتها في مجالات عديدة مثل الطاقة ، والتكنولوجيا المتقدمة وغيرها. وقد تم ذلك خلال محادثات بين وفد إسرائيلي، يتكون من ممثلين عن (٤٠) شركة إسرائيلية، ومسؤولين صينيين في شهر حزيران عام ١٩٨٥. كما تم في عام ١٩٨٦ افتتاح كلية لتعلم اللغة ولآداب العبريين والتاريخ والديانة اليهودية في جامعة بكين. كما كان لرجال الأعمال اليهود دور في توثيق التعاون في المجالات العلمية بين كل من الصين وإسرائيل. فرجل الأعمال اليهودي لورنس خضوري الذي يدير شركات عديدة، لعب دوراً في مجال الطاقة الكهربائية بلغت كلفتها (٤) مليار دولار. وفي عام ١٩٨٧ زار الصين وفد برئاسة البروفسور شموئيل فهور ياليس، مدير دائرة التخطيط الاقتصادي في وزارة الزراعة الإسرائيلية، بناءً على طلب من قبل الصين فتمته الى رجل الأعمال الإسرائيلي شاوول ايزنبرغ. طلبت منه عمل دراسة للنهوض بالقطاع الزراعي في الصين، كما شمل الوفد ممثلي وزارات إنتاج المواد الغذائية، الطاقة الشمسية، والمواد الكيميائية. وكمثال على تقديم الخبرة الإسرائيلية في قطاع الزراعة في الصين، أصبحت مصدراً للقطن بعد ان كانت مستوردة له. وفي عام ١٩٩١ تم الاتفاق للتعاون بين كاديميات العلوم في كلا البلدين. ويوجد في جامعة بكين برنامج يتضمن دورات في الدراسات اليهودية ودورات للغة العبرية، كما يوجد في جامعة نانجين دورات للثقافة اليهودية، بالإضافة الى الدراسات الإسرائيلية في جامعة كوينمينج<sup>٣٠</sup>.

وتم في العام ١٩٩٣ إنشاء مركز تكريب زراعي في جامعة الهندسة الزراعية في العاصمة الصينية بكين، وعدد من المزارع للنموذجية في انحاء متعددة من الصين.

<sup>٢٩</sup> خيري عزيز ، الافتتاح والتحديث في الصين الجديدة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٥٩ ، يناير

١٩٨٠ ، ص ٦٢ .

<sup>٣٠</sup> د. عبد العزيز حمدي عبد العزيز ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .



وفي العام ٢٠٠٤ أنشأت شركة فيرتكس الإسرائيلية فرعاً لها في مدينة شين جين الصينية، أثمر زيارة قام بها وزير العلوم والتكنولوجيا الإسرائيلي في شهر آذار ٢٠٠٤ إلى هذه المدينة<sup>٣١</sup>. كما تم الاتفاق في كانون الثاني ٢٠٠٧ على البدء بإنشاء مركز التعاون الصيني-الإسرائيلي في مجال صناعة الألبان الحديثة، مما سيسهم في تكريب المزارعين الصينيين، الذين يعملون في هذا المجال، على أحدث الطرق في صناعة الألبان، بواسطة التكنولوجيا الإسرائيلية<sup>٣٢</sup>. وفي الزيارة التي قام بها رئيس وزراء إسرائيل إيهود أولمرت إلى الصين في كانون الثاني ٢٠٠٧، وخلال لقائه رئيس مجلس الدولة الصيني ون جيا باو، أكد الجانب الصيني رغبة الصين في تعزيز التعاون العلمي والتكنولوجي بين البلدين، وخاصة في مجال الطاقة وتكنولوجيا المعلومات<sup>٣٣</sup>. ومن الجدير بالذكر أن نسبة الصادرات الإسرائيلية إلى الصين في مجال تكنولوجيا المعلومات تبلغ (٦٤%) من مجمل الصادرات الإسرائيلية إلى الصين<sup>٣٤</sup>. وفي مجال التعليم فإن ما يقارب (١٠٠٠) طالب صيني تلقوا تعليمهم في إسرائيل، وما يقارب (٤٠٠) طالب إسرائيلي تعلموا في الصين.

#### الخلاصة:

تعد العلاقات الصينية - الإسرائيلية اليوم، بالنسبة لأطرافها، علاقات استراتيجية وعلى جانب كبير من الأهمية، بما حققته من منافع لكل من الصين وإسرائيل، وما يؤمل أن تحققه في المستقبل.

وإذا كانت هذه العلاقات قد واجهت عقبات، في السنوات التي تلت قيام جمهورية الصين الشعبية في العام ١٩٤٩، حالت دون قيامها، فإنها وبسبب متغيرات حصلت في العام ١٩٧٨ والسنوات التي تلتها، قد وظفت لصالح إجراء اتصالات بين الطرفين وتطورت فيما بعد لتعاون محدود، ليصل إلى إقامة علاقات دبلوماسية وتعاون متبادل بين البلدين وفي مختلف الميادين.

<sup>٣١</sup> د. إسامة عبد الحكيم، العلاقات الصينية - الإسرائيلية: الطابع والأمن بتصدران التعاون [www.fm.m.com](http://www.fm.m.com) ولمزيد من التفصيل بخصوص التعاون العلمي والتكنولوجي بين الصين وإسرائيل، انظر:

Science and Technology cooperation between China and Israel , موقع وزارة خارجية جمهورية الصين الشعبية

[www.wcm.fmprc.gov.cn](http://www.wcm.fmprc.gov.cn)

<sup>٣٢</sup> موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية

[www.altawasul.net](http://www.altawasul.net)

<sup>٣٣</sup> موقع وزارة خارجية جمهورية الصين الشعبية

[www.wcm.fmprc.gov.cn](http://www.wcm.fmprc.gov.cn)

<sup>٣٤</sup> د. إسامة عبد الحكيم، مصدر سبق ذكره.

<sup>٣٥</sup> Chen Yonglong , op , cit

وثمة عدة مؤشرات يمكن الاستعانة بها لمعرفة مدى التطور الذي حصل في طبيعة العلاقات بين البلدين . ومن هذه المؤشرات لارتفاع حجم التبادل التجاري بوتائر متصاعدة سنوياً، وعدد الشركات الإسرائيلية العاملة في الصين وتلك التي افتتحت مكاتب محلية لها في المدن الصينية ، والتعاون المشترك في مجال التكنولوجيا الزراعية ، والتعاون في المجال العلمي وغيرها . هذا فضلاً على المجال التعاون في المجال العسكري الذي ابتدأت به العلاقات بين البلدين ، والذي فتح المجال للتعاون في المجالات الأخرى ، وما يحظى به هذا المجال من أهمية كبرى بالنسبة للصين من جهة حاجتها للتكنولوجيا العسكرية ، وإسرائيل من جهة مردودها الاقتصادي . كما وفرت مكتسبات أخرى لكلا الطرفين فيما يتعلق بحركتهما الاقليمية والدولية، كـ رغبة الصين بأن توفر لها علاقاتها مع إسرائيل امكانية أن تلعب دوراً في حل مشكلة الشرق الأوسط، ورغبة إسرائيل اقامة علاقات مع كافة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وتحديد العلاقات الصينية العربية لاسيما العسكرية منها بتقيد بيع الاسلحة الصينية للدول العربية. حتى أصبحت هذه العلاقات تعني الشيء الكثير للصين وإسرائيل، وهو ما يشدد عليه دائماً وعلى لسان المسؤولين في البلدين وعلى أعلى المستويات. بحيث بات من غير الوارد-الى حد كبير-أن يفكر أي منهما بالاستغناء عن هذه العلاقات.

## اثر التهنيد في الهندسة الاجتماعية

المدرس المساعد

رعد قاسم صالح (\*)

## المقدمة :

أي مجتمع سياسي ينشد الاستقرار عليه أن يسعى إلى كسب رضا الأفراد المواطنين، لأن في ذلك استقرار للنظام السياسي النابع منه وبقائه. والأداء بأن الشعب هو تكتل الأفراد جاهل ادعاء لقيامه له فسي النتيجة الأخيرة، لأن المصير بيد الشعب. فإذا ما وجد الفرصة المناسبة أعلن سخطه بوسائل عملية عديدة قد لا تؤدي إلى استقرار النظام السياسي والاجتماعي.

السؤال الأول هنا: إذا أصبح الأفراد الحكم وفي أنظمة المجتمع وعلاقاته، وهم غير متشابهون في أرائهم فكيف سيكون حكمهم، فهل نترك لكل فرد أن يضع أنظمتهم وعلاقاته بالشكل الذي يبغي ويريد؟ وكيف يمكن أن ينشأ مجمع لبرنامج صالح إذا تركنا فيه المجال لكل إنسان ولكل فرد مهما اختلفت صفاتهم وأفكارهم ومصالحهم أن يضعوا أنظمتهم لأنفسهم كل على هواه ورأيه وحكمته للشخصية؟

أن بعض قادة الفكر، ومنهم أنصار الفكر الماركسي الذي أعطى دوراً للدولة في حل هذه الإشكالية عن طريق توليها مهمة صهر جميع الأفكار في فكر عام، وجميع الآراء في رأي عام الذي يجد فيه كل فرد مرآة لنفسه وفكره ومصالحته، فتعكس الدولة رغبة الأفراد في الشعب كـرغبة جامعة ويعكس الأفراد رغبتهم العامة التي تجمعهم جميعاً في هذه الدولة، فتمثل الدولة الأفراد ويندمج الفرد بالدولة وتتدمج الدولة بالفرد، ويصبح الجميع معنى واحد وحقيقة واحدة.

وهذا الحل بعيد عن الحقيقة الواقعة التي نقول أن المجتمع إنما يضم بين أطرافه مصالح متناقضة مع نفسها أشد التناقض والأفكار والآراء لا يمكن جمعها مهما حاولت في فكره ورأي واحد، وأن الأمة التي يعيش فيها الأفراد وكأنهم في أفكارهم ولرائهم مرآة أمرهم للآخر هي أمة لا وجود لها. وإن وجدت فهي أقرب إلى الموت والأنقراض منها إلى الحياة الناضجة المبدعة الطويلة.

ويقدم بعضهم حلاً آخر قائم على عدم ترك التناقض في أفكار وأنطباعات الأفراد يؤدي إلى العبث والفوضى خصوصاً إذا علمنا أن نسبة كبيرة من الأفراد هم جهلة لا يقدرون مصالحهم ولا الصالح المشترك لو الصالح العام، وأن عملية تقرير

المصير لا يجب أن نترك عرضة للأهواء المتصارعة، بل لابد أن يأتي عن طريق أناس هينوا أنفسهم لهذا الغرض وأنصرفوا للعمل من أجل الصالح العام والمشارك، وأن من الواجب ترك هذه النخبة أو هذه القوى المهيمنة على الحزب المهيمن أن تقرر مصير المجتمع.

ولأنصار هذا الرأي فقد يقول، أنه بالإضافة إلى عدم استطاعة هذه الطبقة أو الفئة أو النخبة أو قيادة الحزب المهيمن من تحقيق رضا معظم الأفراد وتحقيق ذات الفرد أينما كان موقعه لخدمة نفسه والمجتمع، فهناك حقيقة لا يمكن أنكارها بأن مؤثرات البيئة النفسية والاقتصادية والاجتماعية لا تنحصر على الأفراد الفاقدين لأهلية المعرفة التامة للواقع بل هي تطل الجميع بما فيهم أنصار هذه الفكرة، فهؤلاء الذين يراد لهم أن يحكموا حكماً مطلقاً هم متأثرون ببيئتهم وثقافتهم وأحوالهم وطبقته الاجتماعية مدفوعون إلى العمل بحكم هذه المؤثرات للمذهبية أو العرقية أو التجارية أو العائلية أو الفوضوية التي تجعلهم يسيرون في اتجاه واحد لا يحتوي الاكثريه وشتان بين الأحوال التي تحيط بأكثرية الشعب والأحوال التي تحيط بجزء منه وهذه الطبقة أو الشريحة أو الحزب قد يأتون إلى الحكم بعزيمة جديده ويعملون للمصلحة العامة، ولكنهم إذا استشعروا القوة في أنفسهم أمناً بالحكمة فقط في أعمالهم وضربوا بكل رأي مخالف عرض الحائط، والباحثون في المدرسة السلوكية لهم دراسات تحليلية عبر التاريخ لأنظمة سياسية واجتماعية حققت نتائج موحدة معروفة حول نهاية مثل هذه الأنظمة ومساوئها، لأنهم أولاً وأخراً أفراد، والأفراد قد يخطئون وقد يصيبون، فإذا أخطأ هؤلاء فمن الذي يصلح أخطاءهم بعد أن شكلوا "كتلة القوة" التي تتألف من جماعات لها من القوة والسلطة والنفوذ بما يجعلها رديفة Power Bloc.

بل هي التعبير عن الدولة، وقد عبر عن هذه الحالة عالم المدرسة الاجتماعية الوظيفية تالكوت بارمسونز Talcott Parsons "بالحالة المرضية المنحرفة" البعيدة عن التوازن المستقر لبنية السلطة، فإنه من الخطأ اللجوء إلى احتكار السلطة تحت مبرر غياب إمكانية السيطرة على عالم المتناقضات للآراء والاحتكاك والرغبات الفردية.

**والسؤال الثاني هنا :** كيف يمكن حل إشكالية السيطرة على سلوك وتفكير الفرد خارج السلوك والتفكير المطلوبين لقيام نظام سياسي اجتماعي ديمقراطي مستقر ومتطور، أو بعبارة أخرى ماهو المنهج الفاعل الذي يرتب عدم خروج الفرد خارج منظومة الحقوق الفردية والشخصية التي أقرها المجتمع للفرد بالشكل الذي لايلحق الضرر بحرية وحقوق الآخرين وبالبناء الديمقراطي والاجتماعي السليمين.

لأجابة على هذا السؤال علينا أن نقر بالحقائق:

١- الحقيقة الأولى أن الحكم يجب أن يتجه أولاً وأخراً إلى مصلحة الفرد.

٢- الحقيقة الثانية أن مصلحة كل فرد وفهمه للحياة داخل المجتمع قد تختلف عن مصلحة وفهم أي فرد آخر.

٣- الحقيقة الثالثة هي أن المجتمع المختلف الانتماءات الفكرية والمصلحية بحاجة إلى توحيد لهذه المصالح والأفكار، وإلا زالت عنه صفة المجتمع الواحد.

٤- الحقيقة الرابعة تكمن في انهيار التنظيم الاجتماعي والسياسي عند نفاد الوقت الملائم لاستحصال رضا معظم أفراد.

وهي أن المجتمع الذي نتكلم عنه هو ذلك للمجتمع الذي يمتلك تاريخاً طويلاً من أنظمة التجانس الاجتماعية والتاريخية والبيئية واللغوية والمصالح المشتركة.

فهما بلغت الآراء الفردية في من تناقض، نجد مستوى عام لا يحملها كلها في مستوى واحد، وإنما يجمعها في كتل كبيرة من الآراء والمذاهب، فالذين يتقاربون في انطباعاتهم وأحوال معيشتهم وثقافتهم لابد من تقاربهم ليشكلوا لهم كتلة، وعند هذا الحد لابد من ظهور تقارب وتفاعل بين الكتل أو الأحزاب أو المنظمات أو المجموعات. والمجتمع الصحيح هو المجتمع الذي يجد فراغاً لكل هذه الكتل مهما تضاربت مصالحها، وأختلفت وجهات نظرها.

والسؤال الثالث والمتعلق بالغاية من بحثنا هذا، ماهو الضاغط الرادع الذي يتواصل بضخ الشحنات الفكرية داخل الأنا للفرد لأحداث الموائمة بين انطباعاته وسلوكه مع كتلته ومع الكتل الأخرى من خلال كتلته التي أُنتمى إليها مع مجمل منظومة العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أفرزها المجتمع دون أن يحدث إرباك فيها وخاصة عند لجونه إلى استخدام العنف أو النفاق والكذب والكره والعداء والحب المبالغ به للسلطة والثروة. تلك العناصر التي تعمل على تشكيل ظواهر الانحرافات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مثل الفساد الإداري وظاهرة تزوير الانتخابات وظاهرة سرقة المال العام وظاهرة انتشار البطالة وجنوح الأحداث للجريمة... الخ.

فالمجتمعات العريقة في تنظيماتها القانونية والأصلحية وخاصة بعد أن رفدتها الثورة التكنولوجية والمعلوماتية بأدوات جديدة هي عاجزة عن المعالجة الكاملة أو الواسعة لظواهر الانحراف لسلوك وتفكير الفرد "الكائن الاجتماعي" فالقانون الوضعي والمستند إلى الرسائل السماوية أو تجارب الشعوب يقف إلى حدود الأنا للفرد الكامنة في أعماق تفكيره وضميره، وهو يعالج تفكير وسلوك الفرد عندما يمارس عملية التفاعل مع الأفراد.

نقول إذا كان هذا الحال في المجتمعات العريقة في استقرار نظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فكيف هو الحال في المجتمعات الباحثة على نظم جديدة بعد أن هدت نظمها الحالية، فهي بحاجة إلى هندسة تهذيب استثنائية قائمة على استسقاء القيم

والمثل الأخلاقية من منابعها الأصلية لأذخال الفرد في دائرة السيطرة المعبرة عن الصالح المشترك عند تفاعله مع الآخرين وهو الغاية من بحثنا هذا، ومبحثنا الأول سيتطرق إلى الوجيز عن طبيعة الحريات والحقوق الفردية، وأن الضمانات لتمتع الأفراد لهذه الحريات والحقوق في المبحث الثاني، أما الثالث فهو عن أهمية النظام الأخلاقي كضمانة مهمة دائمة بعد أن اتسعت ظاهرة عجز النظم القانونية الوضعية.

### التهذيب وفلسفة التربية:

التهذيب شأنه شأن المواضيع المهمة في المجتمعات الباحثة عن فلسفة محددة المعالم لتتطرق منها السياسات والنظريات والاستراتيجيات المعالجة والهادفة لأحداث التغيير المطلوب، فكما كان وما زال الاقتصاد والقضاء والتشريع والتعليم ينطلقون من فلسفة خاصة يؤمن بها المجتمع في زمن معين نجد أن التهذيب الفردي الذي يمارس من قبل العائلة النووية أو الجماعة الاجتماعية أو المجتمع ككل ينطلق دائماً من فلسفة محددة تعبر عن نفسها من خلال عقائد ومبادئ وتقاليد وأعراف تميز هذا المجتمع عن ذلك، وأقرب مجال للأنظار العام الفلسفي لحركة المجتمع وبنائه هو النظرية التربوية والتعليمية وبعدها للرأي المجتمعي العام والمزاج الشعبي والأخلاق الحميد والسلوك المرغوب. وإذا كانت الفلسفة التي تؤمن بها الأكثرية الغالبة من المجتمع تتطرق من عقائد دينية مذهبية، أو عقائد وثاوية تمجد التمحور حول العنصر نجد أن جميع هذه المفردات وبضمنها استراتيجية التهذيب تتناغم وتتسجم مع هذه العقائد والثوابت الفكرية.

وأذا كانت فلسفة المجتمع تتطرق من الأيمان بضرورة البناء الديمقراطي المجتمعي وهذه فرضيتنا هنا، فيكون التهذيب منطوقاً من جوهر هذا السياق وجوهر الديمقراطية الليبرالية هو مبدأ منح وحماية الحرية الفردية والحقوق المترتبة لها وعليها مع المجتمع، وبذلك تكون استراتيجية التهذيب للفرد عبارة عن عمليات متواصلة من التغافل الحسي الحركي الإجرائي في عقل وضمير الفرد لأحداث التوازن المطلوب بين سلوكه وتفكيره ومستلزمات البناء الديمقراطي في الهرم الاجتماعي، وميزة التهذيب المتغافل في هندسة البناء الاجتماعي القائم على الحريات الفردية والحريات العامة أنه يلتقي مع جميع المبادئ الأخلاقية المترابطة مع منظومة القيم الإنسانية لأغلب أمم المعمورة وبالذات تلك الأمم التي تملك بصمات حضارية واضحة في التاريخ الإنساني.

## المبحث الأول

## الحقوق الأساسية للفرد

هي الحقوق التي يجب أن يتمتع بها كل فرد، وهي أربعة أصناف، الأول الحقوق الشخصية والثاني الحقوق السياسية والثالث الحقوق الاقتصادية والرابع الحقوق الاجتماعية، فالأول نابع من حرية الفرد الشخصية، ولكنها حرية غير منعزلة وسلبية عن الحريات العامة للمجتمع<sup>١</sup> ولكنها ليست خاضعة لواجب المجتمع، إما الثاني والثالث والرابع فهي حقوق واجبة على المجتمع في توفيرها ورعايتها بالتعاون مع الفرد، لكي لا يفقد القدرة في التوجيه الصحيح كونه كائن اجتماعي يعمل لمنفعة ذاته ومنفعة المجتمع.

ولتقريب ذلك نستذكر المقولة الرائجة بأن الحياة "مسرحية" فنجد أن للفرد الممثل على المسرح لا يقول إلا ما يجب قوله ، ولا يتحرك إلا ما يجب أن يفعله ، لا يستطيع أن يخرج عن النص والأخراج المقرر من قبل المشرفين وأرادة وميول المشاهدين<sup>٢</sup> ولكن عندما يختلي مع ذاته يستطيع أن يمارس حريته وحقوقه الشخصية ورغباته في القول والحركة بالشكل المختلف عما كان يؤديه على المسرح، أي أن قوانين الملول الاجتماعي تقف عند سيادة الفرد على نفسه بعد تحديد السلوك الذي يخص الفرد قبل غيره ، والسلوك الذي يخص المجتمع قبل غيره.

## ١- الحقوق الشخصية:

هي تلك الحقوق التي تنشأ من ممارسة الفرد لميوله الشخصية دون أن تتصل اتصالاً وثيقاً بالمجتمع، بمعنى تلك التصرفات النابعة من الحقوق الفردية، وليست التصرفات نابعة من الحقوق التي تمس للغير، لذلك حتمت واقعة الحياة في المجتمع التي لاغناء عنها عن الفرد وجوب مراعاة قسط معين من السلوك أزاء الآخرين، وهذا السلوك الوجوبي يتضمن أمرين أولاً: عدم المساس بمصالح الآخرين والتي ضمنها القانون ورفعها الى مستوى الحقوق. وثانياً: تحمل الفرد نصيباً عادلاً من العمل والتضحية من أجل الدفاع عن المجتمع<sup>٣</sup> الذي يرباه .

فالرغبة في الملبس المعين، والتطعم بنوع معين دون سواه، والممكن وتصميمه وتأثيره وكيفية قضاء وقت الفراغ والزيارات والسفر والزواج... الخ، فلكل فرد ميول خاصة به في هذه المجالات لا يشاركه فيها فرد آخر، يمتاز بها وحده عن

<sup>١</sup> د. نعيم عطيه - النظرية العامة للحريات الفردية - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ ص ٣٢ .

<sup>٢</sup> هنري برجسون - الفكر الواقع المتحرك - ترجمة سامي الدويري - مطبعة الأنشاء دمشق ص ٢٣٦

<sup>٣</sup> د. نعيم عطيه - المصدر السابق ص ٩٤ .

بقية المجتمع تترك له خالصة لا يتدخل المجتمع فيها إلا إذا استعملها بشكل أذى به المجتمع أو غيره من الأفراد، على الرغم من وجود صعوبة في وضع حد فاصل يقال فيه إن وراء هذا الحد لا يؤدي المجتمع، وأمام هذا الحد يؤدي المجتمع، لكن المهم هو محاولة إعطاء كل فرد كامل حريته الشخصية فيما يخصه هو وحده، دون تدخل أي جهة من المجتمع، والقانون يقف عند عتبة الحقوق الفردية، ولكن من الذي يردع الفرد دون التجاوز على حقوق وأحرار الآخرين في الحالات التي لا يستطيع كشفها القانون والقائمون عليه بعد أن تشعبت مجالات النشاطات الحياتية وتعددت ولاستطيع القيود المتولدة عن النصوص التشريعية للحاق بها.

## ٢- الحقوق السياسية:

هي تلك الحقوق التي تتيح للفرد كمواطن أن يشترك في إبداء رأيه في جميع المسائل التي تهم الأفراد جميعاً كمواطنين، في أسلوب الحكم وأدارة الأمن والنشاط الاقتصادي الداخلي والخارجي والأنفاق العام ونظم القوانين والسياسات الصحية والتربوية والعلاقات الخارجية وماشاكل ذلك، وهي حقوق لا يمكن بغيرها أن يشعر الفرد بالمواطنة وأنه عنصر فاعل ومؤثر ومشارك في إدارة بلده. ومن الطبيعي في حالة عدم ممارسة هذه الحقوق أن يقول بأن حكومته تمثله أو تعمل لصالحه أو أن حريته غير مقيدة مادام غير قادر على إبداء رأيه والمشاركة في اختيار حكامه بصورة مباشرة أو غير للكتلة التي ينتمي إليها كالحزب أو الجمعية تجده يتهرب أو لا يؤمن بتأدية واجباته الوطنية لأنه لا يشعر بممارسة حقوقه، وقد يسكت عما تفرضه الحكومة سكوت العاجز هو وأقرانه، ولكن بمرور الوقت يشكل عدم الرضا الجماعي حالة شلل وتصدع للنظام الاجتماعي والسياسي الذي يعيش فيه الفرد.

بيد أن السؤال المهم هنا، هل يشكل تمتع الفرد بالحقوق السياسية حصول على حريته السياسية وضمان لها: هذا يعتمد على تناغم وأنسجام القوى السياسية والقوى الاقتصادية والثقافية في المجتمع وعلاقاتهم بالبناء السياسي وتقديمهم بمفاهيم القيم والأخلاق للصالح العام، لأننا نجد حالياً في معظم النظم الديمقراطية التي تعد الحقوق السياسية حقوقاً لا تنتقص لا توفر الممارسة لهذه الحقوق ضمانه كاملة للحرية السياسية، فالتصويت العام في الولايات المتحدة الأمريكية لم يجلب دائماً الحكومة التي يريدها الشعب، وقد أظهرت الدراسات أن معظم المواطنين المعروفين بأرائهم اليسارية لم يحصلوا على معاملة عادلة في المحاكم<sup>٤</sup> وأن التصويت والانتخابات في أغلب الدول النامية أو الحديثة بالاستقلال لم تجري بطرق عادلة تعبر عن الأرادة الحقيقية لميول ورغبات المواطنين فأساليب الضغط والأكراه والتزوير أصبحت ظاهرة في مثل هذه

<sup>٤</sup> هارولد ج. لاسكي - الحرية في الدولة الحديثة - ترجمة أحمد رضوان عز الدين دار الطليعة بيروت، ١٩٧٨، ص ١٣.



الانتخابات لتشويه الحق السياسي، حتى أضحت الحرية التي هي أساس الحياة المتمننة في أزمة عالمية لانتحسر أميالها في المجالات الاقتصادية والثقافية فحسب بل فسي أزمته الأخلاقية القيمة التي أبعدت الإنسان عن حقيقته الإنسان، ولهذا نجد العديد من الباحثين الاجتماعيين اليوم يؤشر بدقة إلى حاجة المجتمعات الإنسانية إلى هندسة اجتماعية قائمة على التهنيد الأخلاقي للفرد، بعد أن وجدوا ظهور حكومات منتخبة من قبل الأفراد تتم بغياب العلاقة المتبادلة والمتفاعلة بينها.

### الحقوق الاقتصادية:

هي حقوق واجبة على المجتمع توفرها والالتزام بها، فالفرد حق انتخاب العمل، حق حرية تعبيره، وحق حرية الاستهلاك وحق حرية الأذخار، وحق حرية الأراض، وحق حرية الاستثمار وحق حرية تنقل رأس المال، وحق حرية تأسيس الشركات والنشاطات الاقتصادية والصناعية والزراعية وهي حقوق مهمة جداً نالت اهتمام المعنيين بالمجتمعات الإنسانية لما لها من أهمية في تعايش أو تصارع طبقات المجتمع لذلك نجد المجتمعات المستقرة المتطورة هي تلك التي تمارس المراقبة الدائمة للمجتمع بهذه الحقوق لأن مظاهر العوز والقمع والاستغلال لها نتائج خطيرة قد تؤدي إلى حدوث الانقلابات البنوية لعموم المجتمع والنظام السياسي المنبثق عنه بسبب تدخل قوة تأثيرها في جميع مفاصل الحياة الاجتماعية، وتأتي هذه الظواهر المنحرفة بسبب الاختلال الوظيفي لهياكل المجتمع، فالهيكال الاقتصادي أكثر الهياكل البنوية تأثيراً بطبيعة السلطة وممارسات الحكومات التي قد تساعد أصحاب رؤوس الأموال على زيادة ثروتهم على حساب الحقوق الاقتصادية للفرد تحت شعارات تدعيم الاقتصاد الوطني وحرية النشاطات الخاصة التي تملك بمرور الوقت القابلية على التكيف مع الوضع القانوني والانتفاع عليه عليه لمصالحها المادية، لذلك نجد المجتمعات الإنسانية تسعى إلى أقرار الحقوق :

١. حق العمل المناسب للكفاءة والمؤهلات .
٢. حق استغلال الفرد لدخله .
٣. حق الفرص المتكافئة .
٤. حق التأمين ضد البطالة.
٥. حق الأجور العادلة.
٦. حق الاجازة والراحة.

فالمجتمعات التي لها باع طويل في تشريعات وتطبيقات آليات ضمان الحقوق الفردية تأن من انحراقات الفساد السياسي والجريمة والعنف التي تضرب في أعماق المجتمع للباكستاني والهندي والأيطالي والفرنسي والبرازيلي والأمريكي ومعظم هذه الدول المدعية حكم المجتمع نفسه بنفسه فيها على اعتبار أنها حققت توازن مستقر دائم في مكوناته الطبقية والعرقية والمذهبية والثقافية والاقتصادية للفرد التي تقلب حالة السكون المستقر الى حالات التوازن الاجتماعية والتي تؤدي الى تعديل أنماط الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمعات مما أدى بالكثير من الباحثين على اعتبار أن الثورة في الانقلابات الاجتماعية تبدأ عند الأنهار الكامل لممارسة الفرد حقوقه الاقتصادية<sup>٦</sup> وقد فات الكثيرين أثر التهذيب القيمي في هنة المجتمعات لحماية البنى الاجتماعية والاقتصادية بشرط عملها في بيئة ديمقراطية ذات نظم قانونية كاملة واضحة لمتطلبات حياة الفرد واستقرار ونمو المجتمع ونظام سياسي مستقر متأتي من انتخابات حقيقية صادقة ليحقق التلائم والتكيف مع ذاته ومع الفرد والمجتمع بجمع كئله.

### الحقوق الاجتماعية:

لم تكن تعد هذه الحقوق الى أمد قريب واجبا من واجبات المجتمع بل كانت تعتبر حقوقا للفرد لا على المجتمع بل على الفرد، أي من قبيل الحقوق الشخصية للفرد ، وعلى الفرد أن يقبل عليها أو ينصرف عنها كما يريد وكما تهيئه بيئته وظروفه ، ولكن تطور الأحوال في العالم وتشابك مصالحه واتصالاته والتفاعل السريع والكثيف بين المجتمعات الإنسانية بفضل ثورة المعلومات والاتصالات جعلت العالم كله ميدان تنافس شديد للمجتمعات لتثبيت وجودها وتقويعها ورقيعها الحضاري في وقت برزت ظواهر جنوح الفرد في توظيف القدرة المتنامية له ولبعض المتحالفين معه في الاستحواذ على حقوق الآخرين لأسباب مادية وأعتبارية مستغلين قصور النظم والتشكيلات القانونية والأخلاقية في خلق منظومه الأليات الرادعة والمانعة لمثل هذه الانحرافات التي أثرت في مستويات الحاجات الاجتماعية للفرد وأبرزها:

١. مستوى الحاجات العضوية في المأكل والملبس والجنس التي بدونها يتعرض الفرد لأختلال التوازن الداخلي.

٢. مستوى حاجات الأمن المادي والجسدي التي بدونها يتعرض الفرد الى الأخطار التي تهدد حياته وبقائه الخارجية أو تلك التي تهدد داخل جسمه جراء عجزه عن تلقي العلاج والطعام الصحي والوقاية من مخاطر البيئة التي تهدد استمرار أداء اعضاء جسمه بوظائفها الفايولوجية.

<sup>٦</sup> المصدر نفسه ص ٨١ .

٣. والثالثة مستوى الحاجة إلى التقرير النفسي والاعتباري الاجتماعي التي تؤدي إلى أن يكون الفرد موضع تقدير وقبول وأعتبار واحترام اجتماعي ذلك لأن التقدير الاجتماعي يعزز الشعور بالأمن ويدفع الفرد إلى تحقيق ذاته ومن ثم يدفعه إلى تحقيق الصورة التصورية له التي يرتضيها المجتمع.

الحقوق الاجتماعية Self-Actualization نابعة من حاجة الفرد المصيرية للانتماء داخل المجتمع لكونه كائن اجتماعي أولاً<sup>٧</sup> وأخيراً ولذلك جاءت الحريات Belong ingness الاجتماعية أساساً لهذه الحقوق، فلا يصلح أن يتدرك الشعب بالدول لمنع وضمان تمتع الأفراد بالحقوق الاجتماعية، بل عليه أن ينظم منح ومتابعة تمتع الأفراد بهذه الحقوق فالشعب الألماني والياباني والاسكتلندي لا يملكون تلك الدولة ذات السيادة الكاملة والقوة النافذة القادرة على منح وضمان تمتع الأفراد بهذه الحقوق بيد أن المجتمعات هناك كان لها الدور البارز في ذلك على الرغم من وجود قصور في المقوم الأخلاقي في التطبيق والأطوار، وأهم ما في الحقوق الاجتماعية حق التعليم والتنشئة: كان التعليم منذ أمد قريب يقتصر على الأفراد القادرين على تحمل أعباءه في النقل والمصاريف والتفرغ والرعاية وكانت هذه العوامل متوفرة في طبقة الأغنياء والأثرياء والنخبة من المجتمع أو العاملين في أمور السلطة وكان الفكر اليميني المتطرف يرى ذلك بحجة وأهمية مفادها العرق العنصري الراقي والأخلاقي بين أبناء الأثرياء وأبناء الفقراء. وأن التعليم يجب أن يكون حصراً لأبناء الأثرياء، وحقيقة أبناء الفقراء من البسطاء والفلاحين وسكان المستعمرات والخدم والحرفيين تجد في صمتهم وجهلهم خير معبر عنهم<sup>٨</sup> ولكن مع تطور الفكر الإنساني في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ركن هذه الترهات الخاوية. وأقرت الإنسانية حقوق الإنسان والحريات الفردية وما تمخض عنها من واجبات على المجتمعات لتضمن تمتع الأفراد بحق التعليم، فظهرت سياسات التعليم الأزماسي والمجاني والتعاوني وبرزت المنظمات والجمعيات المحلية والإقليمية والدولية التي تتسابق في رفد المتعلمين بشتى أنواع المساعدات وأنحصرت الأمية في عموم المعمورة، لسبب بسيط جداً هو أن المجتمع أي مجتمع تأكد بأنه لا يمكنه أن يصبح سليماً وقابلاً للنمو والتطور بدون الالتزام لضمان هذا الحق لاستحالة نموه وتطوره مع كم هائل من الجهلة الأميين<sup>٩</sup>.

<sup>٧</sup> لمزيد من المعلومات انظر - د. زيدان عبد الباقي - علم الاجتماع المهني - مطبعة المسعدة - القاهرة ١٩٧٦ ص ٧٩-٨١.

<sup>٨</sup> هارولد ج. لاسكي - م. د. ص ١٢٦.

<sup>٩</sup> سيمون دي بوفافور - واقع الفكر اليميني - ترجمة جورج طرابيشي - دار الطليعة بيروت - ١٩٨٠ ص ٦٥.

### واجب التربية والتعليم:

هو إعطاء الفرد كل أنواع النشاط التي تؤثر في مكونات الفرد وأستعداداته وسلوكه، ومصدر هذه الأنواع الشاعة في المنزل والحى والمدرسة والقوانين السائدة في الجمعيات والمنظمات الاجتماعية والمؤسسات التعليمية ونظام الحكم وأنماط المعيشة والتقاليد والعادات الاجتماعية النافعة المتفق عليها والذوق والعرف وأساليب العمل والتدرج فيها واتجاهاتها وأهدافها المتعلقة بتطور الحياة وعلى هذا الأساس فإن التربية تشمل كل فعل وأرشاد ينصب إلى تنشئة الفرد وأستعداداته ونواحي سلوكه بقصد توجيهها، وأهمية التهذيب هو موضوع بحثنا هذا إما التعليم فعلى المجتمع واجب نقل المعلومات المهمة والضرورية للفرد في مختلف مراحل حياته من المعلم داخل مؤسسة حكومية تابعة لأشراف المجتمع أو من رحم المجتمع<sup>10</sup> مباشرة بقصد أكسابه ظروف المعرفة، وقد تأخذ أشكالاً، ((التلمذة الصناعية-التلمذة الزراعية-التلمذة التجارية-التلمذة العلمية-التلمذة الأدبية-التلمذة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية... الخ)) ويجب توفر جهات معنية في مجالات الإرشاد والتدريب التعليمي لمعالجة الأنحرافات والتقصيرات في العملية التعليمية والتربوية حتى أصبحت واجبات التربية والتعليم مرادفة لعملية نمو وتطور المجتمع لدى الكثير من الباحثين.

### واجب العلاج والوقاية الصحيين:

ويدخل هذا الواجب في صلب الأعداد الفردي لخدمة نفسه والمجتمع، فلا يستطيع أحد أن يضمن حصوله على الأعداد السليم للفرد من الناحية العقلية والنفسية لحياة كريمة ويسهم في خدمة المجتمع دون التكامل الصحي والبدني، فالوقاية الصحية تأخذها أهمية أكبر لكون الفرد غير السليم صحياً سيكون عنصراً من عناصر المشكلة الواجب حلها والمساعدة في تخفيف آثارها، إما الفرد المعاقى فيكون عنصراً من عناصر الحل والقوى البشرية المستخدمة في معالجة مشاكل المجتمع وتطوره. وجميع هذه الحقوق أقرتها المجتمعات الإنسانية استناداً الى إيمانها بالحريات الفردية التي تعد فلسفة النظم الديمقراطية.

## المبحث الثاني

## في ضمان حقوق الفردية

دافع الباحثون لعقود طويلة عن فلسفتهم في ضرورة بناء ثلاثة أنظمة مختلفة الأول-يسمح بأخضاع للنشاطات الفردية للرقابة وتتخذ فيه السلطة موقف للتدخل والإشراف عند التمتع بالحقوق الفردية تحت ذريعة تجنب الانحراف قبل وقوعه، والثاني-يترك النشاط الفردي يعمل ولا يتدخل إلا لتوقيع الجزاء على انحرافات ذلك النشاط عن القوانين الوضعية المقررة.

ويقر بوجود نظام تربوي تعليمي تابع من المجتمع له وظائف مزدوجة قائمة على ترصين الأخلاق والضمير والعقل للفرد مع المتابعة المستمرة للضغط على السلطة في النقد بحقوق الأفراد والصالح العام والضغط المستمر لأحداث التجديد المستمر بموجب التطورات الاجتماعية والاقتصادية والمياسية بما ينسجم والمحافظة على جوهر الحقوق الفردية والحقوق العامة.

**القانون الوضعي:** أن كافة الضمانات التي ينظمها القانون الوضعي ((للسائير)) للحريات الفردية وللحقوق المترتبة على هذه الحريات إن هي إلا علاج للفرصة البدائية للفرد والمجتمع في مقاومة الطغيان بشئ الخيارات يضمنها خيار العنف واستخدام السلاح، وبذلك نستطيع أن نقول بأنه كلما كانت التشريعات شاملة وعميقة ولازمة ومتطورة وخاضعة للرقابة والتمحيص كلما سكنت المقاومة خلفها ورفقت، فالضمانات هي توفير الوسائل الوضعية لتمكين المواطن الذي مست حريته وحقوقه من الاعتراض على السلطة العامة للحصول على حقه بعد البديل السلمي ((المبدأ مقاومة الطغيان)).

## في طبيعة الضمانات الوضعية:

١. ضمانات في مواجهة الحاكمين. هي ليست ضمانات لشئ سلطة الدولة وتعطيها، بل للمشاركة معها ومساعدتها في أحداث التوازن الدقيق بين أعضاء الحقوق الفردية والحقوق العامة والاكتصاق الدائم مع الصالح المشترك وإعانتها في توفر وبقاء النفاهم وللانسجام مع السلطة القضائية والتشريعية وصندوق ورقة طروحات الرأي العام.

٢. الضمانات القضائية. ويقصد بها ضمان مبدأ المشروعية، وهي عبارة عن الوسائل التي يمكن للأفراد بمقتضاها أن يطرحوا اعتراضاتهم على إجراءات الحكومة أو الأفراد أو الجماعات المتعاضدين معهم أمام السلطة القضائية، وهذا يجعل ضرورة نقد المشروع أصلاً بالانترام بتكوين كافة الحريات الفردية

وحقوقها، مع وجود رقابة دستورية على القوانين الإدارية التي تتعارض بخصوص الدستور المقرر لحرية الأفراد.

٣. ضمانات الرأي العام. وهو الأجدى والأقوى فاعلية للحريات والحقوق الفردية بيد أن الرأي العام يحتاج إلى شعب يحمل فهمًا مشتركًا للصالح المشترك لجميع شرائحه وهو مبدأ مهم في الحياة المياسية، والمشاركة في الفهم أو التفاهم المستمر المتجدد للصالح المشترك لا تعني الاستفادة منه في الانتخابات وحصد الأصوات والدعاية بل تعني تطبيق مفرداته وحمايتها والذود عنها. وهي وظيفة سوسولوجية وأخلاقية قبل أن تكون سياسية.

فالرأي العام إرادة شعبية تحافظ على ما هو مرغوب فيه في الحدود الممكنة، أرادة مدركة لمسئولياتها، فاهمه لوظيفتها الاجتماعية التي جوهرها حماية النظام الاجتماعي من الخطر والازعاج، فهو رأي تكون من انضمام مواطنين أحرار في نيتهم ممارسة حريتهم الفكرية على خير وجه لتوجيه النشاط الحكومي نحو الخطوات الصائبة<sup>١١</sup>.

ولكن قد يسأل سأل عن مكانة الرأي العام إذا ما تدخل بعض الأفراد ممن يملكون القوة والنفوذ والمال ولهم تابعين مكرين وتحت سيطرتهم أجهزة إعلامية مؤثرة ويمارسون نشاطهم المخادع وسط جمهور جاهل ألي، هل سيكون الرأي العام في مثل هذه الظروف معبراً عن ((الأرادة الشعبية)) وداعماً للحقوق والحريات الفردية...؟

الجواب هنا أن نيل الحريات والحقوق الفردية ليست بالقضية الهيمنة وأن أصبحت الآن تمثل القاسم المشترك للمطالب الأولى للمجتمعات البشرية في عموم المعمورة مع وجود رؤية خاصة لكل شعب أطر بها هذه الحريات والحقوق بموجب موروثه الحضاري والقيمي والأخلاقي والديني بيد أن هذه الأطر لن تحدث فوارق جوهرية فيها، لذلك سعت المجتمعات وتسعى في البيئة الديمقراطية التي توفر العوامل التنويرية:

- العامل الأول: حرية نقل وتناقل المعلومات.
- العامل الثاني: التربية عن طريق المنظمات الاجتماعية على الحرية.
- العامل الثالث : الاستشارة الأوفى للشعب في استصدار القرارات ووضع آليات التنفيذ دون الاكتفاء بحق تمثيل الشعب بالانتخابات الحرة للسلطة التشريعية والتنفيذية.

- إعلان الحقوق للفردية: احتواء وثيقة الإعلان للحقوق في الدستور على كامل هذه الحقوق مع التركيز على قسميتها وعدم المساس بها<sup>١٢</sup>.
  - العقلانية والمنطقية: الإيمان بالعقلانية والواقعية والمنطقية يلزم إمكانيتها التطور والتقدم نحو عدالة شاملة بعيدة عن المثالية والفوغائية التي سرعان ما تخذل المجتمع نحو بلوغ أهدافه.
  - الهندسة الاجتماعية القائمة على التهذيب المستمر في احترام القوانين والالتزام بالتعاون الجماعي والقيم الأخلاقية للديانات في الصدق والأمانة والأخلاص والتسامح والعدل والمساواة والدفاع عن الحق والوطن...؟
٤. ضمانات الديمقراطية.

البيئة الحقيقية لتعبير عن حقيقة الإنسان هي الحضارة أو التراث الاجتماعي المنحدر تاريخياً عبر أجيال، وعلماء الأنسان لا يريدون هذه العلاقة الخاصة بين نوع محدد من أفراد المجتمع والحضارة، بل يقصدون علاقات أوسع وأكثر تفرغاً بين جميع سكان المجتمع وبين جميع عناصر التراث الفكري والروحي والمصاطفي والعلمي والاقتصادي للمجتمع، وبذلك تكون الديمقراطية الحقيقية هي الميخل الأسلم للنمو الاجتماعي نحو الأبداع الحضاري، فليس من الصواب عزل الجوانب المادية في المنجزات العظيمة التي تحققت في مجالات التكنولوجيا والعلوم والرخاء الاقتصادي والتقدم العمراني عن الجوانب المعنوية في توفر الحريات الفردية<sup>١٣</sup> والحقوق الفردية التي تمنح للفرد المجال والفرصة والأعداد لمساهمة في إنجازات الجوانب المادية والمعنوية للحضارة وثقافتها، وبذلك يكون تقييم الحرية الفردية وواجب المجتمع على حمايتها وتوفير حقوقها من خلال من خلال أثرها وتأثيرها بالمستوى الحضاري التي وصل إليه المجتمع أو يروم الوصول إليه، فواجب ضمان حرية الفرد وحقه في الأبداع الموسيقي والفني هو حرص على الأبداع الحضاري وهذا لا يتم إلا في البيئة الديمقراطية، وكذلك حرية وحق الأديب والمعلم والطبيب والمفكر والاقتصادي ورجل الدين ، فالديمقراطية خلال مفرداتها الآتية توفر هذه البيئة الضامنة لتألف المجتمع نحو المطالبة المستديمة لهذه الحقوق:

١. تحقيق حريات الأفراد ومصالحهم وحقوقهم.
٢. حماية هذه الحريات من تعسف السلطة.
٣. احترام الأصول التشريعية التي تحقق هذه الحماية.
٤. لتنظيم الديمقراطي للوظيفة الحكومية وحصر امتناع السلطة نحو القوة.

<sup>١٢</sup> المصدر نفسه ص ٢٨٨ .

<sup>١٣</sup> لمزيد من المعلومات انظر : دقيس النوري - الميخل الى علم الأنسان - جامعة بغداد- المكتبة الوطنية - ١٩٨٢ ص ٣١٦ - ٣١٧ .

## ٥. الفصل بين السلطات.

٦. حق الاقتراع والتصويت لأنتخاب ممثلي الشعب وسحب الثقة وأبدالهم<sup>١٤</sup>.

٧. حرية العمل السياسي والتعبير عن الرأي والمعتقد .

أما البيئة الاستبدادية سواء أكانت في أشكال لحكم الدكتاتوري لم الشمولي أم النخبوي أم العائلي أو الفتوي، فأنا نجد أن هذه الأشكال تجتهد في وضع المجتمع في بؤفة واحدة وتسعى إلى تكييفه قسراً في تنظيمات اجتماعية كما تبغي وبذلك تضيق حقوق الأفراد مع ضياع حقوق المجتمع وتتراجع الأبداعات الفردية نحو الرقي الحضاري، وعلى الرغم من هذا يجب أن لا نسلم بكفاية البيئة الديمقراطية في ضمان حقوق الأفراد وحررياتهم، بل نجد المجتمعات ومن خلال دراسة تجارب الأنظمة الديمقراطية الليبرالية الأخذة بالحرية والحقوق الفردية هنالك حاجة دائمة ومتطورة لاضمانات أخرى.

## ٥ - ضمانات حماية "الأمن":

إن الحفاظ على الأمن الداخلي والنظام والدفاع عنه يتم بتطبيق القوانين الملزمة التي تهيب للأفراد جواً ملائماً قائم على تمسك الفرد بالقانون والدفاع عنه لأنه يعبر عن مصلحته وعن منافعه وضمان مستقبله ومستقبل أطفاله، وبذلك يحدث التفاعل والترابط بين الأفراد والقانون والدولة في الدفاع عن النظام الاجتماعي للقائم لينتج الاستقرار مفتاح التطور. فالنظام القانوني والدستوري والاقتصادي والمالي الذي يعبر عن مصلحة شريحة واحدة من المجتمع، لا يدافع عنه سوى هذه الشريحة فقط، ويكون مستهدفاً دائماً من الشرائح الأخرى، وقد يصل الأمر إلى تصدع مفهوم المواطن عندما يتعرض هذا النظام إلى اعتداء خارجي، فنجد الشرائح الاجتماعية الأخرى غير الممثلة فيه والعاجزة عن نيل حقوقها إما تقف ساكنة محايدة، أو قد تساهم في أضعاف النظام القائم لمصلحة العدو أو التدخل الخارجي فنجد من يدافع عن الحريات والحقوق والنظام الاجتماعي السياسي المعبر عنهما هم الأفراد المستفيدين من هذه الحقوق والذين جاهداً من أجل الوصول إليها، والحروب حقيقة سابقة وجاهزة وسوف تستمر وكل الشعوب معرضة لها منذ وجدت الدولة المستقلة بيد أن الفرق بينها، أنه يوجد دولاً حاربت وانتصرت وخسرت لكنها لم تساهم في تطوير مجتمعاتها وفي صناعة التاريخ للحضارة لأنها بعيدة عن مثل وقيم الإنسانية والحرية، ويوجد أيضاً دول حاربت وانتصرت وخسرت لكنها ساهمت في حماية أنظمتها الاجتماعية القائمة على تمتع الأفراد بحقوقهم وحررياتهم فساهمت في صناعة التاريخ والحضارة

<sup>١٤</sup> لمزيد من المعلومات انظر د. معن خليل عمر ومليحه عوني القصير - المخل إلى علم الاجتماع مطبعة جامعة بغداد - ١٩٨١ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .



الأنسانية<sup>١٥</sup>، فالحرية كانت المطالب الأولى للمجتمعات الساعية للتحرر من قيود العبودية والاستبداد في ثورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن قبله المسيح (عليه السلام)، ونجدها كذلك في العصر الحديث الى نجد أن فينخته يصورها بنبع الحياة الأصلية وتطورها الناتج عن التسبب بروح الالتزام بالحرية<sup>١٦</sup> الفردية وحقوقها فهي التي أنقذت الشعب الألماني من آثار حربين عالميين مدمرتين في فترة زمنية تعتبر قياساً ١٩١٥ - ١٩٤٥ "لنعود ألمانيا بنظام اجتماعي يعتبر أكثر سلامه واستقرار من شعوب كانت بعيدة عن الآثار المدمرة للحربين .

### ضمنة الحماية الفكرية. الحريات الفردية وحقوقها:

يتمتع بها الفرد في مجتمع متناسق الأنظمة ومستقر، فالنظام السياسي الذي يمثل القواعد والأساليب المحددة للسلوك السياسي المتعلقة بممارسة السلطة ويعمل على أشباع حاجات النظم المترتبة بها الإدارية والدبلوماسية والعسكرية والأمنية والثقافية... الخ، والنظام الاقتصادي للمعايير المركبة المحددة للسلوك الاقتصادي للمجتمع في تحديد الملكية وتقديم الخدمات والسلع والتبادل والانتاج والاستهلاك والاستيراد والتصدير والأنظمة المالية المرتبطة له، وهناك للنظام العائلي الذي يعد الحلقة الأولى التي يمارس فيها الفرد وظيفته ككائن اجتماعي ويستعلم منها السلوك القيمي والجنسي والأنجاب والزواج والتشئة العائلية، وهناك للنظام الديني الذي يشبع الحاجات الروحية للأفراد وعلاقاتهم بالخالق عز وجل وتتصل بالمعتقدات والشعائر والعبادات التي تتضمن دائماً أنماطاً أخلاقية دينية مؤكدة على الخطأ والصواب والثواب والعقاب أي التي تطرح أوامر لعلاقة الفرد بالجماعة والمتضمنة لأمر شخصية تخص ذات الفرد كنظام الصلاة والعبادة والقرايين والدعاء، كل هذه الأنظمة تمثل وعاء حركه المجتمع فهي متناسقة ومتناغمة لأنها ليست بعيدة عن وقائع حياة الفرد<sup>١٧</sup> وتاريخه وموروثه المكتسب، فكل طارئ غريب عن هذه النظم يشكل عامل أرباك وعدم استقرار وإيقاف لحركة المجتمع نحو النمو والتطور، فمثلاً تغفل الحركات الفكرية المناهضة للمعتقدات الدينية لأي مجتمع تعد عامل أرباك لو تغفل عادات غريبة عن الذوق العام للمجتمع وخاصة التي تحدث لغطاً كبيراً وضرراً واضحاً في

<sup>١٥</sup> غامستون بوتول - سوسبيولوجيا السياسة - ترجمة نسيم نصر - منشورات عويدات - بيروت ١٩٧٤ .

<sup>١٦</sup> لمزيد من المطومات أنظر ي. غ. فينخته - خطبات الى الأمة الألمانية ترجمة سامي الجندي - دار الطليعة ببيروت - ١٩٧٩ ص ٢٤٩ .

<sup>١٧</sup> توفيق السيف - تفكير الاستبداد - بحث في مشروع دراسات للديمقراطية في البلدان العربية - مركز دراسات الوحدة العربية - ط١ بيروت ٢٠٠٥ ص ٢١٩ - ٢٣٢ .

أنظمة مكونات المجتمع في طرق التفكير والتصرف، لذلك نجد أن بيئة الاستبداد التي تشل حركة الأفراد والمجتمع في الدفاع عن نفسه آزاء ظواهر الاستعمار والهيمنة تخلف أزمات ثقافية واقتصادية وسياسية وليضا اجتماعية بسبب دخول العوامل الخارجية الحاملة معها صور لأفكار غريبة لتحل محل الأفكار المحلية والموضوعية وتساهم في عملية النهب التاريخي لثروات الشعوب التي تحدث الأزمات الاقتصادية الكارثية، وبذلك تكون العوامل الخارجية بمثابة تشويه للخريطة الذهنية التي رسمها الفرد في مجتمعه، ومن هنا جاءت ضمانات حرية الفرد وحقه هي واجب المجتمع المحلي والدولة الوطنية لأن المجتمعات الإنسانية تتبادل التعاون فيما بينها ضمن الأطار الإنساني، ولكن لا يوجد حالياً ذلك المجتمع الذي منح حريات وحقوقاً لمجتمع آخر غريب عنه وجوداً، ولذلك نجد مجتمعات عريقة في الحضارة والتراث الأخلاقي تستطيع أن تعمل أفكارها في بناء مقوم أخلاقي في حماية هذه الحقوق والحريات، بناءً يسد الفراغ الذي عجزت القوانين والمؤسسات الرسمية والاجتماعية من بنائه في أكبر وأعرق الدول الليبرالية، فهذه الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا<sup>١٨</sup> واللاتن تعد أن من أعرق الأنظمة الراحية لحريات الفرد وحقوقه تعاني من التصدع الاجتماعي جراء الأخطار المتصاعدة التي تهدد هذا النظام العريق بعد أن عجزت كافة نشاطاتها المتطورة في حماية هذا التآكل المتأني من سعي بعض أفراد المجتمع على استئلاب حريات وحقوق الجزء الآخر، ولعل السبب يكمن في مصادر القواعد السلوكية، فلا يكفي أن تكون القوانين الوضعية المصدر الأول لها الا بد أن نعود أدرجنا إلى مصادر قيمنا الروحية الأخلاقية في الرسائل السماوية والموروث الحضاري للأمم الحية الرائدة في التاريخ في إعطاء الأهمية القصوى للتهذيب الأخلاقي في عملية الهندسة الاجتماعية عند بناء المجتمع على دعائم الحريات والحقوق الفردية لمنع انتشار ظاهرة التفكك الأسري، وجنوح الأحداث نحو الجريمة، وزيادة معدلات الفقر والامية، وظواهر العنف والجريمة المنظمة، وتجارة الأعضاء البشرية والأطفال، وزيادة ظاهرة تعاطي الشباب للكحول والمخدرات، والأسطهاد الفكري والديني، والصراعات المذهبية والعنصرية... إلخ، كلها ظواهر تشير إلى غياب الآلية المسلمة في منح وحماية حرية الفرد وحقوقه، ناهيك عن زيادة تعرض الذات الفردية إلى ظواهر انحرافية كالحدس والغل والكراهية العدوانية وكان للنظرية المؤامراتية التي تحدث أحياناً بين الدول دخلت في عسمة مصغرة لتنتقل إلى داخل عقل وضمير الفرد ليمارس أشنع الحيل المحبوكه تجاه أخيه الفرد الآخر من أجل استئلاب حريته وحقوقه.

المبحث الثالث

<sup>18</sup> لمزيد من المعلومات انظر - فرانس فوكوياما - التصدع العظيم - ترجمة عزة حسين كبة - بيت الحكمة - بغداد - ٢٠٠٤ ص ص ٢٢٥ - ٢٥٤ .

### أثر التهذيب في عملية الهندسة الاجتماعية

أن النظام الديمقراطي القائم على بناء النظم والتشكيلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المترابطة التي ما لم تؤسس على قيم يجعلها الأفراد طوعاً لا تؤدي إلى نتائج تحقق قدراً متزايداً من المساواة والعدل والأنصاف، ويستبقى الديمقراطية فيها شكلاً أجوف ولعبة في يد القوي ضد الضعيف، المصلح ضد الأعزل، الفاسد ضد النزيه، المزور ضد العادل، الأمر الذي يجعل الارتداد عنها بسبب الأرباك والفوضى إلى نظم حكم شمولية سواء كانت عسكرية أم ثيوقراطية لم استبدادية مطلب الجماهير التائه عن الاستدلال إلى مواقعها في البناء الاجتماعي يستجيب لها المقامرون بعد الاتفاق على تقسيم المنافع مع القوى الخارجية لداعمه لهم<sup>19</sup> وتحدي البناء الاجتماعي هذا يدفعنا لتبني سياسة التهذيب للجهاز العصبي للفرد ليكون حجره سليمة وقوية ومتساوية الأبعاد في عملية هندسة البناء المجتمعي المستقر المنطور.

### في معنى التهذيب:

انتبه علماء الاجتماع وخاصة في علم الإنسان إلى تباين الظواهر الفكرية والسلوكية والفجوة الموجودة بين ما يقوله الفرد ككائن اجتماعي وما يفعله، أو بين الشعور والتأشور<sup>20</sup>، والأثر السلبي لهذا التباين في حركة الفرد داخل حقوقه الشخصية وحركته داخل حلقة حقوق الآخرين في النظام الاجتماعي الحضاري، وكان هنالك قصور في تكثيف الدراسة والبحث لأحتواء هذه الظاهرة بسبب أن دراسات علم الإنسان لم تتم نموها للموازي في الدراسات والبحوث التطبيقية لعلم الاجتماع السياسي وخاصة في المجتمعات النامية، ولهذا نجد أغفال المعنيين فيها لأهمية الدور السايكولوجي المتباين في مجمل القوانين الاجتماعية المعنية بتنظيم الهندسة الاجتماعية الديمقراطية والمسؤولية الأولى تقع على المجتمع الذي يقرر هذه السلوكيات والتصرفات المكتسبة منه ومن العائلة.

وبالذات تلك المتعلقة بالنظام السياسي، الناخب والمنتخب- دور الفرد في أمن الجماعة. احترام القوانين- التعاون- حقوق وواجبات المواطن... الخ.  
وعلى هذا النظام أن يتسم بالصفات :

١. نظام هدي له أهداف وغايات هي أشباع الفرد بالحاجات الاخلاقية العملية والعقلانية .

19 علي خليفة الكواري - مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية - بحث مقدم إلى جامعة أكسفورد في ٢٢ / ٨ / ٢٠٠٠ .

20 د. قيس النوري - المنخل إلى علم الإنسان - م. س. ذ. ص ٨٧ .

٢. نظام ثابت نسبياً، لياخذ التقليد المستمر حتى يشكل قانوناً أو عرفاً من جيل لجيل .

٣. نظام مركب ومتواصل للعلاقات الفردية والعلاقات الاجتماعية للنموذج السلوكي<sup>٢١</sup> فالفرد الملتزم بعدم التدخين في الأماكن العامة ويحترم أوامر شرطي المرور والأشارات المرورية هو الأقرب إلى الالتزام بقواعد وقوانين العملية الانتخابية أو القوانين الأمنية من ذلك للفرد الذي لا يعبر أدنى احترام لنفس القواعد، فالتهذيب السلوكي عملية تقوم بها الجماعة في داخل ذات الفرد لتغليب الطبيعة الخيرة فيه على الطبيعة الشريرة، تلك الطبيعة قابلة للتأسيـع والتجنز إذا ما أقتربت بمثلاتها في الجماعة لتشكل دوافع الانحراف السلوكي في مظاهر تزوير الأراء في الانتخابات والفساد الإداري والعنف والجريمة وفرض الأراء والعادات على الآخرين... الخ.

فعملية التهذيب هي تغذية للجهاز العصبي النفسي للفرد يأخذها مع اكتساب التعليم والثقافة والعادات والمشاركة في الأنظمة وتشريع وتنفيذ القوانين، فبدون التهذيب السلوكي لقيم الديمقراطية لا تحقق المصالحة والتناغم بين الفرد مهما كانت صفته والجماعة، بل سنحصل على فرد في حالة صراع مستمر مع ذاته ومع الآخرين يتصاعد وينخفض حسب درجات المنافع والخسائر، وستكون محاولات الإرشاد والتوجيه عاجزة عن عودته إلى الطريق السليم لأنها تعالجه وهو كائن اجتماعي مع الجماعة وليس الدخول في أعماقه الذاتية المكونه للأنثا.

### التهذيب النفسي:

هو هندسة السلوك الأخلاقي العملي ليتفق مع القيم المقررة للمجتمع، هي توازن بين وظائف الطب الجسماني لمعالجة العليل والطب النفسي لمعالجة الانحراف في التفكير والسلوك خارج نفس القيم، والتهذيب هو قمع أو دفع أو صرف أو تخفيف جنوح هو نفس الفرد أو شهوته أو ميوله نحو النفس العاقلة<sup>٢٢</sup> المحترمة والمملتزمة للعقد الذي ألتق عليه جميع الأفراد، والتهذيب عملية أجراءية حركية تهدف إلى الاستخدام العملي والعيني للعقل وليس الاكتفاء النظري، لأن العقل البشري فيه الحل ومنه المشكلة بعد أن أوضح العلم النفسي وجود أربعة أنماط للجهاز العصبي تحمل قابلية للتباين الأوسع وهي:

21 د. غسان حسين سالم - الأنا - والآخر - مجلة النفس والحياة - بغداد - العدد ١٨ لسنة ٢٠٠٤

ص ١٥.

22 د. الحارث عبد الحميد - طب الأخلاق وهندسة التهذيب النفس والحياة - بغداد الجادرية - العدد ١٨ ١٤ ٢٠٠٤ ص ٢٨ .

١. النمط الغضبي المثير.
  ٢. النمط النمووي الحيوي.
  ٣. النمط الكاتم المكافح.
  ٤. النمط السودلوي الضعيف للمعتدي.
- وعملية التهذيب تتم من خلال السيطرة على النشاط العصبي وأستقباله للمنبهات الحسية<sup>٢٣</sup> بتوازن الحركية عندما يكون كائن اجتماعي وسط الجماعة. Mobility.

#### التكيف السليم مع البيئة السليمة:

السلوك العام للكائن الحي يحقق تكيفه مع البيئة، والكائن الاجتماعي غير المذهب لا يستطيع تحقيق تكيفه المستمر والمتطور مع البيئة السليمة، فنحن نواجه في حياتنا منبهات لأجهزة الأستقبال الحسية عديدة، ولنا أستجابات محددة تجاهها، بعضها منها فورية سريعة والأخرى مؤجلة ومنها ما تأخذ الكبت داخل النفس، وتتسم هذه المنبهات بالقوة وأخرى بالضعف، ولكوننا نريد من الجهاز العصبي والنفسي للفرد أن يؤدي عمله على خير وجه بحيث يحقق ذلك التكيف السليم مع البيئة، ولكن كيف سيكون حال هذا التكيف مع وجود منبهات متناقضة متافرة في بيئة الكائن الاجتماعي قائمة على ثوابت عقائدية في العنصر والمذهب والسلوك والتفكير لا يستطيع ضمها أي عقد أو عهد اجتماعيين، في الحالة هذه لا يستطيع الجهاز العصبي للفرد أن يستدل إلى السلوك السليم للتكيف السليم بغياب المشترك العام المحدد للقيم الواجب الالتزام بها لتنظيم عملية البناء الاجتماعي، فالأرادة الجماعية ضرورة لعملية التهذيب صوب التكيف السليم، يتعلمها الفرد خلال نموه الجسدي والعقلي وسط الجماعة، وتؤدي الإرادة الجماعية ومجموعة القيم المشتركة عملية مهمة في تهذيب تصرفات وأراء الناخب والمختب، والعامل في الأجهزة القضائية والتشريعية والتنفيذية، وبذلك سنحصل على صورة حضارية لسوسيولوجيا السلطة والسياسة بفضل الصورة الحضارية للمجتمع السياسي وهي غاية التكيف السليم.

### التنذيب والأخلاق:

بقيت الأخلاق أسيرة البحث الفلسفي النظري تحت عناوين أهمها ((الخير - والفضيلة، التي ترى أن عمل الإنسان يكون أخلاقياً أن أمثل فيه لقاعدة سابقة الوجود أو لمثل أعلى النموذج السابق<sup>٢٤</sup> حتى طرح فلاسفة البحث مجموعة من ((الأخلاق الجاهزة)) ولكن معظم مفرداتها بعيدة عن إمكانية التطبيق، وظهر من يقول أن الأخلاق قد تختلف عن النظم المادي والتطور التكنولوجي كمثل الذي يقف أمام نماذج من الأطلال ويحصر عن تأخر "أخلاق" زمننا الحالي دون التأمل والبحث في أسباب قصور تفعيل الأخلاق وتهذيبها من الشوائب الفكرية والسلوكية الميتافيزيقية، وعصرنتها مع التغيير التكنولوجي الذي أزاح قسماً كبيراً من جهد العمل البدني المصني وبتجه باطراء نحو الاستخدام المباشر للقوة في تحديد المصادر المادية، فلن تلتفت أغلب المجتمعات النامية لهذا التغيير الكبير لأسباب موضوعية لتواكب عملياً قيام منظومة أخلاقية جديدة ليست بالضرورة أن تكون ناسخة لجميع مفردات المنظومة السابقة بل لتزيل أو تصحح تلك التي تتعارض مع الحريات والحقوق الفردية المنضبطة مع الحقوق والغايات العامة، فالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) أنشأ نبأً اجتماعياً قائماً على مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء بعد أن هذب منظومة القيم الأخلاقية السابقة للمسلمين قبل إسلامهم، فآزاح جزءاً منها وصحح جزءاً آخر وأقر جزءاً ثالثاً.

### منظمة الأخلاق الإسلامية :

إذا اختلف الفقهاء في تفاسير أحكام القرآن الكريم وقسم من أحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وظهرت بموجب ذلك المذاهب التي لا تحتمل كامل الانطباق ولكنها تحمل مشترك عام وهو منظومة من الطبايع والسلوكيات الأخلاقية المنسجمة مع جوهر المفاهيم الأخلاقية للحضارة الإنسانية والمجتمعات الإنسانية في عموم المعمورة، وبالذات في الرسالات السماوية المعروفة، وجميعها تتفق على جملة من المبادئ نجدها صالحة جداً في عملية التنذيب في البناء الاجتماعي للديمقراطية وهندسة مكوناته، وهي:

١. البشر كلهم على اختلاف شعوبهم ولوانهم متساوون.
٢. للإنسان كرامه خصه الله بها وليس لأحد الحط منها أو أنتهاك حرمتها.
٣. كل فرد من البشر مسؤول لأنه مخلوق ((كائن اجتماعي)) ولا يعفى من المسؤولية أحد سواء أكان حاكماً أم محكوماً.

٤. المسؤولية نوعان، أحدهما مسؤولية في الحياة الدنيا، للفرد مع ذاته ولل فرد مع الجماعة، المسؤولية الثانية فتقيمها في الحياة الآخرة<sup>٢٥</sup>.

وهذه المبادئ عظيمة لأنها توفر الرادع الروحي داخل عقل وضمير الفرد بالجزاء والثواب لتصرفاته وأفعاله وأفكاره، تعطي للرغبة الطوعية لتلقي عملية التهذيب التي تسعى إليها لهندسة المجتمع بصورة سليمة من خلال نظام الحريات الفردية وحقوقها وقد حدثنا التاريخ الإسلامي عن مدارس تهذيبية تعنى بالتنظيم الأخلاقي السلوكي بعد أن انحرف عن التغيير الطوعي الكامل للقرون الأولى الهجرية، فهذه مدرسة ((أخوان الصفا)) في العصر العباسي التي روجت إلى نبذ الخلافات المذهبية والاتجاه صوب المشترك الأخلاقي وأسست إليه في التربية الاجتماعية وربطه بالعقل والتهذيب بعد أن عدوا المعرفة نوراً باطنياً يفيض من داخل الذات، وأن التربية نمو يتحقق داخل المضمون الاجتماعي<sup>٢٦</sup> فكانت منهجية متلاقية مع ابن خلدون ومن تبعه من الباحثين في مسائل تنظيم المجتمعات نحو التطور.

وبذلك وجدت الأحكام الربانية حين ذكرت العقل ٥١٠\* إحدى وخمسين مرة في القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب أخيه ما يحب نفسه)) وغيرها الكثير في السياق نفسه ثم وجدت مدارس تتبنى نظم اجتماعية قائمة على فلسفة حركية أجرائية تخاطب عقل وضمير الفرد من أجل الحفاظ على السلوك السليم الذي لا يغبى حقوق الآخرين ويحقق بيئة نفسية قوامها العدل والمساواة والتضامن فهينت الرادع الروحي قبل الاعتماد على الرادع الجزائي للسلطة، بفضل للتهذيب المتواصل.

للحرية والتهذيب:

أخذ مصطلح الحرية البعد الاستقلالي الذي يعني أن يكون الإنسان حراً وأن يكون منقاداً وفق ما يملئ عليه العقل، وهكذا وجدت الحرية تعرف نفسها بأنها الاستقلالية، والفرد لكي يتمتع بحريته عليه أن يعترف بحرية الآخرين كما ينص عليه القانون والفرد الحر يطيع القانون الذي ساهم في تشريعه، فاكتمست الحرية البعد القانوني، ولكون الحرية بدال عن وجودها الدائم من خلال ممارسة الإرادة أصبحت

<sup>25</sup> لمزيد من المعلومات أنظر د. محمد عبدالله العربي - نظام الحكم في الإسلام - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الخرطوم - ١٩٦٨ ص ٨ - ٩.

<sup>26</sup> لمزيد من المعلومات عن مدرسة أخوان الصفا - أنظر د. محمد جواد رضا - أئمة الفكر التربوي الإسلامي منشورات ذات السلاسل - الكويت - ١٩٨٩ ص ٩٣ - ٩٤.

صفة الاختيار الحر هي التعبير الفلسفي الذي يطلق على الحرية، وأرثقت هذه الممارسة إلى مرتبة المسؤولية فأصبح الفرد كائن اجتماعي محكوم بالحرية<sup>٢٧</sup>.

واليوم أصبحت الحرية ركيزة جميع النظم الديمقراطية بعد أن ناضل الأفراد من أجلها قرون عديدة، ليكونوا عقداً منظماً بينهم ينالون من مضامينه حرياتهم مقابل تنازلهم عن المطلق من هذه الحريات من أجل تمتع الآخرين بعين الحريات. ولذلك لا توجد حريات فردية مطلقة لأنها محدودة بالارادة العامة، والمطلق الذي تنازل عنه الأفراد هو الذي يحمل الانحراف والشواذ لأنه متناقض في جوهره ولنفرض أنه انتهى شخصان شيئاً واحداً بعينه، فإن الصراع والقتال حاصل بينهما إذا ماتم إطلاق الحريات إلى خارج مدى الارادة العامة والحريات العامة، إذا التهذيب في الحرية ينصب بالتركيز على الفاصل لهذا المطلق الذي لا يحمله أي قانون مهما كان شاملاً أو واسعاً، لأن الحرية المسيطر عليها وفق القانون والأجراءات الاجتماعية الأخرى الطاعة لها طوعاً لا عبودية لأن الفرد يساهم في تشريع القوانين والسلطة التنفيذية لهذه القوانين سلطة منتخبة من قبل الأفراد، وإذا ما استمر التهذيب ضمن المبادئ في ترشيد الرغبة الذاتية لأحترام قوانين وقيم الحرية الواقعة ضمن الحد الفاصل للحرية الفردية، ومحاصرة كافة السلوكيات والأفكار الفردية الهادفة لتقويض المشترك العام والارادة الجماعية والحريات العامة، أي وجود تهذيب ذات شقين، شق يدفع الفرد للألتزام بنمط معين من الحرية الإيجابية، وشق يصرفه بعيداً عن نمط الحرية المطلقة المخلة بالبناء الاجتماعي الديمقراطي وبذلك يمسير المجتمع نحو الاستقرار والتطور بعيداً عن التعصب والتفكك وتصدعات الانحرافات السلوكية وفي الجانب السوسولوجي للسلطة التنفيذية والقضائية والتشريعية أوفي الجانب البنيوي للمجتمع<sup>٢٨</sup>.

#### وظيفة التهذيب في النظام الديمقراطي:

الديمقراطية ظاهرة اجتماعية سياسية لا تسمح للفرد العوي بالأنعزال، بل مصالحه تدفعه للتفاعل مع الجماعة، والديمقراطية تقر الحريات والحقوق الفردية بل هي قائمة عليها، وهذا يعني أن المجتمع في الدولة الديمقراطية أخذ للكثير من مسؤوليات الدولة الشمولية وبذلك أصبحت وظيفة التهذيب الديمقراطي القيمي تقع على المجتمع وبالقدر القليل الذي يتطرق بالمؤسسات التربوية والتنظيمية والصحية والاجتماعية والقانونية المرتبطة بمفاصل الدولة، فماذا يفعل المجتمع "المشروط بالتماسك والتمسك بخيار الديمقراطية".

٢٧ انظر هارفي بولايت - الحرية بين العقل والفقون - ترجمة خضير عباس - الثقافة الأجنبية -

بغداد - العدد الثاني لسنة ٢٠٠٦ ص ١٤٧ - ١٥٣ .

٢٨ د. محمد جواد رضا - م. س. د. ص ١٥٥ .



١. أمثلاك نظم وجمعيات ومراكز اجتماعية متغلطة في الهرم الاجتماعي مختصة حسب حاجات الأفراد والجماعات .
٢. أمثلاك المعرفة الشمولية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمحلية والدولية، وبالأذات تلك المتعلقة بالمعرفة العلمية التطبيقية المطلوبة مع التخصص الواسع في الجانب الموسيولوجي النفسي<sup>٢٩</sup>.

ولجبت هذه النظم:

١. جعل الشعور والأرادة الذاتية الطوعية هي محرك بالانتماء الاجتماعي للفرد.
  ٢. متابعة مشاكل الأفراد ومحاصرة المحتاجين منهم للمساعدات النفسية أو المادية بموجات من الرعاية والعطف منذ الولادة فترة رعاية الأم الحاصل، وحتى مراحل تطور نمو حتى للكهولة والموت، وهذا يساعد في زرع نيات الفكر السليم في جهازه العصبي، وللعرب المسلمين سابقة حضارية في منهجهم التربوي في تطور الإنسان حتى قبل الولادة عند رعاية الأم للحامل ((من النطفة والعلة والمضغة وما حصل له بعد ذلك)) الى كائن اجتماعي متميز من الحيوان بوجود فكره النظري المتطور وفكره التجريبي ليميز الصالح من الأفعال فينال عليه الثواب وأن مارس المنحرف من الأفعال نال عليها العقاب، وأخطر هذه المفاصد تلك التي تلحق الضرر بحرية وكرامة الآخرين.
  ٣. نشر الفكر المعياري والمستوى المعياري داخل المجتمع ليتمكن الفرد من اتخاذ القرار الصائب لممارسة حرياته وحقوقه عند الحد الذي يعرفه جيداً وهو الحد الذي يتعلق بحريات وحقوق الآخرين<sup>٣٠</sup>.
  ٤. ترسيخ مبدأ التبادلية في المنافع، فالفرد الذي لايساهم في تعزيز الأمن لا يحصل عليه، والفرد الذي لايساهم في المضامين التعاونية لا يحظى بالمساعدة والفرد الذي يشارك في عملية هم البناء الاجتماعي يعزل عنه... الخ.
  ٥. أمثلاك الأخصاء القيمي والسلوكي المهنذب للأفراد، لرفع الأفراد ذوي السلوك الحسن المقبول الى الأمام في مسائل الترشيح لمركز المسؤولية داخل المجتمع وسحب الأفراد من ذوي السلوك غير مقبول والمنحرف الى الأسفل بعيداً عن المكانة الاجتماعية المحترمة لتكوين عبرة وراذع للآخرين.
- وهذا ما يفسر المجتمع الساعي لهندسة اجتماعية سليمة الى مراكز بحثية وأحصائية ونفسية وديمقراطية لدراسة الفرد والجماعة ونشاطهم وتفاعلهم.

<sup>29</sup> عادل ظاهر - الأسس الفلسفية للعثمانية - دار المساقى بيروت ١٩٩٨ ص ٣٧٤ .  
<sup>30</sup> أنظر د. أحمد زايد - سيكولوجية العلاقات بين الجماعات - عالم المعرفة العدد ٣٢٦ لسنة ٢٠٠٦ ص ص ١٠٦ - ١٠٧ .

### في تحديثات استراتيجية التهذيب:

هناك صعوبات وتحديات تواجه عمليات التهذيب القيمي الديمقراطي للفرد،

أبرزها:

#### ١. مجموعة القيم للرسمية

في الاقتصاد والسياسة ومسائل الأمن القومي التي ألقت بظلالها وأربكت المجتمعات الإنسانية العريقة في تبني وتطبيق الديمقراطية ورعاية حريات وحقوق الأفراد من بلورة علاقات دولية متينة قائمه على مبادئ تضامنية في رعاية هذه الاستراتيجية، ولم تؤثر تحليلات السياسات الخارجية لهذه المجتمعات في التعامل الدولي وجود سياسة خارجية ذات سمات ليبرالية عالمية، بل أشرت بأن النشاط السياسي الخارجي كان دائماً أسيراً لمتطلبات الأمن القومي والاقتصاد الوطني وسياسة المحاور المستندة على دوافع الهيمنة والنفوذ، لذلك يلاحظ الباحثون وجود تهذيب داخلي للأفراد على احترام حريات وحقوق الأفراد بشكل طوعي، لكنهم يجدون أهمالاً واسعاً عند تعامل النظم السياسية لهذه المجتمعات مع المجتمعات الأخرى انعكس هذا على بروز مسببات أدت إلى ظواهر الكره والبغض حتى الاستخدام المفرط للعنف بين مجتمع يشعر بالغبين والأضطهاد تجاه مجتمع آخر متهم بممارسة الأذى والأضطهاد، وعلى الرغم من أننا نجد منظمات عالمية مستقلة قليلة صادقة في تضامنها مع كل الشعوب، غير أن ذلك لا يكفي لجعل الرهان على عمل استراتيجية التهذيب في إطار المحلي وضمن الكفاءة والأداء الداخليين ناخذ الأهمية الأولى في بناء تماسك اجتماعي دولي حول قيم مشتركة هو الخيار الأول.

#### ٢. ثقافة التعصب:

لثقافة التعصب التي تخاطب الجهاز العصبي للفرد جذور متأصلة تنتشر في الجماعات المتعصبة، والحقيقة أن التعصب ينمو في ظل ظروف اجتماعية ونفسية معينة، يعيشها أفرادها تعمل على أنتشار ثقافة التعصب وتشكل تحدياً لأستراتيجية التهذيب التي تسعى لتشكيل هوية اجتماعية جامعة لجميع الكتل البشرية المتميزة بعبادات وتقاليد وأفكار معينة.

#### أسباب توسع ظاهرة التعصب:

١. وجود اختلاف وتباين عرقي ومذهبي وثقافي بين الجماعات التي تكون للمجتمع.
٢. خوف الجماعات النافذة من تسلل أفراد ذات ميول ورغبات مختلفة عن ميولهم ورغباتهم مما يؤثر في أمتيازاتهم.
٣. التغيير السريع داخل المجتمع الذي يظهر أختلافاً ملموساً في مجموعة النظم والمؤسسات الاجتماعية والقيم التي يؤمن بها الفرد، يصاحب ذلك قلق

وعدم أتران والخوف من المجهول مما يدفع الأفراد إلى التعصب ضمن عصبية معينة.

٤. غياب لغة الحوار الحضاري والعقلي بين الجماعات.
٥. الجهل وعدم توفر كامل المعلومات المتعلقة بالجماعات الأخرى.
٦. توظيف القليات العرقية والمذهبية لأمر سياسية واقتصادية من قبل قوى خارجية بعيدة عن المجتمع.
٧. الدفاع عن بقاء العصبية خوفاً من التنويع والاحتواء والتهميش.
٨. غياب طروحات القيم المشتركة التي تشكل قبولاً عاماً مشتركاً.
٩. غياب سياسة تهذيب الأعلام نحو نبذ ثقافات التعصب، فقد وجد الباحثون أن

الأفراد الذين يتصفون Stereotypes

١٠. وجود الأفكار النمطية بالتفكير النمطي الجامد يميلون إلى التعصب التسلسلي وعدم التصامح مع السلالات أو الجماعات الأخرى<sup>٣١</sup>.

وكل هذه الأسباب وغيرها ممن تربك حركة المجتمع التعاونية وتقوض تماسكه تدفعنا إلى حقيقة وهي ضرورة الأمان في الاستمرار لتبني استراتيجية التهذيب في ترسيخ القيم الديمقراطية الإنسانية المشتركة لضمانه لتمتع الأفراد بحرياتهم وحقوقهم وماعلى الدراسات الاجتماعية المتعلقة بالتصنيفات ومساائل الهوية والعلاقات المنتظمة أو غير المنتظمة الاجتماعية إلا الأقرار بذلك.

#### الخاتمة:

الشعب الذي يحدد خياره الحياتي بالديمقراطية، عليه أن يعلم أن لهذا الخيار مدلول بنيوي اجتماعي قائم على بناء ديمقراطي دعائمه الحريات والحقوق الفردية، والكتل التي تؤلف المجتمع الكامل، لا يكتفيها ادعاء الديمقراطية فقط، بل عليها الالتزام بأحترام القاسم المشترك لجميع الكتل في تفاعلهم وعلاقاتهم وهو مجموعة القيم الديمقراطية، وعكس ذلك سيتحول المجتمع إلى عصبية وثقافات متنافرة لارلاقة لها بالمجتمع الديمقراطي الموحد وليعلم للفرد الذي ينتمي إلى لية كتلة اجتماعية بأن الله سبحانه وتعالى منحهم حقوقاً طبيعية وكرم أنسانيتهم بها جميعاً، وأجتهدت المجتمعات الإنسانية لتطوير هذه الحقوق التي تخص الإنسان بموجب المتغيرات الحياتية، فمنحته حريات وحقوق شخصية كونه كائن اجتماعي يتفاعل ويتعاون مع أخيه الإنسان الأخر، فعليه وعلى للفرد الأخر الأجتهد في لأحترام القوانين الوضعية التي ساهموا في تشريعها التي تمنح هذه الحريات والحقوق المترتبة عليها للأفراد، فإذا كان يجهل ذلك ويدعي الرغبة في الديمقراطية فعليه الخضوع لعملية تهذيب ينظمها المجتمع له ولمن

<sup>٣١</sup> أنظر د. أحمد زايد - سيكولوجية العلاقات بين الجماعات م. س. ذ. ص ص ٨٢ - ٨٣ .

مازال يدور ضمن ثقافة التعصب لكتله وأذا رفض عليه التوجه برغبته في نظام شمولي أو استبدادي أو ملكي أو أي نظام بعيداً عن مسميات الديمقراطية الحقيقية، لأن الديمقراطية الساعية لبناء مجتمع العدل والمساواة والحريات الفردية والعلامة لها قيمة خاصة بها تسعى دائماً لتحقيق هدفين أساسيين أولهما: سلامة هندسة البناء المجتمعي الديمقراطي والمحافظة عليه وتطويره، وثانيهما: ضمان تمتع الأفراد بحرياتهم وحقوقهم.

ولصعوبة الحصول على كامل الضمان من خلال تطبيقات القوانين والأنظمة الوضعية لسرعة المتغيرات والتعقيدات الحياتية التي لا تستطيع النفاذ إلى الأجهزة العصبية للأفراد والحصول على الالتزام الطوعي والروحي جاءت الحاجة إلى تبني استراتيجية تهيئية طويلة الأمد للحصول على عين الهدف.

## المجتمع الاسرائيلي "دراسة في النشأة والتكوين"

المدرس المساعد

سعد حميد ابراهيم<sup>(١)</sup>

نحاول في هذا البحث تقديم تحليل لطبيعة عناصر تكوين المجتمع الاسرائيلي والتفاعلات فيما بينهما. وانطلاقاً من حقيقة كون هذا المجتمع ذا تركيب خاص قائم على استقدام المهاجرين اليهود ومحاولة صهرهم في بوتقة واحدة اذا لابد من الاطلاع على تركيبة هذا المجتمع ودراسة بنيته الاجتماعية ويجري تناول ذلك من خلال مبحثين

المبحث الاول: من المجتمع التقليدي الى المجتمع الحديث .

المبحث الثاني: البنية الاجتماعية و(الدولة).

المبحث الاول

### من المجتمع التقليدي الى المجتمع الحديث

ان تكوين المجتمع الاسرائيلي في فلسطين جاء نتيجة لجهود الحركة الصهيونية التي ظهرت في اوربا الشرقية والوسطى وذلك في اواخر القرن التاسع عشر. والتي زعمت ان الحياة في ظل المجتمعات الاوربية الحديثة من شأنها ان تجعل اليهود يتمزقون بين المسحق الروحي والحضاري الذي سيتربت على نسف حياتهم التقليدية والمجتمعية تحت وطأت التنظيمات الاقتصادية والسياسية الحديثة عن طريق الانتماء التام في المجتمع. ومن هنا زعمت الصهيونية انه في فلسطين فقط يمكن ان ينشأ مجتمع يهودي حديث.

هذه هي الفرضية التي يحاول هذا المبحث تناولها لتحليل عملياته انتقال الجماعات اليهودية من إطار الحياة التقليدية الذي عاشته في كنف مجتمعاتها الاصلية الى مرحلة التحديث التي شهنتها اوربا بدأ من القرن السادس عشر. ويجري البحث فيها على ضوء الخطوات الآتية:

- اولاً: السمات الاجتماعية للجماعات اليهودية في اوربا.
- ثانياً: السمات الاجتماعية العامة لليهود في الاقطار العربية.
- ثالثاً: الانتقال من المجتمع التقليدي الى الحديث.

(١) كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

## أولاً: السمات الاجتماعية العامة للجماعات اليهودية في أوروبا:

نشأت الصهيونية ونمت بين يهود روسيا وبولونيا وباقي دول أوروبا الشرقية. خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. حيث كانت تعيش آنذاك أقلية اليهود في العالم. فما هي أوضاع اليهود في هناك تلك الفترة؟ ان روسيا القيصرية. التي وجنت نفسها. بعد تقسيم بولونيا-عام ١٧٩٥ للمرة الثالثة بين جاراتها الثلاث روسيا وألمانيا والنمسا-تحكم مئات الآلاف من اليهود. وهي التي كانت تمنعهم. رسمياً على الأقل. من السكن في مناطق معينة فيها. اختطت لنفسها طرقاً لتعامل معهم. تختلف عن تلك التي تتبعها أوروبا الغربية. وكان أول واهم اجراء اتخذته في هذا المجال منع اليهود الذين كانوا يعيشون على الراضي البولونية التي ضمت لها. من ترك مناطقهم الأصلية. والانتقال للعيش في مناطق أخرى من رسيا. واجبرتهم على البقاء في تلك المناطق. فخلقت بذلك ما عرف فيما بعد باسم "منطقة الاستيطان" التي رسمت حدودها نهائياً عام ١٧٩٥. وبقيت قائمه لمدة ١٢٢ سنة. حتى نشوب الثورة الروسية عام ١٩١٧. وسرعان ما تحولت "منطقة الاستيطان" هذه الى غيتو<sup>١</sup> حي مغلق تحيط به الجدران العالية والاسوار- الدخول والخروج منها محدوداً ان لم يكن معدوماً. تسكن فيه الاقلية الدينية اليهودية. وفي معظم الاحيان كان مفروض من قبل الحكام او من قبل الاغلبية على اليهود وخاصة في حالة يهود شرق أوروبا).

فالدين ورجاله وجنود في هذا الوضع ضمناً لعنم الانصهار والذوبان-ومن ثم-ضياح اليهودية ديناً وثقافة. كما كان العداء خارج الاسوار (سواء حقيقة او تصوراً) من اهم عوامل التضامن والجماعية داخل الاسوار. ومن اهم العوامل التي ربطت الفرد بالمجموع فالاول كان اعتماده كلياً على الثاني لتحقيق حاجاته المادية والاجتماعية والنفسية. وبلا المجموع لم يكن للفرد أي بديل غير عالم عدواني خارج الاسوار.

هذه الحقيقة كانت من اهم اسس للضبط الاجتماعي داخل "الغيتو"<sup>٢</sup>. ومما لا شك فيه ان هذه الظروف قد ساهمت في جعل اليهودي في ((الغيتو)) يعيش تحت وطأة بناء فوقه تراكم جيلاً بعد جيل. يؤكد له ان المتفوقين المتفردين المختارين وقد أدى وجود اليهودية داخل "الغيتو" الى تقوية للنزعة الانعزالية<sup>٣</sup>. ومما لا شك فيه أن هذه النزعة الانعزالية وقُتل عملية اندماج لليهود بمجتمعاتهم قد اعطت دفعاً تبريرياً كبيراً

<sup>١</sup> صبري جرجيس، تاريخ الصهيونية - ١٨٦٢- ١٩١٧. الجزء الاول. مركز الابحاث-منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت. ١٩٧٧. ص ٣١.

<sup>٢</sup> د. سعد الدين ابراهيم. في سيوسولوجية الصراع العربي-الاسرائيلي. دار الطليعة. بيروت ١٩٧٣. ص ١٠٤.

<sup>٣</sup> د. جورج كنعان. سقوط الامبراطورية الاسرائيلية. دار الطليعة. بيروت. ١٩٨٠. ص ٩٣.

للمسيحية . فقد صنعتت الحركات الدينية من حب اليهود "لارض اسرائيل". وصعدت من الكره للآخرين وزادت من حدة " النزعة القومية".

ومما يجب الاشارة اليه فان محاولات عديدة جرت لكسر هذه العزلة.. غير ان هذه المحاولات التي رمت الى "الاصلاح الديني" بين اليهود لم تتمكن من التأثير في جماهير اليهود. ولا في العناصر التقدمية منهم. كما ان فكرة اتخاذ "المعبد اليهودي"- الكنيس- اداة للثريوس لم تنجح بسبب اخفاق "الحاخامين الحكوميين" في ان يكونوا لانفسهم جنورا بين يهود روسيا . وقد فشلت ايضا المحاولات الرامية لاصلاح ((اليهودية)) وتكييفها لحاجات العصر. لان اغلبية اليهود شيوخا وشباناً-لم يكتروا لها كثيراً<sup>٤</sup>.

وما دعم هذه الانعزالية. وضع اليهود كاقلية اقتصادية تقوم باعمال تجارية ومالية معينة. حيث كان المجتمع الاوربي. مولفاً من طبقتين: النبلاء والاقطاعيون. الذين يملكون كل شيء. والحرفيون والفلاحون. الذين لا قدرة لهم على الاشتغال بالتجارة. ولا قدرة على الاطلاع بالوظائف المالية. التي احتكرها اليهود. والطبقتان كانتا بحاجة الى خدمات المرابي. والى البائع المتجول. والى المقرض والممول اليهودي. والى وكيل في المزارع الاقطاعية يجمع الابرادات والضرائب من الفلاحين. ولهذا ظل اليهود مسيطرين على الحياة الاقتصادية والشؤون التجارية والمالية في اوربا.

وكان هذا سببا اساسيا من اسباب العداء والكرهية بين الجاليات اليهودية وبين طبقتي النظام الاقطاعي ومن الطبيعي انه كلما ازداد التوتر والعداء في علاقات اليهود بالشعوب التي يعيشون معها. كلما ازدادوا محافظة على خصائصهم المميزة. وانعزاليهم. ومن ثم اعطى ذلك دفعا كبيرا للحركة الصهيونية.

لقد ظل اليهود يسيطرون على قطاعات واسعة من الاقتصاد. في اوربا الشرقية. حتى اواسط القرن التاسع عشر. حين بدأت التطورات الاقتصادية والاجتماعية في اوربا الغربية. تنسرب الى اوربا الشرقية. وتترك اصداءها في جميع مجالات الحياة فيها. وفي وقت بدأت فيه طبقة تجارية وصناعية محلية. تنمو باضطراب وسرعة وتعمل بنموها واتساعها على تقويض دعائم النظام للقطاعي السائد. أي تقويض دعائم النسيج الاجتماعي الذي كان اليهود يعيشون فيه. مما ادى

<sup>٤</sup> نجدة فتحى صفوت. ((اليهود في روسيا القيصرية من الانحماج الى القومية)). مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. بغداد. العدد ٤. ايلول ١٩٧٣. ص ١١٢ - ١١٣. ولتفاصيل هذه المحاولات انظر: المصدر نفسه. ص ١٠٩-١٢٠.

<sup>٥</sup> صبري جرجيس. المصدر السابق. ص ٩٥.

الى اقتلاعهم التكريجي من مواقعهم الاقتصادية والتقليدية. والى ضرب الوظيفة الاجتماعية التي كانوا يقومون بها . على مدى قرون<sup>٦</sup>.

وقد انت هذه التحولات الى حركة هجرة يهودية واسعة من اوربا الشرقية الى مناطق مختلفة من العالم. ويعزو بعضهم سبب ذلك الى العامل الاقتصادي والرغبة في تحسين الاوضاع الاقتصادية بانه كان الدافع الرئيسي والمباشر في هذه الهجرة وان اعمال العنف لم تؤدي الا دوراً ثانوياً جداً في دفع اليهود الى الهجرة وحجة اصحاب هذا الرأي هي. ان الهجرة اليهودية انطلقت منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر من المناطق الشمالية الغربية في روسيا القيصريّة. ليتوانيا ولاتفيا واستونيا والمناطق البولونية. وهي المناطق الجنوبية .لا بل يشار الى انه حدث تيار هجرة يهودية داخلي من المناطق الشمالية الى المناطق الجنوبية .فقد انطلق التجار نحو الجنوب فيما انطلق الحرفيون المهرة نحو اوربا وامريكا<sup>٧</sup>.

والمادة المعروفة عن هذا الموضوع تبرز. انه في الفترة ما بين ١٨٨١ و ١٩١٤ هاجر من روسيا وبولونيا نحو ٢,٦٥ مليون يهودي وتوجه نحو مليونين منهم الى الولايات المتحدة و ٣٥٠ ألفا الى اوربا الغربية و ٢٧٠ ألفا الى باقي بلدان العالم. و ٥٠ ألفا فقط الى فلسطين. نزح ما يقرب من نصفهم خلال الحرب العالمية الاولى<sup>٨</sup>.

ويوضح من ذلك. ان دوافع الهجرة كانت اساساً بسبب اوضاع اقتصادية ومعيشية سيئة صاحبها ضغوط اجتماعية (اعمال عنف) ولم تكن الدوافع الصهيونية السياسية الا عاملاً ثانوياً في عملية الهجرة تلك .ذلك لأن نسبة المهاجرين الى فلسطين وفق الارقام السابقة لا تتعدى ٢% من مجمل المهاجرين حينذاك. وعلى الرغم من ذلك فان الصهيونية قد استغللتها لتحقيق اهدافها فقد ارسى اولئك المهاجرين اسس المشروع الصهيوني في فلسطين.

اما فيما يتعلق باوضاع اليهود في اوربا الغربية فان السمة العامة الاساسية لحياتهم الاجتماعية ان اوضاعهم كانت مريحة وكان ذلك من اسباب التي انت الى عدم انتشار الصهيونية بينهم في مرحلة لاحقة على نطاق واسع وبقيت محصورة في قسم صغير منهم على الرغم من عدد من الزعماء والمفكرين الصهيونيين خرجوا من بينهم<sup>٩</sup>.

<sup>٦</sup> د . جورج كنعان. المصدر السابق . ص ٩٧.

<sup>٧</sup> سلافه حجاوي. اليهود السوفيت دراسة في الواقع الاجتماعي. مركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد. ١٩٨٠. ص ص ٥٠-٥١.

<sup>٨</sup> د . جورج كنعان . المصدر السابق . ص ٩٧.

حول تفاصيل اعمال العنف انظر : سلافه حجاوي . المصدر السابق . ص ص ٤٦- ٥٠ .

<sup>٩</sup> صبري جريس. المصدر السابق . ص ص ٢٥-٣٠ .



وكان من العوامل التي ساعدت على ذلك قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩. باعلانها لحقوق الانسان السياسية وحق للمواطن في اعتناق المذهب الديني الذي يشاء شريطة الا يقف ذلك حجر عثرة في ولائه للدولة والمجتمع الذي يعيش فيه وقد سرى مفعول تلك المبادئ التحريرية ونطاقها الانساني للشامل على اعضاء المجتمعات الاوربية من معتقي الديانة اليهودية ووضعهم على قدم المساواة مع غيرهم من المواطنين<sup>١٠</sup>.

ان حركة الانعتاق اتاحت لليهود فرصة للتصالح مع العالم والمضي في ممارسة الحقوق والواجبات المدنية التي لا تتعارض مع التراث الديني الذي شنبه العقل وعده مذهباً اخلاقياً سامياً في تعاليمه الجوهرية. ومع قبول اليهود بالمساواة الانسانية الشاملة وتخليهم عن اسطورة "الاختيار الالهي" والشعور الاستعلائي الضيق بانهم يختلفون عن سائر البشر بانهم يقفون في واد وباقى الانسانية في واد ويحتكرون الالام والمعاناة والتشرد لانفسهم. مع ذلك القبول. اخذت حركة الانصهار والذوبان تقوى وتنتشر وتعمل فعلها حتى انحسر سلطان التقليد الديني وبقيت معظم التصورات التقليدية حول طبيعة التاريخ اليهودية وهدفه ومغزاه<sup>١١</sup>.

واطلق على هذه الحركة (باليهودية الإصلاحية) والتي تجعل في مظاهر عديدة . اشترك في صياغتها . الحاخامات وكبار المفكرين اليهود. ويورد الأستاذ محمد محمود ربيع في مؤلفه (ازمة الفكر الصهيوني المعاصر) امثلة عديدة على ذلك: في عام ١٨١٨ اوصى الحاخام اسرائيل ياكوبسن في هامبورج باستعمال الارغن في المعبد واداء الاناشيد الدينية باللغة الالمانية . وسبق ذلك اجراء اخر نص على ان يحذف من جميع الصلوات كل ما ينكر اليهود بصهيون.. ثم قرر مؤتمر فرانكفورت عام ١٨٤٥ ازالة صلوات ((العودة الى ارض الاباء والاجداد واعادة تاسيس الدولة اليهودية)). ولعل من اصرح ما اتخذ من قرارات في هذا الشأن ما اقره المؤتمر ألحاخامي الخامس بمدينة بتسبورج عام ١٨٨٥ الذي يقول ((نحن لا نعتبر انفسنا امة بعد اليوم . بل جماعة دينية ولذا لا نتوقع عودة الى فلسطين او عبادة قربانية في ظل ابنا هارون. ولا استرجاع لأي من القوانين المتعلقة بالدولة اليهودية .. ان امريكا هي صهيوننا ))<sup>١٢</sup>.

<sup>١٠</sup> د. اسعد رزوق . نظرة في احزاب اسرائيل. مركز الابحث. منطقة التحرير الفلسطينية، بيروت . ١٩٦٦ . ص ٤٥ - ٤٦ .

<sup>١١</sup> د. اسعد رزوق . نظرة في احزاب اسرائيل. مركز الابحث . منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت ١٩٦٦ . ص ٤٥ - ٤٦ .

<sup>١٢</sup> د. محمد محمود ربيع . ازمة الفكر الصهيوني المعاصر . دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ . ص ١٤ - ١٦ .

ويبدو من دراسة البيئة الاجتماعية لليهود في اوربا الشرقية والغربية. ان الوعي بوجود الصلة بفلسطين ضعف كثيرا في بلدان اوربا الغربية. بينما كانت حالة الضعف والصعوبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي عانى منها يهود اوربا الشرقية وراء استجابتهم للفكرة الصهيونية بالدرجة الأساس.

إذا كانت الظروف الموضوعية المحيطة باليهود وأوضاعهم الذاتية. خلال القرن التاسع عشر في اوربا. من العوامل التي استفادة منها الصهيونية. فإن هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عنها ساهمت في تكوين الحركة الصهيونية من أبرزها:

- تبلور الفكر القومي في اوربا مرتبطة مع اتساع نفوذ الاستعمار الأوربي. فقد امتازت اوربا. خلال القرن التاسع عشر. بانتشار الفكرة القومية فيها وبنشوب العديد من الانتفاضات والثورات. ثم حصول عدد من شعوبها على استقلالها أو توحيدها وإقامة دولة على أساس قومي. ان تلك التطورات قد اثرت في الكثيرين من مفكري في غرب اوربا وشرقها. ان تآثرهم بتلك التطورات كان كبيرا. وان معظمهم ان لم يكن كلهم. اقترحوا حلول للمسألة اليهودية وفي ذهنهم تلك التي اتبعتها الشعوب الاربية<sup>13</sup>.

وما دامت الدول الاربية القائمة على اساس قومي. اقامت دول عديدة منها المستعمرات في اسيا وافريقيا وفرضت سيطرتها على شعوب تلك البلدان. فقد اثار ذلك احلام اليهود ودعاهم لطرح تساؤل عن امكانية اقامة كيان خاص بهم في تلك المناطق. لحل مشاكلهم الذاتية من جهة. وتجنب الازمات في علاقتهم مع الشعوب الاربية من جهة أخرى.

فعلى سبيل المثال. ليون بنسكر (١٨٣١-١٨٩١) الذي اعتنق اثر مذابيح ١٨٨١. النزعة القومية اليهودية قال: ((لا يمكن ان نحلم باعادة اسرائيل القديمة ولا يمكن ان نظل هناك ما نقطع ونهدم بقسوة من حياتنا السياسية. يجب الا يكون هدف جهودنا "الارض المقدسة بل ارضنا" ولا يلزمنا سوى ارض واسعة تضم اخواننا العائرين. ارض تبقى لنا ولا يستطيع أي سيد غريب ان يطردنا منها. وقد يمكن ان تصبح "الارض المقدسة" وطننا. وهذا خير. ولكن المهم قبل كل شيء ان نقرر أي بلد يمكن ولو جهه<sup>14</sup>)).

ان تشكيلة اسرائيل هو نتيجة لتطور يمكن ادراجه تماما في حركة التوسع الاربية الامريكية في القرنين التاسع عشر والعشرين للسيطرة لقتصاديا وسياسيا على الشعوب الاخرى. وضمن اطار المصالح المتبادلة اقتصاديا واستراتيجيا لذ قامت العديد

<sup>13</sup> صبري جريس . المصدر السابق . ص ٤٥ .

<sup>14</sup> مكسيم روتسن. اسرائيل واقع استعماري. ترجمة احسان الحصني. وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي. دمشق. د. ت. ص ٢٣ .

من الدول الاوربية الاستعمارية بتشجيع الحركة الصهيونية على انشاء ما يدعى (بالوطن القومي اليهودي) من امثلة هذه الدول. فرنسا والمانيا وبريطانيا. انطلاقاً من مصالحها الاستعمارية. علاوة على ذلك حاول للصهاينة انفسهم اثارة انتباه هذه القوى الاستعمارية على المكاسب التي من الممكن ان ينالوها في حالة مساندتهم لاقامة مثل هذا ((الوطن)).

ومن العلامات البارزة على الاصول الاستعمارية للحركة الصهيونية هي كون الصهيونية جاءت كتعبير عن المصالح المالية لكل من: الرأسماليين اليهود الكبار والبرجوازية اليهود العليا والمتوسطة. المصالح الاقتصادية للبرجوازية العليا الاوربية وقد كان ارتباط الاستعمار الصهيوني بالاستعمار العالمي وثيقاً جداً.<sup>15</sup>

ثانياً: السمات الاجتماعية العامة لليهود في الاقطار العربية:

لقد كانت حياة اليهود في البلاد العربية تختلف في كثير من النواحي عن تلك التي عاشها اليهود في اوربا داخل اطار (الغيتو) ذلك لان: هؤلاء اليهود الساميين الذين عاشوا في اطار الخلافة العربية ودولاتها. والتي امتدت من المحيط الاطلسي حتى الخليج العربي. وفي الاندلس (اسبانيا) لم يعد لهم ما يميزهم جوهرياً وقومياً. عن العرب. وفي اطار العروبة هذا كان يعيش ويتعاش ويتكلم وينتج مادياً وثقافياً المسلمون والمسيحيون واليهود والصابئة وغيرهم من اصحاب المذاهب والمعتقدات. والحضارة التي تجسدت في تراثنا العربي. والتي ساهمت في بناء عصر النهضة والبعث والاحياء في اوربا. انما هي حضارة عريقة اسلامية ساهم فيها كل هؤلاء.<sup>16</sup>

ان اية دراسة واعية لتاريخ اليهود في ظل الحضارة العربية. توضح حقيقة اساسية مفادها. ان اليهود على الرغم من قلتهم العددية كانوا يوماً جزءاً متمماً لسكان البلاد. امتزجوا في حياة البلاد العامة. باللغة والتقاليد والعادات واسلوب التفكير وظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وهذا امر لم يتوفر لليهود مع أي من الحضارات الاخرى لو مع أي من الشعوب الاخرى على مدى التاريخ اليهودي الطويل.<sup>17</sup>

ان هذه الخاصية يكاد يتفق عليها الباحثون في دراسة اوضاع اليهود في البلاد العربية. ومع ذلك. فقد حاول بعض الباحثين الغربيين ابراز الجوانب السلبية في

<sup>15</sup> حول العلاقة بين الحركة الاستعمارية والاوربية والحركة الصهيونية انظر: ستيفن هالبورك. الاصول الطبقيّة للعقيدة الصهيونية. مجلة الدراسات الفلسطينية. بغداد العدد الاول. المجلد ٣. كانون الثاني ١٩٧٤. ص ص ١٠٧-١٤١.

<sup>16</sup> محمد عسار. اسرائيل هل هي سامية. دار الكتب العربي. القاهرة. د. ت ص ٥٧.

<sup>17</sup> د. علي ابراهيم عيدة. وخيرية قاسمية. يهود البلاد العربية. مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت. ١٩٧١. ص ٧.

معاملة غير المسلمين خلال فترات قصيرة شاذة من التاريخ الاسلامي للبرهنة على اضطهاد الحكام المسلمين لاهل الذمة<sup>(٩)</sup>. غير ان هذه المحاولة تبدو محاولة ظالمة لانها تتجاوز قرونا من التسامح. وتركيز البحث على فترات قصيرة شاذة لا يمكن للباحث المصنف منها اتمونجا علما مطلقا<sup>١٨</sup>.

السمة الاخرى هي ان هجرة اليهود من الاقطار العربية الى فلسطين فكانت نتيجة لنشاط الحركة الصهيونية ولجوءها الى اعمال العنف لحث اليهود على الهجرة. فعلى سبيل المثال ان الوثائق التي عثرت عليها اثبتت وجود منظمة صهيونية للتجسس والارهاب في العراق هي التي كانت مسؤولة عن حوادث القاء القنابل على المؤسسات ومراكز التجمع اليهودية. هذا الحال ادى الى المبادرة بالهجرة الجماعية<sup>١٩</sup>. وفي هذا الجانب يمكن ايراد كلام لبن غوريون في هذا المعنى. فقد صرح عام ١٩٥٢ لصحيفة يهودية في نيويورك بالقول: ((لني لا اخجل من الاعتراف بأنني لو كنت املاك. ليس فقط الارادة بل القوة. لانتقيت مجموعة من الشباب الاقوياء والانكياء والمتواضعين والمخلصين لافكارنا. ولارسلتهم الى البلدان التي بالغ فيها اليهود بالقناعة الأتمة (يعني رفض الهجرة الى اسرائيل). وستكون مهمة هؤلاء الشباب ان يتكروا بصفة اناس غير يهود . ويرفعوا شعارات معاداة السامية.

لنني استطيع ان اضمن انه من ناحية تكفي المهاجرين الى اسرائيل من هذه البلدان سوف تكون النتائج اكبر بعشرات الالاف من المرات التي يحققها المبعوثون الذين يبشرون بمواعظ عديمة الجدوى))<sup>٢٠</sup>.

ومن ذلك يبدو ان معاداة السامية ليمت حركة ضد اليهود. بل هي سلاح في ايدي التنظيمات الصهيونية تشهره بوجه من يريدون ان ينالوا منها . والمتنبع لاستعمال الصهيونية لهذا المفهوم-معاداة السامية والاسامية-يخرج بنتيجة ((ان اللا

(٩) اهل الذمة : اصحاب الكتب السماوية من اليهود ونصارى وغيرهم في داخل الدولة الاسلامية . كانوا يتمتعون بحق الاحتفاظ بتنظيماتهم الدينية ونور عباداتهم وحق اقامة المراسيم والشعائر الدينية الخاصة بهم . على ان يدفع رجالهم القادرون على حمل السلاح فقط ضريبة طفيلة تسمى ( الجزية ) مقابل حماية اموالهم واعراضهم وممتلكاتهم من جهة ويعدم مساعدتهم لاعداء المسلمين من جهة اخرى

١٨ د . خلدون ناجي معروف " يهود العراق " في " يهود الاقطار العربية . سلسلة دراسات فلسطينية ٢٣ ، مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٢٥).

١٩ خلدون ناجي معروف الاقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ . ١٩٥٢ الدار العربية للطباعة والنشر بغداد ١٩٧٦ الجزء الثاني ص ١٦٩ . وايضا انظر : صادق حمن الموسداني . النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ / ١٩٥٢ منشورات وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٨٠ . ص ص ٢٢٢ - ٢٢٨

٢٠ نصر شمالي ، الفلاس النظرية اليهودية . منشورات فلسطين المحتلة . بيروت ١٩٨١ ص ١٥٤

سامية أصبحت تعني للصهيونية ولا شيء غير ذلك))<sup>٢١</sup> بمعنى إشارة بوجه أي اتجاه رافض او معادي او غير مؤيد للصهيونية كفكرة وكحركة . حيثما كان حتى ولو كان من داخل (إسرائيل).

**ثالثاً: الانتقال من المجتمع التقليدي الى التحديث:**

يتضح مما سبق فيما يتعلق بدراسة سمات الجماعات اليهودية في البلاد الاوربية (بيئة الحركة الصهيونية) ان هذه الجماعات اتسمت بحياتها الاجتماعية بأهم السمات العامة التي تميز للمجتمعات التقليدية التي يذكرها الباحثون في علم الاجتماع السياسي وهي:

١- المجتمع البدائي او التقليدي قلة في الانوار التي يقوم بها الافراد في مجتمعهم وينعدم فيها التخصص.

٢- انعزال عن العالم الخارجي .

٣- الاعتقاد في قيم وعادات موروثة ومن ثم عدم الرغبة في التجديد<sup>٢٢</sup>.

ولكن مع التغيرات التي حدثت في اوربا باتجاه مسار التحديث. الذي هو من الناحية التاريخية: عملية التحول في اتجاه الانساق الاقتصادية والاجتماعية . والسياسة في اوربا الغربية.. وامريكا الشمالية . ونمط تغيرها من الفترة من القرن السابع عشر حتى التاسع عشر<sup>٢٣</sup>. هذه التغيرات كان من شأنها. خلق شروط تشكيل الدولة- الامة الحديثة. والتي تبدو كما وصفها بارسونز. بمنزلة الشكل الأكثر اكتمالاً للنسق السياسي. والذي يمتاز بأكثر الشروط ملائمة لنشاطة السياسي الفعال. والذي يفترض. لتحقيق تحقيقاً كاملاً، الانطلاق الكامل للنمو الاقتصادي وعلمنة المجتمع. وفي مثل هذه الظروف تكون الدولة حاملة عدد من الموصفات التي يعدها بارسونز. ملائمة لها. انها لولى الوظائف.. ولم تفرض تاريخياً الا كحل لغياب اندماج المجتمع بكامله: علاوة على ذلك هي دولة الحق الناجم عن تكوين نسق من القوانين والذي يسند مشروعيتها الى مبدأ الشرعية . ولا يمكنها الا تكون اخيراً دولة ديمقراطية لا يمكنها التطور الا انطلاقاً من المؤسسة البرلمانية ومن مبدأ المواطنة وهما يظهران كليهما كشرطين مبرزين ضروريين لتمييز النسق السياسي عن باقي الانساق الاجتماعية<sup>٢٤</sup>.

21 عبد الوهاب الجبوري. الاسلامية في الفكر الصهيوني - الجور التاريخية والاهداف . دار الجاحظ للنشر . بغداد ١٩٨٢ ص ٦٨ .

22 د. حسان محمد شفيق العلي . الملاح العلمة لعلم الاجتماع السياسي . مطبعة جامعة بغداد . بغداد ١٩٨٢ ص ٢٦ .

23 اندرو ويستر ، مدخل الى علم اجتماع التنمية ، ترجمة د . عبد الهادي محمد والي و د. السيد عبد الحليم الزيت ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ١٢٠ .

24 برتران پادي بيار بير نبوم. سوسيولوجيا الدولة. ترجمة: جوزف عبد الله وجورج ابي صالح. مركز الاتماء القومي. بيروت. د. ت. ص ٣٠.

ومع هذه التطورات لم يعد في وسع الجماعات اليهودية في اوربا في هذه الفترة الاستمرار في الانماط التقليدية لحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فاتخذت هذه الجماعات مسارات عدة للتحويل في اطار حركة التحديث والعصرنة:

- ١- فئة الانتماجيين: وهي فئة ترى ان اليهودية دينانة كغيرها من الديانات ومن ثم لاعلاقة لها بقومية معينة أو حركة عنصرية. وان ولاء اليهودي من الناحية السياسية يجب ان يكون للدولة التي ينتمي اليها والمجتمع الذي يعيش فيه .
- ٢- فئة المطالبين بالقومية اليهودية في المنفى: وهي الفئة التي تتأذى بضرورة تكتل اليهود حينما وجدوا على اساس انهم اقلية قومية في المجتمع الذي يعيشون فيه.

٣- الفئة التي تقول بان العودة الى فلسطين هي عودة دينية ولا تتم الا بمشيئة ربانية بموجب القوانين والتعاليم الدينية<sup>٢٥</sup>.

ان جميع الاتجاهات السابقة اتجهت معارضة للصهيونية كانت ترى في الانتماج بمجتمعاتها حلا للمسألة لليهودية ودخولا في اطار المجتمع الحديث وعلى العكس من ذلك فان الحركة الصهيونية تبنت فكرة القومية اليهودية فقد اعلن المؤتمر الصهيوني الاول ١٨٩٧ ان اليهود يشكلون وحدة دينية عنصرية وانهم شعب بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وبالتالي ان لهم الحق في الحياة كامة على رقعة من الارض الخاصة بهم. وان الارض هي ارض الميعاد والاجداد فلسطين<sup>٢٦</sup>.

وبهذا فان الصهيونية اراحت بلوغ الحدثة ليس من خلال الانتماج الثلاثي للجماعات اليهودية في مجتمعاتها وانما بالعمل المنظم المرتبط بحركة التوسع الاستعمارية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولتحقيق هذه الغايات حدد المؤتمر الاول الوسائل الآتية: التنظيم (خلق الوعي القومي اليهودي وتعبئة الجهود اليهودية العالمية) والاستعمار (الهجرة وبناء المستعمرات) والدبلوماسية (المفاوضات). وماهي الا فترة وجيزة حتى اصبح للصهيونية منظماتها ومؤسساتها الفعالة الناشطة مثل. المؤتمر الصهيوني. واللجان التنفيذية والاستشارية \* والمصرف اليهودي للمستعمرات<sup>٢٧</sup> ١٨٩٨ "ولجنة الاستعمار" ١٨٩٨ "والصندوق القومي اليهودي" وكان الهدف من انشاء تلك المؤسسات هو تمويل عملية استعمار فلسطين وتنظيمها وربطها بالجهود الصهيونية لتنفيذ اهداف مؤتمر بال<sup>٢٧</sup>.

ومن كل ذلك يبدو واضحا ان المجتمع الاسرائيلي حصيلة تكوين استيطاني استعماري. أي انه مجتمع جديد والذي يعني انتقالا جماهيريا بقصد تأسيس نظام جديد

25 د. عبد الوهاب الكيالي . المظلم الصهيونية التوسعية . مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت . ١٩٦٦ . ص ٢٠-٢١ .

26 نفس المصدر . ص ٢٣ .

27 نفس المصدر . ص ٢٣-٢٤ .

في ارض لا ترتبط بذلك المجتمع الجماهيري برابطة الاستمرارية التاريخية<sup>(٢)</sup>..  
ويختلف مفهوم المجتمع الجديد عن مفهوم الدولة الجديدة والتي تعني ان مجتمعا سياسيا  
معينا لم يقدر له من قبل التكمال القومي والادارة الحكومية فيسعى من خلال البناء  
المخطط المصطنع الى وضع اصول ذلك الهيكل السياسي والاداري. بهذا المعنى  
نستطيع ان نتحدث عن الدول الجديدة العديدة التي عرفتها افريقيا مثلا عقب الحرب  
العالمية الثانية. المجتمع الاسرائيلي في منطقة الشرق الاوسط انموذج للمجتمع الجديد  
وليس انموذج للدولة الجديدة او على الاقل ان جمع بينهما فان الصفة الاولى تغلب  
على الصفة الثانية. ويتحكم في خصائص ولبعاد التطور السياسي العام لذلك  
المجتمع<sup>٢٨</sup>. ومما تجدر الاشارة اليه ان مرحلة التحول من المجتمع للتقليدي الى  
المجتمع الحديث القائم على اساس التكتيك الحديث هي في الواقع مرحلة مخاض وقلق  
اجتماعي ممتد لشعوب العالم الثالث وقد تقصر هذه المرحلة او تطول تبعاً لقدرة  
السلطة السياسية في البلاد على تحقيق التحول بصورة طبيعية . هذه المرحلة في جميع  
الاحوال مشحونة بالتوترات الاجتماعية العنيفة<sup>٢٩</sup>. هذا بالنسبة لشعوب العالم الثالث  
وهي بالتأكيد تمتلك المقومات اللازمة لتكوين الامة والاركان اللازمة لتكوين الدولة  
ومع ذلك تشهد توترات عنيفة فكيف للحال بالمجتمع الاسرائيلي الذي يفقد لهذه  
المقومات والاركان؟

وهذا التساؤل بدوره يقودنا الى تساؤل اخر مرتبط به. كيف يصل المجتمع  
الاسرائيلي الى حالة المجتمع الاجمالي والذي يحدد الاستاذ د. فرجيه مفهومه  
بالعناصر الثلاثة الآتية فهو يقضي اولاً بان ترتبط الفئات المتعددة المختلفة - الاسر -  
الجماعات المحلية. النقابات. الجمعيات. الاحزاب. للكنائس. الشلل والعصابات.. الخ -  
بعضها ببعض ضمن مجموعات اكثر اتساعاً. ويقضي ثانياً ان تكون هذه المجموعات  
مندمجة تماماً. بحيث يشعر افرادها فيما بينهم بتضامن عميق. يتجلى في تفاعلات  
تضاف الى تلك التي تجري ضمن نطاق للفئات الخاصة . ويقضي ثالثاً بان يكون  
التضامن والعلاقات بين اعضاء المجتمع الاجمالي قوى من علاقاته مع الخارج  
وتضامنه معه وكل هذه العناصر تنتج عن سمة الاساس وهي ان المجتمع الاجمالي  
يشكل المجموعة الثقافية الاساسية<sup>٣٠</sup>.

(٢) الاستمرارية التاريخية بمعنى استمرارية التفاعل في الارادة الحكومية المعبرة عن ذلك الاقليم .  
٢٨ د. حامد عبد الله ربيع . من يحكم في تل ابيب . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .  
١٩٧٥ . ص ٨٢-٨٣ .  
٢٩ د. صادق الاسود . علم الاجتماع السياسي - اسمه وابعاده . دار الحكمة للطباعة والنشر . بغداد .  
١٩٩٠ . ص ٢١٣ .

٣٠ موريس لوفرجيه . سوسيولوجيا السياسة . ترجمة هشام دياب . منشورات وزارة الثقافة  
والارشاد . دمشق . ١٩٨٠ . ص ٣٥-٣٦ .

إن حقيقة التطورات السياسية في المجتمع الاسرائيلي تكشف لنا عن سعي حثيث لخلق الاثويات ذات الفاعلية في تحقيق التلاحم والتكامل بين العناصر المتنافرة الداخلية في تكوينه.

### المبحث الثاني

#### البنية الاجتماعية والدولة

البنى الاجتماعية تعبر عن كيفية توزيع السكان الى طبقات اجتماعية والى جماعات اثنية والعلاقات فيما بينها فضلاً على علاقتها بالمجتمع الشامل<sup>٣١</sup>. إن دراسة البنية الاجتماعية للمجتمع الاسرائيلي تنطلق من حقيقة جوهرية هي ان الصفة الاساسية التي يمكن عدها مفتاحاً لفهم العديد من اوضاعه الاجتماعية الاقتصادية فضلاً على تفاعلاته السياسية تتمثل في انه تكوين استيطاني بمعنى انه تكون عن طريق هجرة جماعات بشرية يهودية متعددة عبر مدة من الزمان من مناطق جغرافية مختلفة الى ارض فلسطين ثم السيطرة السياسية عليها وعلى سكانها الاصليين بالقوة. خلافاً للتطور الطبيعي او للنشأة التاريخية التي تميز الغالبية العظمى من مجتمعات العالم المعاصر بموازرة وتأييد من القوى الاوربية الاستعمارية. هذه الهجرات درج الكتاب الى تقسيمها الى خمس موجات اساسية حتى عام

: ١٩٤٨

موجات الهجرة	السنوات	عدد المهاجرين
الهجرة الاولى	١٨٨٢-١٩٠٣	٢٠٠٠-٣٠٠٠
الهجرة الثانية	١٩٠٤-١٩١٤	٣٥٠٠٠-٤٠٠٠٠
الهجرة الثالثة	١٩١٩-١٩٢٣	٣٥٠٠٠
الهجرة الرابعة	١٩٢٤-١٩٣١	٨١٠٠٠
الهجرة الخامسة	١٩٣٢-١٩٤٨	٢٦٥٠٠٠ الى نهاية عام ١٩١٤

Eisenstadt S.N. Israeli Society. Weidenfeld and Nicolson. London 1967.p.II.

ان هذه الهجرات جميعاً كانت ذات طابع اوروبي . وقد ساهمت في تأسيس (الدولة) وخلق مؤسساتها السياسية والاقتصادية والثقافية. غير انه حدث تحول كبير في اعقاب تأسيس الدولة. اثر تدفق اليهود المهاجرين من لقطار اسيا وافريقيا. بخلفياتهم الاجتماعية والثقافية المختلفة كلياً عن سابقهم الاوربيين فبعد ان كانت نسبتهم لا تتجاوز ١٠% من اليهود في فلسطين ازدادت نسبتهم زيادة كبيرة جداً والجدول الآتي يوضح ذلك:

<sup>٣١</sup> د. صالح الاسود . المصدر السابق ص ١٠٧ .



## جدول رقم (٢)

١٩٨١	١٩٧٠	١٩٦٠	١٩٥٠	عولم
٣,٣٢٠,٣	٢,٥٨٢,٠	١,٩١١,٢	١,٢٠٣,٠	عدد اليهود في إسرائيل
٤٩,١	٤٥,٨	٣٧,٤	٢٦,٣	مواليد إسرائيل نسبة مئوية
٢٧,٠	٢٧,٩	٢٧,٦	٢٢,٢	مواليد آسيا وأفريقيا نسبة مئوية
٢٣,٩	٢٦,٣	٣٥,٠	٥١,٥	مواليد أوروبا وأمريكا نسبة مئوية

المصدر : غلبي المسكون والحرور . الكتاب السنوي ١٩٨٢ دار الجليل للنشر ، عمان ص ٤٨٠ .

ويتضح من هذه الإحصائيات أن الفترة بعد تأسيس (الدولة) بدأت تسجل نقصاً في المهاجرين الذين ينتمون إلى أوروبا وهو نقص يزداد تأكيداً في الأعوام اللاحقة فعقب أن كان المهاجرون الأوروبيون قبل عام ١٩٤٨ يمثلون ٩٠% فإذا بهم عام ١٩٥٠ ينتقصون إلى ٥١,٥% لينقصوا في عام ١٩٨١ إلى ٢٣,٩%. إزاء ذلك نجد الهجرة اليهودية الشرقية ترتفع من ١٠% قبل قيام الدولة حتى تصل إلى ٢٧% في عام ١٩٨١ وهذا يعني وزناً سكانياً يزيد على المهاجرين الأوروبيين مع ملاحظة أن أبناء اليهود الشرقيين يشكلون النسبة الأكبر من مواليد إسرائيل (الصابرا). ذلك لأن العائلة اليهودية الشرقية تتميز بزيادة معدلات الانجاب عن العائلة اليهودية الغربية. وبهذا فإن التكوين الديمغرافي للمجتمع الإسرائيلي يكشف عن وجود جماعتين أساسيتين تتم بينهما وفيها عملية للفاعل:

١- السكان الأصليون (الفلسطينيون العرب).

٢- المستوطنون اليهود . والذين بدورهم ينقسمون إلى العناصر الآتية:

أ- اليهود من الأصل الغربي (أوروبا وأمريكا).

ب- اليهود من الأصل الشرقي (مواليد بلدان آسيا وأفريقيا).

ج- الصابرا (مواليد إسرائيل).

وفي ضوء هذا التقسيم فإن المجتمع الإسرائيلي يشهد اتواعاً من الصراعات بين هذه الجماعات-لا تشهدا المجتمعات العادية على الأغلب-سيتم تناول هذه الصراعات على النحو الآتي:

أولاً: الصراع بين المستوطنين اليهود والفلسطينيين العرب.

ثانياً: المشكلة الانتية-الصراع بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين.

ثالثاً-صراع الأجيال.

أولاً - الصراع بين المستوطنين اليهود والفلسطينيين العرب

يعود هذا الصراع إلى حقيقة وجود تناقص جذري بين الطرفين. فيما يلاحظ بأن الهدف المسيطر من جانب المستوطنين اليهود على نوعية العلاقة مع الفلسطينيين هو ((تمكين قومية وثقافة وحضارة المستوطنين في صراعها مع قومية وثقافة وحضارة السكان الأصليين من استيعاب هذه الأخيرة. بمعنى تكويها وتحطيم مميزاتها

وتحقيق سيطرة الاولى عليها<sup>32</sup>) في اطار هذا الهدف تتحدد جميع السمات الاخرى للعلاقة بين الطرفين. وتعد العنصرية الصهيونية ابرزها حيث ان سياسة المستوطنين اليهود ازاء الفلسطينيين العرب يحكمها الطابع العنصري لان ((الصهيونية منذ بدايتها الاولى. انطلقت من مسمات النظر الى "اليهود" باعتبارهم جنساً اسماً وارقى من العرب. الذين فشلوا في استثمار بلادهم. وجاء اليهود بكل ما يملكون من مواهب فريدة لكي يقودهم في مدارج الرقي والتقدم))<sup>33</sup>.

من الناحية العملية ان السياسات العنصرية قد أدت بالنتيجة الى ان يصبح الفلسطينيون - السكان الاصليون - ليسوا مواطنين بالمعنى المألوف للكلمة بل انهم تحولوا الى مواطنين من الدرجة الثانية وحتى اقل من ذلك. وتبرز هذه الحقيقة في اغلب مجالات الحياة فعلى سبيل المثال فان النظام القانوني الاسرائيلي بما يتضمنه من تشريعات قانونية يدعم التمييز العنصري.

فقانون الجنسية الاسرائيلي الصادر عام ١٩٥٢ لا يضمن المساواة بين العرب واليهود فبينما يمكن لأي يهودي الحصول على الجنسية الإسرائيلية بمجرد وصوله الى (إسرائيل) كان على العربي (الفلسطيني) لكي يحصل على الجنسية ان يتوافر لديه عدد من الشروط الصعبة لكي يستطيع ان يقوم بمعاملات التجنس وان توفّر تلك الشروط لم يكن عملاً سهلاً بل في احيان كثيرة مستحيلاً. ومن هذا يتبين المضمون العنصري للقانون حيث ان الهدف الصهيوني واضح تماماً وهو "خلق دولة يهودية" لـ "الشعب اليهودي" في مثل هذه الدولة ستكون هناك طائفة من الحقوق والواجبات متعلقة "بالشعب اليهودي" مختلفة عن حقوق وواجبات أولئك الذين يقيمون خارج دائرة "الشعب اليهودي" ولو تساوى غير اليهود مع اليهود في "الدولة اليهودية" لفقدت مثل هذه (الدولة) مبرراً أساسياً<sup>34</sup>.

ومما لا شك فيه ان التعقيد القانوني للعنصرية يساهم في مجال التشنّث الاجتماعية في زرع الاتجاهات العنصرية والعصبية في وجدان واذهان اليهود وبالنتيجة يؤدي الى ديمومة الصراع الاجتماعي بين الطرفين.

ومما تجدر الإشارة إليه ان الفلسطينيين العرب في الاراضي المحتلة قبل عام ١٩٦٧ والذين يطلق الاسرائيليون عليهم (عرب إسرائيل) يتمتعون رسمياً بحقوق

32 د. مجدي حماد . النظام السياسي الاستيطاني - دراسة مقارنة اسرائيل وجنوب افريقيا . دار الوحدة . بيروت . ١٩٨١ . ص ١٠٥ .

33 السيد بسين " الصهيونية ايدولوجية عنصرية . مجلة قضايا عربية . العدد ٧-٨ . السنة الثالثة ١٩٧٧ . ص ٣٤ .

34 انيس فوزي قاسم . قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان - دراسة في القانونين المحلي والدولي . مركز الابحث - منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت . ١٩٧٢ . ص ٦١-٦٢ .

((المواطنة)). وعن هشاشة المواطنة يتحدث اوري افنيري وهو يهودي اسرئيلي بالقول: ((هم يتمتعون بعدد من الحقوق المدنية . ومنها حق الترشح الى المجلس النيابي. ولكن لا ينكر انهم يحرمون فعلاً ان لم يكن نظرياً . من العديد من حقوقهم الاساسية. فهم مرتبطون بالحكم العرفي<sup>(٢٦)</sup>. ويستعمل ضدهم تشريع استثنائي يعود الى السيطرة البريطانية. وحريتهم. في الواقع مقيدة بالاضافة الى انهم لا يشاركون فعلاً في حياة البلد)) ويعطى افنيري ذلك بالقول: ((في رأيي ان الصعوبة الاساسية تكمن في موقف النظام واقتناعه بان على اسرائيل ان تشكل دولة يهودية متجانسة . احادية القومية لا يمكن والحالة هذه اعتبار العرب مواطنين وانما شرّاً لا بد منه))<sup>(٢٧)</sup>.

ويزيد من تأكيد هذه الحقيقة. ان نظرة السلطات الاسرائيلية الى العرب (عرب اسرائيل) تقوم على اساس الافتراض بانهم غير مخلصين. وبناء على ذلك انهم لا يجندون في الجيش -عدا عن الدروز المفروضة عليهم الخدمة الاجبارية والبندو المسموح لهم التطوع في الجيش الدائم<sup>(٢٨)</sup> - وهم يخضعون لرقابة خفية متواصلة<sup>(٢٩)</sup>.

وبدون شك فان مثل هذه السياسات تجعل سمة العلاقة بين الجماعتين المستوطنين اليهود والعرب الفلسطينيين تنسم بالتناظر والصراع. خاصة اذا اضفنا الى ذلك المواقف العنصرية والعنوانية للجماعات اليهودية ضدهم وتوضح ذلك استطلاعات للرأي التي قام بها يهود اسرئيليون وذلك ان عينة من اليهود البالغين من سكان المدن عبر ٨٥% منهم بعدم الرغبة بالعيش بجوار دول عربية. وعينة اخرى من مستوطني تل ابيب عبر ٦٧% منهم بانهم لا يريدون العرب كجيران و ٨٥% لا يريدون تأجير غرفة لاي عربي والى حد كبير فان العرب ايضاً عبروا عن عدم رغبتهم بالعيش الوثيق مع اليهود اذ ان ٧٠% كانت قد عبرت عن عدم رغبتها في العيش في مبني شقق للسكن مع اليهود و ٥٨% عبرت عن عدم رغبتها في العيش في حي يهودي<sup>(٣٠)</sup> اذ الاغلبية الواسعة من الطرفين رفضت العيش جنباً الى جنب.

وقد افترق هذا الرفض المتبادل بوجود انغزالية بين الجماعتين على الصعيد الجغرافي السكاني . حيث ان ٨٥-٩٠% من العرب يعيشون في حوالي ١٥٠ قرية و ١٥٠ مدينة مسكونة من العرب فقط . وان ١٠% فقط من العرب يعيشون في مدن

(٢٦) افي رسمياً علم ١٩٦٦

٣٥ اوري افنيري . "حرب بين اخوة ساميين" . في : من الفكر الصهيوني المعاصر مركز الابحث - منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت . ١٩٦٨ . ص ٣٦٠ .

(٢٧) تجميع للسياسة الاستعمارية المعروفة (فرق تسد).

٣٦ سامي سموحة . " نظام الحكم في اسرائيل بعد جيل " . في الكيان الصهيوني عام ٢٠٠٠ . وكالة المنار للصحافة والنشر المحدودة . قبرص . ١٩٨٦ . ص ٥٩ .

٣٧ Smoocha.S ammy.Israel :Pluralism and conflict. Routledge &Kegan Paul .London .1978.p-200.

عربية - يهودية (مختلطة). هذه الاتعزالية مصاحبة لمعدل واطئ جداً من الزواج بين الجماعتين - مئة عربي فقط يتزوجون من نساء يهوديات كل سنة كمعدل. وعدد اقل بكثير من الرجال اليهود يتزوجون من نساء عربيات<sup>38</sup>.

فضلاً على ذلك فهناك الاختلافات الثقافية الكبيرة بين العرب واليهود في (اسرائيل) والتي تجعل من العلاقة بين الطرفين علاقة تصارع. فالعرب في (اسرائيل) مختلفين عن اليهود بشكل واضح في صميم الثقافة تماماً. انهم اصلاً يتكلمون اللغة العربية. قومياً عرب على اختلاف دياناتهم مسلمون ومسيحيون ودروز. الى حد كبير متجهين نحو العائلة الواسعة. ومبتعدين عن الايديولوجية الاساسية وضعت في اطار مؤسساتي ومن غير المتوقع ان تضعف كنتيجة لتحديث العرب او الحراك الاجتماعي او اية تطورات اخرى<sup>39</sup>.

المؤشرات السابقة تشير الى وجود تناقص اساسي بين المستوطنين اليهود والفلسطينيين العرب. يتمثل هدفه من جانب المستوطنين بالغاء قومية وثقافة وحضارة الفلسطينيين العرب وافتاء جميع خصائصها. وليس بتقديم اية صيغة جديدة تجمع بين مميزات الطرفين من خلال التفاعل السلمي.

وفي مثل هذا الوضع لا يمكن للفلسطينيين في (اسرائيل) ان يشاركوا بايجابية في بيئة يهودية صهيونية معادية. يشعرون انهم منفلون عنها عاطفياً وايدولوجياً ودينياً وعرقياً ولاحساسهم بانهم ينتمون الى الوطن العربي.

على الرغم من ان عدداً من التغييرات قد حدثت في البنية الاجتماعية والثقافية للاقلية العربية من مثل الزيادة في نمية ثنائية الثقافة وثنائية اللغة للعرب في (اسرائيل). والاندماج الكبير للعرب في الاقتصاد اليهودي والهستدروت. وتحضر اغلب القرى العربية. والدخول التدريجي للعرب في الهيئات العامة المختلفة وعلى اية حال فان هذه التطورات لا تملك وسائل لاضعاف الاختلاف الثقافي الواسع والدائم والاتصال الاجتماعي بين العرب واليهود<sup>40</sup>.

ولقد ادركت سلطات المستوطنين هذه الحقيقة فانتهجت سياسات من شأنها الحيلولة دون تبلور موقف ثوري<sup>(٤١)</sup>. تبذاه السكان الاصليون. ذات شقين: اولهما:

<sup>38</sup> Ben-Rafael.Eliezer.The Emergence of Ethnicity-Cultrural Groups and social conflict in Israel .Greenwood Press .London .P-207.

<sup>39</sup> Smootha .sammy .OP.Cit.PI 20.

<sup>40</sup> د . مجدي حامد ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ - ١٩٦ .

<sup>(٤١)</sup> اقام الفلسطينيون العرب بالعديد من المظاهرات المقاومة ضد الكيان الصهيوني سواء اكانت مقاومة سياسية او مسلحة . وحول تفاصيل ذلك انظر: حبيب قهوجي، عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨- ائتلاء وصمود، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية ، دمشق ، ١٩٧٠ .

للتقليل بقدر الامكان من الضغوط الواقعية على السكان الاصليين لتقليل التناقض الى ادنى الدرجات، وثانيهما: العمل على تدعيم سيطرتها بحيث تتأكد باستمرار قدرتها على احتواء واحباط أي بؤار للمقاومة، وبهذا للمعنى، فإن سياسة هذه السلطات على ذلك المستوى، هي سياسة وقائية او مانعة، أكثر منها علاجية..... وبصفة عامة يمكن الإشارة الى عدد من المناهج التي اتبعتها السلطات الاستيطانية بهدف استتباب سيطرتها على الفلسطينيين العرب:

١- منهج التهدة: ويقصد به تحقيق نوع من السلم والاستقرار والهدوء عبر مختلف الأنشطة الاقتصادية والمياسية بما يضمن أمن السيطرة الاستعمارية ويمنع حدوث اعمال مقاومة.

٢- منهج الاحتواء: ويقصد بذلك السيطرة على مشاعر الاحباط لدى السكان وتفرغ نوافع الرفض باستمرار، وتبرز هنا عمليات التثنية بمختلف الوسائل بناء جيل جديد من أبناء السكان الاصليين يتميز برابط الولاء اتجاه الدولة الاستيطانية ويندرج في هذه الاطار ايضا عمليات احتواء القيادات الوطنية (المأمونة الجانب).

٣- منهج الاستيعاب، وينطلق هذا المنهج اساساً من مفهوم "العمية القومية والثقافية" للسكان الاصليين كابتداء، ومن ثم إمكانية استيعابهم في فروع النشاط الاقتصادي أساساً كطبقة عمالية.

٤- منهج العنف: وينبني على العنف المباشر أي القمع والردع بهدف الإرهاب<sup>١</sup>. ويتضح من كل ذلك ان العلاقات بين الفلسطينيين العرب والمستوطنين اليهود لاتسير باتجاه الاندماج او التكامل، وإنما تتأكد حقيقتها للصراعية بشكل مستمر، لوجود تناقض جذري بين الطرفين.

ثانياً: المشكلة الاثنية، للصراع بين اليهود الغربيين وبين اليهود الشرقيين: تبرز هذه المشكلة باعتبارها إحدى المشكلات الهامة التي تواجه الدول الاستيطانية نظراً لطبيعتها نشأتها، حيث يشكل تكوينها الاجتماعي بصورة تضع العناصر المكونة لكل من هذه الدول في وضع التناقض مع بعضها البعض. وتعرف الجماعة الاثنية بأنها: (كيان جماعي، اعضاؤه يشتركون: (١) خصائص اساسية، كالدين، الاصل او التاريخ، اللغة أو العنصر، (٢) سمات ثقافية-اجتماعية خاصة، (٣) والوعي بأنهم يشكلون جماعة تختلف عن الآخرين المنتمين لنفس المكانة).

وفقا لهذا التعريف وهذه السمات فإن المجتمع الاسرائيلي باعتباره مجتمعا استيطانيا يضم جماعات اثنية كثيرة تكاد تصل بعدها الى عدد الدول التي قدم منها المهاجرون غير انه درج المهتمون بدراسة المجتمع الاسرائيلي الى تقسيمها الى جماعتين اساسيتين..

لحدهما: اليهود الغربيون (الاشكناز) والآخرى، اليهود الشرقيون (السفارديم) إن اليهود الغربيون، هو اصطلاح يستخدم الإشارة الى اليهود الذين هاجروا من العالم الغربي الى (اسرائيل) وبما إن أغليبيتهم من الاشكناز فان اصطلاح اليهود الغربيين اصبح مرادفا لاصطلاح الاشكناز، ولكن يظل اصطلاح اليهود الغربيين هو الاثني والاشمل لانه يشير الى انتماء هؤلاء اليهود العرقي والحضاري، بينما نجد ان اصطلاح الاشكناز تدخله ابعاد دينية تلمس معالمه وتجعل منه اداة غير دقيقة.... ولما اصطلاح اليهود الشرقيون (السفارديم)، فهو يشير لكل اليهود الذين ليسوا من اصل غربي، وقد أصبحت لفظة سفارد "مرادفة للفظه" شرقيين "لأن معظم لليهود الشرقيين يتبعون التقاليد السفاردي في العبادة ولا بد من استخدام اصطلاح (الشرقيون) باعتبار انه للكل الذي يضم السفارد كجزء، وباعتبار ان الاصطلاح شرقيين له مضمون طبقي-عرقي متين، على عكس اصطلاح سفارد الذي له مضمون ديني<sup>٤٢</sup> لتحليل ابعاد الشكل الاثنية في المجتمع الاسرائيلي سيجري التطرق أولا، الى الاختلافات الاثنية، ومن ثم الى العوامل المؤدية الى تعاظم هذه المشكلة:

أ. الاختلافات الاثنية:

تتحدد الاختلافات الاثنية الاساسية بين الجماعات اليهودية المهاجرة في (اسرائيل) والتي من شأنها ان توجد المشكلة الاثنية ويمكن ايرادها على النحو الآتي:

١. فروق حضارية وثقافية:

الجماعتان اليهوديتان الاساسيتان، من ناحية الاصول الحضاري والثقافي فأنهما ينتميان الى نمطين رئيسيين من انماط الحضارة والثقافة، هما كلا من الحضارة والثقافة الغربية والحضارة ان الجماعة اليهودية في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ كانت اصلا جماعة اوروبية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من خصائص حضارية وثقافية وتكنيكية. اقتصاد سوق حديث تخصص وتقسيم عمل. النظرة العلمية للامور. مستوى معيشي مرتفع نسبيا. عائلة صغيرة. مجتمع يحترم قيمة العمل وينظر دائما الى المستقبل. في حين ان موجة الهجرة اليهودية الضخمة. التي اعقبت عام ١٩٤٨ والتي ضاعفت عدد السكان في اربعة اعوام كانت اساسا من بلاد شرقية مختلفة (اليمن. العراق. ايران. تركيا. شمال افريقيا) وكان للمهاجرين اليهود كل صفات وطباع هذه البلاد من نظرة اجتماعية تقليدية. ولوضاع اقتصادية وثقافية مختلفة. ونقص مستوى المعيشة والرعاية للصحة وقلة الخبرة التقنية اللازمة لمجتمع معاصر. واخيرا عائلة كبيرة<sup>٤٣</sup>.

٤٢ عادل حامد الجابر، (واقع المجتمع الاسرائيلي) مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد العدد

٤٣-٤٢، تموز - ايلول - كانون الاول، ١٩٨١ ص ٤٥-٤٦.

٤٣ د. علي الدين هلال، تكوين اسرائيل، دراسة في اصول المجتمع الصهيوني دار الهلال، القاهرة ١٩٦٩، ص ٧١.

ان شعور اليهود الغربيين بالتفوق الحضاري ولد لديهم نظرة استعلاء اتجاه ابناء اليهود الشرقيين، ولكي يعززوا من هيمنتهم فقد اتبعو سياسة التفرغيب أي جعل (اسرائيل) بلدا اوروبيا عن طريق تحويل اليهود الشرقيين الى الثقافة الغربية وطمس كل ما يمت بصلة لهويتهم التاريخية او الثقافية ونزع كل صفة شرقية عنهم<sup>44</sup>.

هذه السياسة عززت من هيمنة الثقافة الغربية على باقي الثقافات، واصبحت ومن ثم الثقافة الاساسية للمجتمع، في حين تحول ثقافة اليهود الشرقيين الى ثقافة معاكسة بمعنى انها (تقوم على كون فئة من الناس تقع ضمن منظومة ثقافية ماء، تتبذ القيم الاساسية وتعارضها بقيم اخرى)<sup>45</sup>.

ويبدو من ذلك واضحا ان الاختلافات الحضارية والثقافية، شكلت عائقا امام تماسك المجتمع الاسرائيلي، ولذلك فالسلطات الاسرائيلية تسعى جاهدة لحل هذه المشكلة عن طريق السياسة والاستيعاب والتكامل.

## ٢. الاختلافات في التقاليد الدينية

على الرغم من ان المستوطنين ينتمون جميعا الى الديانة اليهودية. الا انهم فعلياً يتمايزون دينيا من نواحي عدة. فمن حيث بواغث الهجرة تحتل البواغث الدينية اهمية كبيرة لدى اليهود الشرقيين. اما بالنسبة للهجرات الاوروبية. فان الصهيونية هي جوهرها ايدولوجية علمانية. والاتجاهات والميول الدينية للتقليدية ظهرت للهجرات غير الاوروبية<sup>46</sup>.

فضلا على ذلك فان الاحكام والعادات الدينية تختلف من طائفة لاخرى ويختلف في ذلك ميل كثيرة. بما في ذلك اسلوب الصلاة. الاذان. الكشيتروت (الاطعمة المصعدة وفق الشرائع الدينية). ومراعاة السبت والعياد. وكذلك الكثير من المسموحات والممنوعات<sup>47</sup>.

وتزداد خطورة هذا التمايز خصوصا وانه يتخذ شكلا مؤسسيا. ويتضح ذلك في وجود حاخام اليهود الشرقيين وحاخام اليهود الغربيين ومجلس مستقل لكل طائفة<sup>48</sup>. ويكاد يجمع مؤرخو اليهود على ان الناحية الدينية هي اعظم واشد عند اليهود الشرقيين منها عند الغربيين من اليهود اصحاب النظرة العلمانية الذين لا يهتمون بالنواحي الدينية ولا يشددون على الطقوس والتقاليد ولا يخضعون الا للاساسية منها وهي الختان والزواج والدفن<sup>49</sup>.

ولم يكن ضروريا ان يكون جميع الشرقيين متمسكين بالدين ليقفوا ضد الغربيين غير المتدينين وانما كانت بعض هذه الخلافات تقوم كمظهر من مظاهر اثبات الذات. فعندما

<sup>44</sup> هذا شعبان صايغ، التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل، مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧١، ص ١٣٦.

<sup>45</sup> موريس موفرجيه ن المصدر السابق، ص ١٢٥.

<sup>46</sup> weller. lenodrd. sociology in israel. green wood press london 1974. p. 29.

<sup>47</sup> سامي سموحا "الطائفة والجيش في اسرائيل" الملفات. ع ٩ - مجلد الاول. كانون الاول ١٩٨٤. ص ٧٨١.

<sup>48</sup> د. مجدي حماد. المصدر السابق. ص ١١٦.

<sup>49</sup> هذا شعبان صايغ. المصدر السابق. ص ٥٩.

كان الشرقي يجابه ان يختار بين ان يكون متدينا وبين ان يكون غير متدين. اختار الامر الاول ليس فقط لرواسب دينية في نفسه. وانما لانه- بذلك كان يستطيع ان يبقى على الكثير من تراثه وتقاليد. واهم ما فيها الدين. ومن ثم بثبت نفسه في تيار المجتمع اليهودي الغربي الذي لا يحسب له حساباً<sup>50</sup>.

### ٣- الاختلاف العرقي:

ان لحد المفاهيم الاساسية التي قام عليها الفكر الصهيوني هي دعوى النقاء العنصري اليهودي. فقد كان موسى هيس اول من نادى بتحديد الهوية اليهودية على اساس بيولوجي او عنصري<sup>51</sup>. واكد هيس معتقده العرقي بقوله: ((ان العرق اليهودي من العروق الرئيسية في الجنس البشري. وقد حافظ هذا العرق على وحدته رغم التغيرات المناخية عليه كما حافظت السمة اليهودية على نقاوتها عبر العصور))<sup>52</sup>.

اما ثيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤) فلم تغب عن ذهنه الفكرة العنصرية اليهودية. ومحاولة تبني هوية عنصرية جماعية... لقد اكد هرتزل ((ان اليهود بقوا شعباً واحداً وعرقاً متميزاً)) ويبدو ايضا انه ربط بين العرقية اليهودية والتمييز القومي حينما اضاف ((ان قوميتهم المتميزة لا يمكن ولن يجب الانتقوض)) ولأجل ان يتوصل الى مقصده في الدعوة الى اقامة الدولة لليهودية اضاف بانه: ((لا يوجد غير حل واحد فقط للمسألة اليهودية هو. الدولة اليهودية))<sup>53</sup>.

ولكن مفهوم النقاء العنصري اليهودي يولجه انتقادات علمية عديدة اثبتت عدم صحة اعتبار اليهود عرقاً نقياً او لمة واحدة ولكنت وجود اختلاف وتباين واضح في الخصائص الجنسية للجماعة اليهودية المختلفة المنتشرة في انحاء العالم، ومن هذه الانتقادات:

- أ. اينت الابحث وللدراسات الانثروبولوجية وجود تباين واضح في المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة في جميع انحاء العالم، ومن اشهر هذه البحوث بحث الاستاذ جون كوماس استاذ التاريخ الطبيعى للجناس البشرية في الجامعة الوطنية في مكسيكو المعنون ((اسطورة للجنس اليهودي)) والذي اكد فيه بان: ((ليس هناك أي أساس للدعاء

<sup>50</sup> Selzer . Michael. The Aryanization of the Jewish state Black star Book .New York . 1967.PP. 99-100

<sup>51</sup> د. عبد الوهاب السيري . " اليهودي الخالص " . مجلة مركز الدراسات الفلسطينية . بغداد العدد ١٩ كانون اول ١٩٧٦ . ص ٣٠ .

<sup>52</sup> الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية . تحرير . انيس الصايغ وآخرون . مركز الابحث منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت - ١٩٧٠ . ص ٢٣ .

<sup>53</sup> د. جهاد تقي صادق . (( مفهوم النقاء العرقي اليهودي في الفكر الصهيوني )) . مجلة مركز الدراسات الفلسطينية . العدد ٤٠-٤١ . كانون الثاني . آذار -حزيران ١٩٨١ . ص ١٠١ .



لقتال بوجود الجنس اليهودي، فهجرة اليهود المستمرة خلال التاريخ وعلاقتهم بمختلف الأمم والشعوب قد اوجدت شيئا من التهجين<sup>٤٤</sup>.

ب. تاريخيا: هنالك ما يؤكد اعتناق اقوام مختلفة للديانة اليهودية في فترات التاريخية معينة . فقد حدث ان عرضت الديانة اليهودية على ملك الخزر، الملك بولان فوافقت له، واعتنقها، واجبر شعبه على اعتناق هذا الدين واصبحت اليهودية دين هذا الشعب الخزري<sup>٤٥</sup> من الناحية التاريخية ايضا، اذا اخذنا التوراة ذاتها: فوجدنا الدليل الكافي على عدم نفاء دم الاباء وهم انبياء اليهود الاولون. ان شمشون اليهودي تزوج من دليلة الفلسطينية كما يقول العهد القديم وفي سفر حسيقيال نقرأ (ملك، كانت حثية وعمورية كان ابوك). وتزوج يوسف من اسنات المصرية، لما موسى فقد تزوج من صفورة من مدائن صالح، اما الملك داود فقد كانت امه مؤابية وتزوج دلوود من اميرة جيشر، والملك سليمان كانت امه حثية. هذا الاختلاط مع الشعوب الاخرى تذكره التوراة وليس سواها<sup>٤٦</sup>.

ج. علاوة على ذلك هناك الكثير من الوقائع التي تحض دعوى النقاء اليهودي، لعل من الامثلة الواضحة عليها ، قضية يهود الفلاشا، اذ كيف يمكن التوفيق بين لون بشرتهم وبين الفكرة المتعارف عليها من ان جميع اليهود هم من اصل واحد، علاوة على ذلك فان حاخامات (اسرائيل) وبعض الدوائر اليهودية العلمية كانوا قد اعلنوا بان الفلاشا هم طائفة يهودية اخذت بالكثير من التعاليم غير اليهودية.. ولكنهم ليسو قبيلة يهودية<sup>٤٧</sup>.

ان هذا الموقف لم يتغير وحظي بالتأييد من الحكومة الاسرائيلية حتى منتصف السبعينات، حيث ادى الاحاح المتكرر لغرض تنظيم هجرة الفلاشة الى (اسرائيل) الى قيام الحاخام الاكبر لليهود السفارديم باصدار بيان يعترف فيه بان الفلاشة هم يهود من قبيلة دان.. ومضت سنتان كاملتان قبل ان يعبر الحاخام الاكبر لليهود الاشكناز عن رأي منافر لرأي غريمة. وعندئذ فقط وافقت وزارة الداخلية الاسرائيلية على تطبيق قانون العودة على الفلاشة<sup>٤٨</sup>.

ان الاختلاف العرقي<sup>(٤٩)</sup> بين اليهود بين اليهود المستوطنين يعد احد اوجه المشكلة الاثنية خصوصا اذا اقترن هذا الاختلاف بوجود تمييز واضح في المجتمع وفقا للاصول الحضارية والثقافية والعرقية.

<sup>٤٤</sup> مصطفى عبد العزيز ، اسرائيل ويهود العالم - دراسة سياسية قانونية ، مركز الابحاث - منظمة للتحرير الفلسطينية ببيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٤٤. وحول الكثير من التفاصيل عن بحث الاستاذ جوان كوماس انظر : المصدر نفسه ، ص ٤٣ - ٤٨ .

<sup>٤٥</sup> د. محمد عسرة ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

<sup>٤٦</sup> محمد الموعد ، ((حول المقولات الاساسية للايديولوجية الصهيونية نشرة الارض ، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية ، دمشق ، العدد الثالث ، اذار ١٩٨٨ ، ص ٢٧ .

<sup>٤٧</sup> ديفد كلسر ، الفلاشا يهود اثيوبيا ، منشورات دار الكرمل ، صان ، ١٩٨٥ ص ١١٢ .

<sup>٤٨</sup> نفس المصدر ، ص ١١٧ .

<sup>(٤٩)</sup> من الاختلافات الاساسية ايضا هي الاختلافات في اللغة حيث لكل جماعة يهودية لغة هي لغة البلد التي هاجرت منه .

## ب- العوامل المساعدة في تفافم المشكلة الاتنية:

١- ان اليهود الغربيين كانوا اصحاب الفكرة الصهيونية التي اقامت الدولة، وبخالطهم شعور بانها لهم وحدهم لانها من صنعهم، وان سائر اليهود يأكلون ثمار انتابهم بدون ان يكون لهم دور في انشاء الدولة، خاصة وان اعداد اليهود الشرقيين تزداد وتكاد تتفوق عليهم<sup>٥٩</sup>.

٢- الفروق الاقتصادية، فالتعويضات الالمانية في بداية الخمسينات، والمساعدات الامريكية المستمرة منذ قيام الكيان الصهيوني لدعم هذا الكيان، من نصيب خزينة وجيوب فئات واسعة من ابناء الاسكانز بحجة، تضررهم من ويلات الحرب العالمية الثانية، الامر الذي كان له الاثر في توسيع الهوية الاقتصادية بين ابناء الطوائف<sup>٦٠</sup> ولأن اليهود الغربيين كانوا قد اقاموا مؤسسات (الدولة) لذا كانت الغلبة لهم في كافة المواقع السياسية والاقتصادية. وقد عزز من مراكزهم هذه جملة الخصائص التي اتصف بها اليهود الشرقيون مثل المستوى الثقافي المنخفض، وغلبة المهن اليدوية او شبه اليدوية، تردى اوضاعهم الاقتصادية.... الخ

٣- تخوف المسؤولين في (اسرائيل) من ان تصبح بلدا شرقيا فقد جاء على لسان دافيد بن غوريون قوله: ((ان اليهود الشرقيين هم جزء من الشرق ومن الحضارة الشرقية. وان على اسرائيل-حسب رأيهم-ان تمتشرق وتصبح كيانا شرق اوسطيا حتى عام ٢٠٠٠ ولكننا لم نسمح بذلك لان اسرائيل جزء من الغرب وحضارته وثقافته واصله وجنسه<sup>٦١</sup>)). ان هذا الشعور بالخوف من جانب اليهود الغربيين اقترن بالشعور بالتفوق الحضاري والثقافي على اليهود الشرقيين. من الجانب الاخر ان اليهود الشرقيين رفضوا مصادرة ثقافتهم وتراثهم الماضي وهذا الاسرائيلي ارييه ايليايف يقول ((كان الشرقيون- لدى وصولهم الى اسرائيل محرومين تماما من المهارات التكنولوجية الحديثة لكنهم لم يكونوا محرومين من الثقافة. بل على العكس كانوا يحملون تقاليد وميراثا ثقافيا ومعايير كثيرة في مجال العلاقة الاسرية واحترام الاهل والعادات<sup>٦٢</sup> وان هدف الاسكانز من الربط بين التخلف الحضاري والتخلف الثقافي هو لغرض ((مصادرة ثقافة لليهود الشرقيين والجهل الشامل تقريبا بماضيهم))<sup>٦٣</sup>.

ويظهر مما سبق ذكره ان العلاقات الاجتماعية بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين اساسها التنافر اكثر منها للترابط. وان علاقة التنافر هذه ما زالت متأثرة بمورايست

٥٩ هذا شعبان صايغ، المصدر السابق، ص ٦٧.

٦٠ عادل حامد جابر، المصدر السابق ص ٤٧.

٦١ حلمي عبد لكريم الزغبى، المجتمع الصهيوني، تركيبة وتناقضاته واحتمالات تفجير الصراع مستقبلا، ندوة المجتمع الاسرائيلي، ١٩٨٥، مركز الدراسات الفلسطينية، ص ١٨.

٦٢ ارييه ايليايف: سقط الحجاب، في: اسرائيلي الثانية-المشكلة المفارقة، ترجمة فؤاد جنيد، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ص ١٨.

٦٣ نفيس المصدر، ص ٢٠.

الهجرة وتقاليد مجتمعات الاصل من حيث اثارها على المستوى الحضاري لكل جماعة من الجماعات ، فضلا على ذلك انعكاساتها على وجود ثقافات متعددة تتطوي على قيم ومعتقدات متباينة ومتنافسة. ولذلك فان المشكلة الاثنية ساهمت في خلق وظيفة هامة (للدولة) هي وظيفة الاستيعاب، مما تجدر الاشارة اليه ان هذا للوظيفة مرتبطة اساسا بالدولة ذات التكوين الاستيطاني علاوة على ذلك، فان التفاعل بين العوامل والاسباب التي كانت وراء المشكلة ادت الى بروز عدت من الازمات التي تعد من خصائص المجتمع الاستيطاني الاسرائيلي ومن ابرزها ازمة الهوية والاندماج.

ثالثا : الصابرا<sup>(٤)</sup> ( صراع الاجيال ) :

الصابرا : هم اليهود موليد فلسطين قبل وبعد قيام ( اسرائيل ) وهم من اصل مختلط شرقيين او غربيين<sup>(٥)</sup> ان جيل الصابرا بهذا المعنى يضم بين صفوفه فئات عمرية شتى ليست من الشباب في شيء ويخرج من بين تلك الصفوف فئات شبابية شتى كذلك<sup>(٦)</sup> ان جيل الصابرا يضم بين صفوفه شبوفا وكهولا، كما ان اطفال وشباب (اسرائيل) يضمون بين صفوفهم من لاينتمون لذلك الجيل ومن ثم فانه يمكن الحديث تحت عنوان الصابرا عن شباب اسرائيل، ولكن لايجوز باي حال ان يكون الحديث تحت ذلك العنوان عن الشباب الاسرائيلي<sup>(٧)</sup>.

وعن ظاهرة صراع الاجيال، فانها مشكلة تعرفها كل المجتمعات الانسانية حيث تثار مشكلة انماط العلاقات بين الاجيال المختلفة وبالذات في فترات التغير السياسي والاجتماعي والعلمي السريع فتزداد الهوة بين الاباء والابناء.

ولكن هذه المشكلة تأخذ شكلا مميزا في الكيانات الاستيطانية. والتي تبدو في العلاقة بين اولئك الذين هاجروا من اوطانهم التي ولدوا فيها الى وطن جديد. واولئك الذين ولدوا على ارض الكيان الاستيطاني بعد ذلك (في اسرائيل هم الذين يطلق عليهم الصابرا). اذ ينور بين هاتين الفئتين العديد من الاختلافات المتعلقة بالنظرة الى الذات (قضية الهوية والاجابة على السؤال من نحن؟) والنظرة الى الآخرين (السكان الاصليين والبيئة المحيطة بالكيان الاستيطاني والعالم الخارجي) وحول هذه الاختلافات تبرز العديد من انماط الصراع والتعاون بين الجماعتين<sup>(٨)</sup>.

وتجد ظاهرة صراع الاجيال في (اسرائيل) اساسها في كون "الصابرا": قد ولد على (ارض فلسطين) ولا يعرف له أي وطن اخر وارتباطه بهذه الارض ليس نتيجة اعتقاد

(٤) ان المعنى الحرفي لكلمة الصابرا في اللغة العبرية هو نبات التين الشوكي ( الصبار )

64 د. نظام محمود بركات ، التخبطة الحاضرة في اسرائيل ، منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٥٤ .

65 د. قنري حنفي ، دراسة في الشخصية الاسرائيلية الاشتراكية ، مطبعة جامعة عين شمس ، مصر ١٩٧٥ ، ص ١٠٢ .

66 نفس المصدر ، ص ١٠٣ .

67 د. علي الدين هلال، "في مفهوم الكيانات الاستيطانية" مجلة المستقبل العربي، العدد ١، السنة الاولى، مارس حزيران ١٩٧٨، ص ٩٢.

ايدولوجي او ايمان بالصهيونية ولكن ببساطة لانه ولد على سطح الارض. وهو لايعرف عن معاداة اليهودية والاسامية الا ما يقال له عنها فهو ولد في مجتمع اغليته يهودية ولم يولج هذه المعاداة ولذلك فليس لديه عقدة اضطهاد كالتى عند ابويه وهو لم يحس ابداً باحساس "الاقلية" الغيتو الذي عرفه ابواه من قبل... وامتداداً لذلك يقال ايضاً ان ارتباطات الصابرا العاطفية باليهود خارج (اسرائيل) اقل من ارتباطات المهاجر وانه لا تشغله كثيراً قضايا اليهود غير الاسرائيليين بنفس الدرجة التي تشغل ذهن اليهودي المهاجر. وكنتيجة لذلك اتهم الجيل الاول من الرواد الصهيونيين الصابرا بالانهيار الروحي والاخلاقي وانهم اقلية مثالية من جيل الرواد وانهم منغمسون في اللذات المادية وانهم ليسوا ملتزمين باهداف الصهيونية<sup>٦٨</sup>.

ولكن على الرغم من هذه الاختلافات بين جيل المهاجرين وجيل الصابرا. فان حركة الشباب الاسرائيلية لم تتجه ضد القيم التقليدية اوان تتال من المؤسسات السياسية التي تسيطر على ممارسة السلطة. ولعل تفسير ذلك ما قاله احد ابناء جيل الصابرا ((ان دولة اسرائيل محاطة بالاعداء الذين ينادون بتصفية الوجد الاسرائيلي لذلك فان الوحدة بالنسبة لبلد مثل بلدنا لا يدانيها شيء من الاهمية القصوى))<sup>٦٩</sup>.

لهذا الصراع بين الاجيال في (اسرائيل) يختفي عندما تثار مسألة الخطر الخارجي. وعندئذ يصبح التماسك السياسي هو الحالة الطبيعية.

وعلى الصعيد السياسي. فان الصابرا. هذه الشخصية الجديدة. كان لابد ان تصل الى القيادة وان تعبر عن تصوراتها الذاتية لمستقبل المجتمع الجديد. هذا التغيير القيادي الذي كان قد بدأت تشعر بضرورته الطبقات الحاكمة قبل حرب الالام الستة لم يتم في موعده المناسب وكان على المجتمع الاسرائيلي ان تصيبه أزمة عام ١٩٧٣ لمسرع بتحقيق عملية انتقال السلطة من جيل الى جيل<sup>٧٠</sup>. ومثلت حكومة رابين ١٩٧٤. الاعلان الواضح لتدقيق عناصر الصابرا على القيادة لاذ ضمت مجموعة من جيل الصابرا لمركز القوة الرئيسية اولهم اسحاق رابين رئيس الوزراء وكل من الون وبارليف وبيرس ومن ناحية ثانية كان في المعارضة كل من شارون وعازروايمن<sup>٧١</sup>.

ولكن على الرغم من تزايد نسبة الصابرا. فان دور ابناء الصابرا السياسي يعد ضئيلاً على الرغم من انهم يشكلون حوالي نصف السكان. فمجموع الذين يتولوا المناصب الوزارية منهم ضئيلة ونسبتهم ١٢% من مجموعة اعضاء الوزارات ونسبتهم في الكنيست حوالي ١٥% من مجموع اعضاء الكنيست<sup>٧٢</sup>.

68 د. علي الدين هلال تكوين اسرائيل. مصدر سابق. ص ٨٤-٨٥.

69 د. حامد عبد الله ربيع. من يحكم في تل ابيب. المصدر السابق. ص ٢٢٧.

70 د. حامد عبد الله ربيع. النموذج الاسرائيلي للممارسة السياسية. معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة. ١٩٧٥. ص ٧٩.

71 د. نظام محمود بركات. مراكز القوى ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل. دار الجليل للنشر. عصف. ١٩٨٣. ص ٦٣.

72 د. نظام محمود بركات. النخبة الحاكمة في اسرائيل. مصدر سابق. ص ٥٤.

ومن الجدير بالاشارة. فان هناك اتجاها في الفكر الاسرائيلي. يرى في "الصابرا" كتلة موحدة من المواطنين الاسرائيليين تحل محل الفرق المتنافرة من المستوطنين . كتلة يمكن من خلال تأكيد تجانسها تدعيم مفهوم جديد عن الهوية الاسرائيلية الموحدة. ان مثل هذا الاتجاه لا يمكن ان يسلم من الانتقادات ويمكن ان توجه له على النحو الآتي:-

١. هناك حقيقة هامة هي ان الميلاد على الارض الفلسطينية لم يستطع بعد ان يقضي على التمييز بين اليهودي الشرقي واليهودي الغربي. اذ لاتزال تعيش ازاء جيل تتأكد بخصوص التفارقة بين ابناء اليهود الشرقيين والغربيين وهذا يعني ان رباط الاقليم الذي يجمع بينهم لم يستطع ان يلغي الفروقات والتمييز وفقاً للاصول الاثنية.
٢. ليس ثمة ما يميز "الصابرا" تمييزاً جامعا مانعاً سوى العامل الجغرافي او محل الميلاد. وبما ان علاقة الجغرافية بالطابع القومي تتمثل فيما يتركه البشر من بصمات على بيئتهم الجغرافية. بعبارة اخرى فان تأثير البشر في البيئة الجغرافية هو في مدى تمكنهم من تغيير معالم تلك البيئة . قد يعكس طابعهم القومي او خصائصهم الاساسية وليس العكس. أي ان العوامل الجغرافية ليست بحال العوامل المحددة للطابع القومي للبشر. ومن هنا فانه يمكن التأكيد على ان وحدة العامل الجغرافي الذي قد يميز الصابرا ديموغرافياً لا يمكن ان يؤدي في حد ذاته الى أي تشابه في تكوينهم الميكولوجي<sup>٧٣</sup>.
٣. بما ان الاشكنازيين يستحذون على النصيب الاعظم من السلطة في اسرائيل فانهم حريصون على ان يستمر لهم ذلك في المستقبل من خلال امتدادهم الحضاري والسياسي والسايكولوجي-أي ابناءهم-وهذا يعني ان الشخصية القيادية ستكون الشخصية الاشكنازية فعلاً. أي ان الصابرا ((ليسوا سوى ابناء الصفوة الاسرائيلية الاشكنازم))<sup>٧٤</sup>.

<sup>73</sup> د. قنري حنفي . المصدر السابق . ص ١٠٧ .

<sup>74</sup> المصدر نفسه . ص ١١٣ .

## الختمة

ان عملية تكوين المجتمع الاسرائيلي هي حصلة تكوين استيطاني استعماري. وهذا التكوين قد خلق تناقضا اساسيا بين المستوطنين اليهود وبين اصحاب الارض الاصليين الفلسطينيين العرب. حيث الهدف الاساس للمستوطنين اليهود لحل هذا التناقض يتمثل في الغاء حضارة وثقافة الفلسطينيين العرب وتصفية وجودهم بشئ الاساليب والسبل. في مقابل ذلك يقف الطرف العربي الفلسطيني الذي يشكل جماعة متماسكة قوميا وحضاريا والذي يجد عمقه على امتداد الوطن العربي الذي يرفض (اسرائيل) تحدي السيطرة الاستيطانية الاستعمارية الصهيونية ويعبر عن ذلك بكل وسائل الكفاح والنضال التي بمقدوره عملها. وعلى هذا فالوجود العربي الفلسطيني يشكل خطرا من شأن فاعليته ان تهدد بتقويض اركان المجتمع الاسرائيلي.

انعكست السمة الاستيطانية على البنية الاجتماعية فعلى الرغم من نجاح الحركة الصهيونية في استقدام المهاجرين اليهود الى ارض فلسطين غير انها فشلت في صهر جماعات المهاجرين اليهود في بوتقة واحدة. حيث ان استقدام المهاجرين رافقة في ذات الوقت عمليات استيعاب وتنشئة اجتماعية قامت بها المؤسسات الصهيونية والحكومة الاسرائيلية لتحقيق الاندماج الاجتماعي للمهاجرين المتنوعي الاصول الحضارية والثقافية. ولكن معطيات الواقع الاسرائيلي تكشف عن الفشل في تحقيق هذه المهمة حتى الان. حيث تبرز وبوضوح المشكلة الانتية وحالة الصراع الاجتماعي بين اليهود الاوربيين واليهود الشرقيين هذه المشكلة تأخذ بعدا طبقيًا-ثقافيًا في التمييز ضد اليهود الشرقيين وتجعلهم في محيط المجتمع في حين يستمر الغربيون في احتلال موقع مركز المجتمع. ومن الطبيعي ان تفرز المشكلة الانتية علاقات تنافر بين الجماعتين اليهوديتين الشرقية والاوروبية تتطوي على وجود قيم ومعتقدات متباينة ومتناقضة. كم ان العنصر اليهودي الشرقي يمثل المكانة السفلى في سلم العمل والدخل بين اليهود وانعكس هذا الواقع على مركزه الاجتماعي المتدني. ومن الطبيعي فسان ارتباط المكانة المتدنية اجتماعيا واقتصاديا بالتمييز ضد اليهود الشرقيين يجعل المشكلة اكثر خطورة بل قد تؤدي الى تمزق جسد المجتمع الاسرائيلي وتقويض اركانه.

فضلا على ذلك فان البنية الاجتماعية تكشف عن وجود ظاهرة صراع الاجيال وبرز ما يطلق عليه بجيل ((الصابرا)) الذي يراهن عليه الاسرائيليون باعتباره يمكن ان يكون كتلة واحدة من المواطنين الاسرائيليين تحل محل الجماعات المتنافرة غير ان نتيجة البحث تفني ان يشكل هذا الجيل تكوينا سايكولوجيا موحدًا للهوية الاسرائيلية.

## اثر اللوبي اليهودي في المجتمع الامريكي

المدرس المساعد

علاء جبار احمد<sup>(١)</sup>

### المقدمة

نظراً للدور المهم الذي يطلع به اليهود في الولايات المتحدة الامريكية من نفوذ وتأثير كبيرين سواء أكان اقتصادياً أم سياسياً أم على مستوى صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة إذ إننا نرى أن هذا الدور لا يتناسب وتعدادهم في الولايات المتحدة إذ أنهم يشكلون ما يقارب ٦ ملايين يهودي من مجموع سكان الولايات المتحدة البالغ تعدادهم ٢٨٦ مليون حسب تعداد عام ٢٠٠٤.

إلا أن سر قوة هذه اللوبي لا تتأني من تعدده وإنما من خلال تنظيمه الدقيق في منظمات إذ تعمل جميعها بشكل متناسق لاجل قضية واحدة وهو دعم اسرائيل، فالمتابع لهذه المنظمات والتجمعات اليهودية تعمل وتتحرك وفق الدول الذي يرسم له ولعل منظمة إيباك\* هي المثال الأبرز على ذلك إذ تحظى هذه المنظمة بدعم كبير داخل الولايات المتحدة.

لذا ارتئينا أن نأخذ اللوبي اليهودي كأحدى جماعات الضغط في الولايات المتحدة إذ أننا سنبيين في بحثنا هذا طبيعة المجتمع الأمريكي وبداية التغلغل اليهودي في المجتمع الأمريكي والسبل التي من خلالها يؤثر اللوبي في صناع القرار سواء أكان في السلطة التنفيذية أم التشريعية هذه ما سوف ننظمه المبحث الأول أما المبحث الثاني فإنه سوف يتناول أهم المنظمات والمعاهد التي تعمل داخل الولايات المتحدة الأمريكية أما المبحث الثالث فسيتناول للإنجازات و المكاسب التي حققها اللوبي خلال الفترة السابقة.

### المبحث الأول

تأثير اللوبي اليهودي في صنع القرار السياسي الأمريكي.  
من المعروف أن المجتمع الأمريكي مجتمع هجين لقوميات مختلفة جاءت على شكل هجرات إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترات زمنية مختلفة وهذا التكوين

(١) كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

\* وهو الاسم المختصر الذي يطلق على اللجنة الاسرائيلية الأمريكية للشؤون العامة والتي تم تسجيلها بشكل رسمي عام ١٩٥٤ مستفنين من القانون الأمريكي الصادر عام ١٩٤٦ والذي اعطى الحق للجماعات المختلفة في تشكيل جماعات ضغط ((اللوبي)) بهدف ضمان مصالحها من خلال الاتصال المباشر أو غير مباشر.

الفيسفاسائي للمجتمع الأمريكي كان له دور مساعد في قيام جماعات المصالح والضغط بشكل الذي يكفله للقانون (قانون اللوبي الفدرالي الصادر عام ١٩٤٦).

تعد اليهود هي إحدى الجماعات التي جاءت إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ فترة طويلة إلا أن شعور اليهود بأنهم أقلية في أي مكان يوجدون فيه يحفز هذه المجموعة إلى التقارب والتجانب بين أبناء هذه الأقلية.

فكان للتغلغل اليهودي في المجتمع منذ فترة طويلة إلا أن تأثيرهم السياسي لم يبرز إلا بعد أن خرجت الولايات المتحدة من عزلتها الدولية، منذ لاحظ اليهود أنه من الممكن أن يكون الولايات المتحدة الأمريكية الدور البارز في دعم دولة إسرائيل الفتية آنذاك.

فعلى الرغم من الصعوبات التي واجتها اللوبي اليهودي في البداية في تحسب ثقة صناعات القرار إلا أنه نجح في كسب المجتمع المدني وكذلك السياسي وصناع الرأي ولجهزة الاعلام ومراكز البحث.

فقد بذل هذا اللوبي مجهوداً محيراً باستثمار الكثير من الموارد الفكرية والمالية والسياسية في محاولة لاقتناع قطاعات مهمة من الشعب الأمريكي بأحقية المسألة الاسرائيلية وتصوير إسرائيل على أنها دولة مستضعفة يراد مسحها من الخارطة الجغرافية لغرض كسب تعاطف الرأي العام ومن ثم كسب ثقة أعضاء الكونغرس والسلطة التنفيذية لغرض التأثير في عملية صنع القرار السياسي على المستويين التشريعي والتنفيذي.

#### ١. تأثير اللوبي اليهودي في الكونغرس

إن قوة التأثير اللوبي اليهودي في الكونغرس يتضح من خلال الانتخابات التشريعية أولاً وصنع القرار دأخل الكونغرس ثانياً فاليهود بأعدادهم القليلة لا يمثلون قوة انتخابية قادرة على تغيير المعدلات الانتخابية في الولايات المتحدة<sup>١</sup>. لكن لا يمكن أن نلغي تأثير قوة (الصدى اليهودي) في الانتخابات فاليهود لا يعتمدون على الأصوات اليهودية فقط على الرغم من مشاركتهم الواسعة في الانتخابات في الولايات المتحدة مقارنة مع باقي الفئات والشرائح الاجتماعية الأخرى إذ يقدر مشاركة اليهود بالانتخابات بـ ٩٠% منهم فهم حريصون كل الحرص بالمشاركة في الانتخابات. فاللوبي يلجأ إلى دعم مرشحين غير يهود ولكنهم مشهورون بتأييدهم للصهيونية وحق (إسرائيل) في الوجود ومستعدون للدفاع عنها ومن الملاحظ أن اللجنة الاسرائيلية الأمريكية تكرر أكبر وقتها في الكابيتول<sup>٢</sup>، محاولة التأثير في أعضاء الكونغرس فيما يتعلق بالأمور ذات الأهمية

<sup>١</sup> لي أوبراين: المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطها في دعم إسرائيل ترجمة جماعة من الاساقفة، مراجعة د. محمود زايد. مؤسسة للدراسات الفلسطينية. بيروت. ط ١. ١٩٨٦. ص ١٧٩.

<sup>٢</sup> مبنى الكونغرس



بالنسبة للجنة بالأخص فيما يخص القضايا المتعلقة بإسرائيل وهذه اللجنة تضم كل مؤيد لإسرائيل بغض النظر عن الجهة التي ينتمي إليها المرشح للانتخابات ليركز بالدرجة الأساس على مدى تأييده لإسرائيل<sup>١</sup>. فقد استطاع اللوبي في تحقيق نصر كبير في الانتخابات التشريعية عام ١٩٨٢ حيث أعيد انتخاب مؤيدي إسرائيل الرئيسيين الأربعة عشر الذين كانت مقاعدهم في مجلس الشيوخ عرضه للتحدي وفي مجلس النواب أعيد انتخاب كل مؤيد لإسرائيل ولم يهزم وأصدر النواب اليهود الأربعة والعشرين بسبب كونه حديث العهد<sup>٢</sup>. وعلى الرغم من أن اليهود يحاولون السيطرة التامة على الكونجرس في سبيل عدم وصول أعضاء غير مرغوب فيهم إلى الكونجرس إلا أن هناك أعضاء يصلون إليه على الرغم من عدائهم للصهيونية ويناحرون العرب ويساندونهم في كثير من القضايا ومثال ذلك عجز اللوبي في الضغط على الكونجرس بعدم الموافقة على بيع طائرات الأوكس للسعودية عام ١٩٨١، ويحرص موظفو اللجنة الإسرائيلية الأمريكية والمعاونون والنواب الداعمون لها، على العمل باستمرار على رصد التطورات داخل الكونجرس وأعمال أعضاء الكونجرس جميعاً، إلا أن هناك تركيزاً من قبل هذا اللوبي على التطورات الخاصة بالعلاقات الخارجية أو المساعدات الخارجية ويحذف مثل عن اللجنة الإسرائيلية الأمريكية كل اجتماع مفتوح ليوزع البطاقات ويتصل بجرأة بكل موظف عن إعلامه مرتبة حتى ادناهم، أما الاجتماعات المغلقة فيحضرها دائماً عضو في التجمع المؤيد لإسرائيل بعناية خطاب كل عضو في الكونجرس وملاحظاته غير الرسمية، ورسائله إلى ناجية ويطالع (سجل الكونجرس) باهتمام ويؤشر على مرشحي الكونجرس فقد أظهرت دراسة قام بها (مركز السياسة الاستجابية) أن لجان العمل السياسي لإسرائيل تبرعت بعشرة ملايين دولار للمرشحين في انتخابات عام ١٩٩٨ والأفراد الذين تبرعوا للجان قاموا أيضاً بالتبرع بـ ٩٠٦ ملايين دولار لأولئك المرشحين أنفسهم وكلهم من المؤيدين الأقوياء لإسرائيل وفي مجلس الشيوخ ١٩٩٨ كان هناك ستة عشر عضواً تلقى منهم أكثر من ١٠٠٠٠٠ دولار من الصديدين اليهود<sup>٣</sup>. ومن خلال هذه التبرعات تبرز قوة اللوبي اليهودي بصورة عامة وإيباك بصورة خاصة حيث أصبح لهذه

<sup>١</sup> أحمد الوعد: آخر التطورات في علاقات إسرائيل ويهود العالم ومنظماتهم، مجلة الأرض. مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، العدد الخامس، ١٩٨٧، ص ٥٠.

<sup>٢</sup> لي أويراين: مصدر سبق ذكره، ص ١٩٦.

<sup>٣</sup> بول فندي: الخداع، ترجمة محمود يوسف، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط ١، ١٩٩٣، ص ١١٥.

<sup>٤</sup> لي أويراين: مصدر سبق ذكره، ص ١٩٧.

<sup>٥</sup> بول فندي:، ترجمة محمود يوسف، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ١٩٩٣، ص ٨٨.

المنظمة تأثير بالغ في الكونجرس ليس فقط على الاعضاء اليهودي ولتما ايضا على المسيحيين منهم دون ان يناقشها احد، وهي لذلك تعد قوة فريدة من نوعها في الولايات المتحدة الامريكية<sup>٧</sup>، وبعد ان بينا كيفية تقديم المساعدات والخدمات لمرشحين الانتخابات التشريعية والتي تساهم في وصول اعضاء الكونجرس اليه من خلال الحملات الاعلامية والسياسية والتبرعات المادية الكبيرة التي يقدمها الى المرشحين المتعهدين بدعم اسرائيل. فبذلك يعد الكونجرس افضل صديق (لاسرائيل) في الولايات المتحدة الامريكية لقوة تأثيرها في الحملات الانتخابية وتؤثر فيه في تبني سياسة منحازة تجاه (اسرائيل) خصوصاً على القضايا ذات العلاقة بالصراع العربي الصهيوني<sup>٨</sup>، ولم ينحصر تأثير اللوبي اليهودي في المشرعين بل تعدى ذلك حتى وصل الى معاوني المشرعين وموظفي الكونجرس والذين يقومون من وراء الستار بدورهم في نصره سياسات معينة عن طريق القيام بالاعمال الموكلة اليهم كأعداد التقارير وتقديم المشورات، ويركز اللوبي اليهودي على مفاصل صناعة القرار داخل الكونجرس وبصورة خاصة اللجان الرئيسية والفرعية في كلا المجلسين حيث ينتشر اللوبي بصورة قوية في هذه اللجان وفي أي طريق لصناعة القرار داخل الكونجرس. واللوبي اليهودي غالباً ما يركز على اللجان ذات العلاقة بالشؤون الخارجية حيث يحرص اعضاء الكونجرس من اليهود على رئاسة أو عضوية اللجان ذات العلاقة بعملية صناعة السياسة الخارجية، فعلى سبيل المثال تصل نسبة اليهود في اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية في الكونجرس لعام (١٩٩٩) الى ٢٥% منهم<sup>٩</sup>، وان حرية الحركة التي يتمتع بها اللوبي اليهودي متأنية من كون أي من الحريين الجمهوري أو الديمقراطي بوصفها جوهر الانتخابات الامريكية سواء التشريعية أو الرئاسية بتركيبتهما التنظيمية وممارستها السياسية فكم يكون كلا الحزبين اعضاءهما من الذين يبذون العدا (لاسرائيل) بغض النظر من أي منهما يكون على رأس السلطة، لذلك فمن الطبيعي ان تكون سياسة الادارة الامريكية في ظل حكم أي حزب منها منحازة (لاسرائيل) ومن هنا فان تدخل اللوبي عادة مما يأتي لزيادة مساعدة ما، أو تشريعها أو اقرار مساعدة طارئة أو عاجلة أو لاتخاذ موقف مؤيد وهي بذلك لا تتعارض في الاصل مع سياسة الولايات المتحدة الداعمة لاسرائيل اصلاً، وان (ايباك) تعد نفسها صمام الامان لاسرائيل في امريكا التي تسبق الاحداث وتعمل بالضغط

<sup>٧</sup> ياسر زغيب: ايباك، قصة الاضطوط الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية. مصر دار الندي. ١٩٩٨ ص ٨٣.

<sup>٨</sup> ياسر زغيب: مصدر سبق ذكره. ص ٩٠.

<sup>٩</sup> تيم هاتي: اللوبي اليهودي واللوبي العربي في الولايات المتحدة. مجلة السياسة الدولية، العدد ١٣٦، ١٩٩٩-١٣٦٦.

لمصلحة إسرائيل حتى لو كان الضغط مكملًا وليس صانعاً دعم (إسرائيل) اما الامثلة لقرارات دعم (إسرائيل) فكثيرة حتى تصل في بعض الاحيان الى حد المزايدة في الدفاع عن إسرائيل داخل الكونجرس نفسه من جهة وبين الرئيس والكونجرس من جهة اخرى وعلى سبيل المثال بعد نقل السفارة الامريكية من تل ابيب الى القدس من أهم وأوضح الأمثلة على ذلك حيث لقب رئيس الاغلبية الجمهورية، ورئيس مجلس النواب (نيوت جنغرينش) السابق دوراً مهماً في صدور قرار من الكونجرس يقضي بنقل السفارة الى القدس بعد ان حصلت موافقة اغلبية اعضاء مجلس الشيوخ ومصر هذا الموضوع دون معارضة الرئيس الامريكي السابق بيل كلنتون. اذ كان قرار نقل السفارة جزءاً من حملته الانتخابية لعام ١٩٩٢<sup>١١</sup>.

## ٢. تأثير اللوبي اليهودي في السلطة التنفيذية

عند الحديث عن تأثير اللوبي اليهودي في السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة ينبغي ان توضح من ان السلطة التنفيذية تتكون من قنوات عدة لصنع القرار السياسي ويرأس هذه القنوات الرئيس (الذي يعد وفقاً للدستور الأمريكي رأس السلطة التنفيذية) ويتمثل بـ (مجلس الامن القومي ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع) إضافة إلى شبكة كبيرة من المستشارين الخاصين للرئيس.

فاللوبي اليهودي في الولايات المتحدة على العكس من جماعات اللوبي الاثنية الاخرى وبخاصة الموظفين الامريكيون فيه يتمتعون بقنوات مباشرة مع البيت الابيض تحت طريق موظفين، وهؤلاء الموظفين الذين تربطهم صلات وثيقة مع اللوبي اليهودي يرتبون الاجتماعات مع الرئيس وكبار موظفي البيت الابيض وكذلك مع المسؤولين من مع السياسة الخارجية وبالاخص تجاه الشرق الاوسط.

وكذلك يقوم هؤلاء الموظفون بنقل المعلومات الى المنظمات اليهودية الامريكية حتى تتمكن من تفعيل جهودها السياسية وحملاتها بهدف حشد الرأي العام تجاه احدى القضايا المراد تبنيها من قبل الحكومة، ومن الجدير بالذكر هنا ان توجيهات الرأي العام الامريكي يمكن التأثير فيها من خلال استخدام وسائل الاعلام الامريكية التي ترى ان اغلب من يسيطر عليها هم من اليهود الامريكان<sup>١٢</sup>. إضافة الى وسائل الاعلام هناك مراكز البحوث والدراسات التي تغذي مراكز صنع القرار بالمعلومات والتي تكرا من قبل اليهود (هذا ما سوف نوضحه لاحقاً) اذ انه يؤثر بدوره على عملية تبني وجهة نظر اليهود فيما يخص الصراع العربي الصهيوني ومن الملاحظ ان هذه المعلومات تكون بشكل تقارير للهدف للعام هو لغرض توفير واحدة معلومات لدى صانع القرار

<sup>١١</sup> مجلة قضايا دولية: العدد ٢٦٥. السنة السادسة ١٩٩٥. ص ٩.

<sup>١٢</sup> فايز ساويره: الصهيونية في الولايات المتحدة ودور اللوبي الصهيوني واهدافه. دمشق مؤسسة الأرض. العدد الرابع. ١٩٩٨. ص ٦٩.

الا ان الهدف الاساس منها هو خدمة قضية اسرائيل، بالاضافة الى ما تقدم وان لدى منظمة ايبيك شبكة عمل وطنية تصدر (اخطارات عمل) توزع تشكيلة واسعة من المواد عن اسرائيل والعالم العربي معظمها جنلي الى حد كبير الا انها جميعاً تصب في نفس القضية<sup>١٢</sup>. ودعت الجماعات الصهيونية أيضاً تشكيلة واسعة من الاتصالات مع اعضاء الكونغرس والمسؤولين الحكوميين على المستويين الوطني والمحلي على مدى سنوات عديدة طويلة، وليقتل موظفو البيت الابيض من الموجهات المحتملة للسيطرة على جنود الاعمال ينسقون بعناية اجتماعات مع جماعات اللوبي والمنظمات الاثنية ليس فقط لتقرير جدول زمني ثان، بل ليقرر بالتحديد متى، واذا كان الرئيس سيظهر او اذا كانت هناك (فرصة لاخذ صورة) لكن الاجتماعات مع المنظمات اليهودية الامريكية تكون موجه عام في منتهى الود، ويأتي الزعماء اليهود الامريكيون بانتظام بصفتين: مساعدات مالية وعسكرية معنية لاسرائيل ويعربون بطرحه عن موافقتهم او عدم موافقتهم على سياسات الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بشكل عام وسياسة الولايات المتحدة تجاه الصراع العربي بالاسرائيلي بشكل خاص.

ومن دلائل نفوذ (ايبيك) في الاحزاب السياسية الامريكية، نرى ان رئيسها السابق ستيف غروسمات (Arn Christenson) المسؤول عن التشريع سابقاً في (ايبيك) فهو مدير اعمال رئيس مجلس النواب الامريكي السابق نون غنغوتش<sup>١٣</sup>. من الجدير بالذكر ان اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الامريكية لم يكف بالتأثير في صناع القرار بل نرى ان دفع بالعديد من اليهود الى الادارة والسلطة التنفيذية ليكونوا من يصدر القرار وعدم الاكتفاء بالتأثير وهذا ما نراه وما في ادارتي الرئيس كلنتون وبوش الابن وتثبت اثناء قائمة بالاسماء لليهود في الادارة الاولى لبوش الابن مع ملاحظة ان بعضهم يحمل الجنسية الاسرائيلية.

### المبحث الثاني

المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية يمكن تقسيمها من حيث الاهداف او وسائل الضغط التي تستخدمها الى ثلاثة اقسام:-

- ١- المنظمات اليهودية التقليدية: التي تم تأسيسها في النصف الاول من القرن العشرين قبل تكوين الدولة الصهيونية في فلسطين وتشمل منظمات قبل المنظمة الصهيونية العالمية (WZO) واللجنة اليهودية الامريكية (A.J.C)

<sup>١٢</sup> ياسر زعبي: مصدر سبق ذكره. ص ٩١.

<sup>١٣</sup> فواز جرجيس: السياسة الامريكية تجاه العرب كيف تصنع ومن يصنعها. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ٢٠٠٠. ص ١١٥.

والكونجرس اليهودي الأمريكي (A.j.c) وعصبة مكافحة التشهير (Aati-Defanntion) ومجلس الاتحادات اليهودية (couuci of jewish fedevations) وغيرها. وكان القاسم المشترك لـ تلك المنظمات هو اهدافها الاجتماعية والثقافية والسياسية في مجال خدمة الجالية اليهودية الأمريكية. الا ان ظهور دولة اسرائيل كان قد حولها الى منظمات لمساعدة اسرائيل من خلال الضغط على صانعي القرار وتعبئة الرأي العام<sup>١٤</sup>.

ب- المنظمات التي تكونت بعد قيام دولة اسرائيل امثل منظمة ستران دولة اسرائيل والغداء اليهودي الموحد التي تجمع الاموال لصرفها على مختلف المشاريع داخل اسرائيل ثم تلا ذلك تأسيس (لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الأمريكية) والمعروفة باسمها المختصر بـ ايباك (AIPAC) والتي اصبحت مركز النقل في الحركة الصهيونية داخل الولايات المتحدة ومركز العمليات السياسية سواء اكانت تتعلق بالانتخابات ام المعارك في الكونغرس حول سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بما في ذلك صنفان الاسلحة لمختلف البلدان في المنطقة، تتألف ليباك في عضويتها من اكثر من ٥٥٠ ألف شخص. في المنظمة ميزانية معلنة بقدر محدد ١٤,٢ مليون دولار ويعمل في المنظمة ١١٥ موظفا دائما، بالإضافة الى المتطوعين ولها ثمانية مكاتب نرعيه في جهات مختلفة من الولايات المتحدة بالإضافة الى مكتبها الرئيس في واشنطن ولها وجود في اكثر من مائتي جامعة، اذ تركز على اهمية تمجيد التلاميذ في نشاطاتها العديدة<sup>١٥</sup>.

ج- المعاهد التي بدأ تأسيسها كمنهج جديد للضغط والتظهير وتعبئة الرأي العام خلال الخمس عشرة سنة الماضية وتشكل هذه (المعاهد) احدى أنماط التنظيم في الاوساط الصهيونية، اذ نتعرف بصيغة اكاديمية سياسية، فتعقد مؤتمرات وندوات وتمتد وسائل الاعلام لتحليل والنقد وتوظف (المعاهد) باحثين معروفين بتعصبهم لاسرائيل، وكثيراً ما يتنقل هؤلاء فيما بعد مناصب مهمة في الادارة الأمريكية او في الكونغرس.

ويرتبط بهذه المنظمات الصهيونية مراكز الدراسات الاستراتيجية اليهودية التي تقدم التقارير والدراسات وتظل رجال الكونغرس والاعلام بشكل مكثف ومنظم وتحاول التأثير في صانعي القرار السياسي والاستراتيجي الأمريكي، ومن هذه المراكز والمعاهد السياسية والاستراتيجية الفعالة معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى

<sup>١٤</sup> ياسر زغيب: مصدر سبق ذكره ص ٩١.

<sup>١٥</sup> فواز جرجيس: مصدر سبق ذكره ص ١٠١.

(WINEP) الذي اسمه مارتن انديك ويديره الان دنيس روس بعد خروجه من الادارة الامريكية. ويعد المركز اول من قدم دراسة عن الشرق الاوسط للرئيس بوش الابن تحت عنوان ((نقرير فريق للدراسة الرئاسي والابحار عبر الاضطراب، وامريكا والشرق الاوسط في قرن جديد)) واستطاع المعهد ان يسوق دراسته تحت شعار فريق يضم اعضاء من الحزبين ليلبس ثوب الموضوعية والاكاديمية في الوقت الذي يخدم اسرائيل<sup>١٦</sup>.

ويوجد ايضاً مركز فريمان للدراسات الاستراتيجية في تكساس (FCSS) وFrecnan center for streagic Affairs والمعهد اليهودي لشؤون الامن القومي Jewish Institute for Nationol Securitiy Affairs (jinsa) ومعهد الدراسات السياسية والاستراتيجية المتقدمة Advouced strategic Institute for والذي يوجد له مركز في كل من القدس وواشنطن ويرأس هذه المراكز اليهودية نخبة من الذين عملوا في الادارات الامريكية المتعاقبة ولهم ارتباط بطريق مباشر او غير مباشر مع صانعي القرار السياسي وفي هندسة الاستراتيجية. واستطاعت هذه المراكز ان تؤدي دوراً مؤثراً ومقالاً في العقدين الاخيرين وخاصة منذ بداية الثمانينات في عهد الرئيس رونالد ريجان، وزدء تأثيرهم ونفوذهم وسيطرتهم في عهد كلنتون وجورج بوش الابن<sup>١٧</sup>.

ونجد ان معهد الدراسات السياسية الاستراتيجية المتقدمة الذي تأسس عام ١٩٩٦ منيرة روبرت لويينبرج Robert Loewenberg ويؤدي ريتشارد بيرل Richard Perlo دوراً حيويّاً واصدر فريق المعهد في عام ١٩٩٦ دراسة عن استراتيجية اسرائيل عام ٢٠٠٠، وكان رئيس فريق الدراسة بيرل هو نفسه الان رئيس مجلس سياسة الدفاع لوزارة الامريكية وليس غريباً ان يكون ينزل هو الذي يشرف على التخطيط الاستراتيجي الاسرائيلي الذي يتبناه حزب ليكود، كذلك هو يشرف الان على الاستراتيجية الامريكية من خلال ترؤسه مجلس سياسة الدفاع (DPB) ويدير المعهد اليهودي لدراسات الامن القومي ستيفن براين Stephen Bryen وكان براين نائباً لريتشارد بيرل عندما كان الاخير يشغل منصب مساعد وزير الدفاع الامريكي لشؤون الامن الدولي في حكومة ريجان<sup>١٨</sup>.

<sup>١٦</sup> فواز جرجيس: مصدر سبق ذكره. ص ١١٥.

<sup>١٧</sup> "The 2000 presidential study Group Navigating Through Tubulauc: American and Middle East in anew century Washington. Is state for Near East Policy 2001.

<sup>١٨</sup> عبد الخالق عبد الله: الاتجاهات الجديدة في علم السياسة. المستقبل العربي، عدد ٩٤٩. تموز ١٩٩١. ص ٣٧.

ويضاف الى هذه المراكز الاستراتيجية عشرات اليهود المنتشرين في مراكز الابحاث السياسية والجامعات الامريكية الذين يسهمون بدور فعال في توجيه الفكر السياسي والاستراتيجي في الولايات المتحدة، وعلى وفق حصائيات اوائل عقد التسعينات من القرن الماضي، فان هناك في الولايات المتحدة اكثر من ١٥ الاف عالم سياسة، يشكلون ٧٥% من اجمالي علماء السياسة في العالم يتزايد عدد هؤلاء العلماء في الولايات المتحدة بمعدل مائة عالم كل عام، وان ٢٢% من اجمالي هؤلاء العلماء هو من اليهود، ومنهم من استطاع في العقد الاخير ان يروج لنظريات الصراع والمواجهة مع العالم الاسلامي حتى قبل احدث ١١ ايلول، ومن هؤلاء صموئيل هنتجون اليهودي الاستاذ في جامعة هارفارد صاحب نظرية صدام الحضارات، التي ثبتتها الادارة الامريكية، وهناك ايضا برنارد لويس في جامعة برنستون ودانيل بارس ومارتن كرامر وهم اصحاب نظرية المواجهة مع العالم الاسلامي بعد نهاية الشيوعية والحرب الباردة<sup>١١</sup>.

وفي الوقت الذي يروج هؤلاء للمواجهة، فان هناك مدرسة اخرى وهم من المستشرقين الجدد والذين ينتقدون نظرية صدام الحضارات ويؤكدون امكانية التوافق والتعايش مع العالم العربي والاسلامي، وعلى رأس هؤلاء هون ابييوسكو وفريد هاليدي والملاحظ ان جماعة مدرسة المواجهة هم اليهود وان مدرسة التعاون هم من المسيحيين الذين كتبوا في السياسة الدولية والعالم العربي.

ويضاف الى هذه المراكز اليهودية مراكز الابحاث ذات الاتجاه اليميني المحافظ التي تتعاون مع المراكز اليهودية لو يعمل بها اليهود كباحثين ومستشارين كما هو الحال في منظمة التراث Heritge foundauler ومعهد AEnter Dvise Rese American instate for Public policy فهذا المعهد الذي لايزال بيرل يعمل ضمن ملاكاته يتبنى الاتجاه المتطرف المؤيد لسياسة اسرائيل حتى معهد بروكنجر (Brookings) الليبرالي الذي اسهم في عقد السبعينات من القرن الماضي بطرح بعض التصورات لحل الصراع العربي الاسرائيلي وتبنت ادارة كارتر بعض افكاره، منذ تم اختراقه واصبح مارتن انذاك مديراً لمركز دراسات الشرق الاوسط بالمعهد وهناك ايضا معهد الدراسات السياسية الخارجية في فيلانفيا (Reservch intertah foreign policy) والذي يصدر بعض الدراسات ومجلة (Orbis) الفصلية، وظل دانيل بارس يديره لمدة طويلة، ومازال الصوت اليهودي

<sup>١١</sup> بوكسيل سيزغين: هل يشكل الإسلام تهديداً للغرب، ترجمة هشام الحجازي. الثقافة العالمية. عدد

مهيئاً على المعهد من امثال ادم كارتنجل الذي اصبح محرراً لمجلة (National Interst) الفصيلة المحافظة وغير هؤلاء كثير.<sup>٢٠</sup>

ان هذه المراكز والمعاهد الاستراتيجية المحافظة واليهودية ومن خلال العاملين فيها تطرح مخططات وتصورات استراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط كلها تدعو الى تهميش الدول العربية وتدعو الى هيمنة اسرائيل مثل الدعوة الى التحالفات الاقليمية والحرب على العراق وتقسيم المنطقة الى كانتونات سياسية عرقية ودينية تهدد الامن القومي الغربي.

### المبحث الثالث

#### الانجازات التي حققها اللوبي اليهودي:

هنالك العديد من الانجازات التي حققها اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة والتي استطاع من خلالها تحقيق العديد من المكاسب المادية مثل المساعدات المالية والقروض الطويلة الأجل والمساعدات العسكرية او المعنوية لدعم اللا محدود من جانب الولايات المتحدة في المنظمات الدولية حتى وصل الحال بها استخدام النقض (الفيتو) ضد أي قرار او مشروع قرار يشير الى إدانة إسرائيل جراء تصرفاتها مع الفلسطينيين او اعتدائها المستمر عليهم.

ولأجل ان نوضح تأثير اللوبي اليهودي في السياسة الأمريكية سوف نأخذ أهم ما حققه هذا اللوبي في فترة الثلاثة عقود الأخيرة:

أولاً: خلال عقد السبعينات<sup>٢١</sup>.

١. ارتفاع ميزانية الايباك الى ٧٥٠ ألف دولار سنوياً وهذا الرقم كان انذاك (مطلع للسبعينات) مبلغاً كبيراً مقارنة بباقي المنظمات الموجودة على الساحة الامريكية مما ادى الى تفعيل الأنشطة اليهودية والاتفاق على اعضاء الكونجرس في حملاتهم الانتخابية.

٢. انشاء مراكز يهودية للبحوث المتعلقة بالشرق الاوسط بحيث اصبحت تلك المراكز المصدر الرئيسي الامريكي وسياسته في الاطلاع على مجريات الامور في الشرق الاوسط وتوجيه الرأي العام بشأنها فعلى سبيل المثال وافق الرئيس الامريكي كارتر تحت تأثير وضغط الكونجرس واللوبي في صفقة السلاح الامريكية (لاسرائيل).

<sup>٢٠</sup> فواز جرجيس: مصدر سبق ذكره. ص ١١٥.

<sup>٢١</sup> محمد عبد العزيز: المعونات الامريكية لاسرائيل، بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.

١٩٩٧، ص ١٩٠.

انتظر ايضاً: تميم هاني: مصدر سبق ذكره. ص ١٣٥.

انتظر ايضاً: فواز جرجيس: مصدر سبق ذكره. ص ١١٥.

وكذلك الحلقة النقاشية التي ادهاها بهجت قرني. مركز دراسات الوحدة العربية في ١٩٩٨/٢/٢٨.

ص ٩٢-٩٥.



وبقيمة ٢٥٠ مليون بعد ان كانت علاقة الرئيس مع اللوبي ينتابها بعض البرود ولم يكتفي اللوبي بذلك بل ذهب ليضع العرافيل امام تمام صفقة الطائرات ١٥٠ للمعوية اذ قام الكونجرس ويتأثير منه بالداخل بعض التعديلات على الصفقة، وبالمقابل حصلت (اسرائيل) على ٩٥ طائرة من طراز ١٦٠، ١٥٠ ويكمل ملحقاتها.

٣. ادى اللوبي اليهودي دوراً كبيراً في اتفاقية كامب ديفيد (بين مصر واسرائيل عام ١٩٧٨) واجبر الرئيس كارتر ان يصادق على مساهمة الولايات المتحدة بمساعدات مالية ضخمة للجانبين على الرغم من ان الولايات المتحدة كانت تعاني من ركود اقتصادي في تلك الفترة (نهاية السبعينات).

٤. رافق مجلس الشيوخ الأمريكي باغلبية ٧٥ صوتاً ضد ٩ اصوات على تعديل قانون الاعتماد الخاص بشراء الاسلحة بهدف السماح ببيع الاسلحة (لاسرائيل) بقروض وذلك حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢م.

- وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على مد فترة التفويض الممنوح للرئيس نيكسون لاعطاء (اسرائيل) تسهيلات ائتمانية لشراء السلاح الى ما بعد ديسمبر ١٩٧٣م. وفي امداء (اسرائيل) بالعتاد العسكري الثقيل. كان ذلك يوم ١٤ اكتوبر ١٩٧٣م.

- اعلنت المصادر العسكرية الامريكية ان الولايات المتحدة في سباق مع الزمن لارسال المساعدات العسكرية الى (اسرائيل) تعويضاً عن خسارتها الجسيمة في الحرب للقائمة في الشرق الاوسط، أي حرب تشرين عام ١٩٧٣م.

- وافق مجلس الشيوخ الأمريكي باغلبية ٦٨ صوتاً ضد ٢٢ على تجديد القانون الخاص بالسماح ببيع اسلحة امريكية الى (اسرائيل) بالقروض، كان ذلك في ٥ حزيران ١٩٧٥م.

- وافق الكونجرس الأمريكي على قانون المساعدات الخارجية للعام المالي ١٩٧٧ حيث تحصل بموجبه (اسرائيل) على ٧٣٥ مليون دولار مساعدات و ١٠٠٠ مليون كفروض عسكرية لمبيعات السلاح.

- وفي اكتوبر ١٩٧٦ اعترف الرئيس الأمريكي فورد انه تجاوز وزارتي الخارجية والدفاع عندما اتخذ قرار تزويد (اسرائيل) بصفقة الاسلحة الجديدة المتطورة.

- وافقت لجنة الاعتمادات التابعة لمجلس النواب الأمريكي على تقديم ٧٨٥ مليون دولار مساعدات دفاعية (لاسرائيل) وذلك في اطار برنامج المساعدات الخارجية للسنة المالية الجديدة ١٩٧٨م.

#### ثانياً: خلال عقد الثمانينات

اما هذا العقد فانه شهد تطورات وتجاوزات اهمها:

١. استطاع اللوبي اليهودي ان يعزل شخصيات مهمة داخل الكونجرس كانت معادية لاسرائيل من خلال استغلالها اللجنة الخاصة لليهودية المتعددة فقد تم اقضاء رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ السيد (تشارلز برنس) والسنتاتور (روجر جفرسون) عضو لجنة الخدمات العسكرية (بول فنسلي) عضو مجلس الشؤون

الخارجية وبالمقابل اسهم اللوبي في انجاح المناقور (كارل نفين) و (بوسوينز) وآخرين ينتمون للمعسكر الاسرائيلي ومن خلال اصدقاتهما بالكونجرس استطاعت اسرائيل الضغط على ادارة ريغان بخصوص عملية السلام وكذلك الصراع العربي الإسرائيلي.

٢. نتيجة للضغط اعلاه استطاعت اسرائيل ان تنتزع تصريح من الرئيس (ريغان) بخصوص المستوطنات اليهودية حيث قال (انها مجرد امر غير مرغوب فيه بالوقت الحاضر) متجاهلاً الوضع القانوني لها ونتيجة لذلك فقد تم بناء ١٠٠ ألف وحدة بالضفة الغربية و ٣٠ ألف بهضبة الجولان و ١٠ الاف وحدة في غزة.

٣. على الرغم من التوترات التي شهنتها العلاقات الإسرائيلية ابان عقد الثمانينات بسبب مذابح صبرا وشاتيلا والغزو الإسرائيلي للبنان وبناء المستوطنات الإسرائيلية. ورفضهم لخطّة (ريغان) للسلام، وعلى الرغم من ذلك كله استطاع اللوبي ان يحقق زيادة في المساعدات المالية (لإسرائيل) فبينما كانت إسرائيل تحصل سنوياً على مبلغ ٧٨٥ مليون دولار ارتفع هذا الرقم ليصل إلى ١٠٥٠ مليون سنوياً وذلك في عام ١٩٨٧.

٤. استطاع اللوبي اليهودي عام ١٩٨٤ ان يضغط على الكونجرس ليصدر بياناً يؤكد فيه عدم احقية أي مسؤول بالحكومة الامريكية ان يعترف او يتفاوض مع أي ممثل من منظمة التحرير الفلسطينية، طالما لم تعترف المنظمة بدولة اسرائيل.

٥. استطاع اللوبي اليهودي ان يوقف التساؤلات التي وجهت اليه حول انتهاك (اسرائيل) لحقوق الانسان عقب الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧م.

#### ثالثاً: عقد التسعينات

شهد عقد التسعينات عدداً من التطورات المهمة في اطار ما يسمى بعملية السلام بالشرق الاوسط من بينها مؤتمر مدريد الدولي للسلام ١٩٩١ وتوقيع اتفاقيات او سلو بين منظمة التحرير الفلسطينية و (اسرائيل) ١٩٩٣ واتفاق مؤتمر شرم الشيخ لصانعي السلام ثم اتفاقية واي ريفر الى جانب العديد من الاحداث المهمة التي حدثت في عقد التسعينات، وقد كان اللوبي، الصهيوني الدور المهم للضغط على الولايات المتحدة لاتخاذ قرارات معينة تجاه تلك القضايا ومنها حرب الخليج والحملة الموجهة ضد ليبيا والسودان وتطور العلاقات بين (اسرائيل) وتركيا ولكن يمكن ان نجل اهميتها بما يأتي:

١. تخوفاً من احتمالات توجيه العراق صواريخه ضد (اسرائيل) عام ١٩٩١، قام الكونجرس الأمريكي ببناء على طلب تقدمت به اللجنة اليهودية الاستشارية وعدد من الاعضاء في الكونجرس بمنح (اسرائيل) ما قيمته ٦٥٠ مليون دولار على شكل صفقة صواريخ باتريوت واجهزة اخرى للدفاع الجوي كمساعدات فورية.
٢. وافق الكونجرس عام ١٩٩٢ على اقتراح مقدم من عناصر اللوبي الصهيوني الاسرائيلي بتقديم قرض قيمته ١٠ ملايين دولار على شكل ضمانات تهدف الى تسهيل تزوج ٦٠٠ ألف مهاجر يهودي من روسيا واثيوبيا الى (اسرائيل). وقد نجح

١. اللوبي الاسرائيلي داخل الكونجرس من مقاومة اتجاهات الادارة الامريكية لربط هذه التسهيلات بوقف (اسرائيل) بناء مستوطنات جديدة.
٢. اصدر الكونجرس قانون يحذر بيع التكنولوجيا المتطورة لاي من العراق او ايران حتى لا تستخدم في تطوير نظم اسلحة غير تقليدية وكانت اجهزة الاعلام اليهودية في نيويورك وكاليفورنيا قد اثارت حملات كبيرة ضد الدولتين باعتبارها راعيتين للارهاب وجاهزتين للقصف (اسرائيل) وتدميرها.
٣. قام عدد من اعضاء الكونجرس الامريكي الموالي لاسرائيل بتقديم مشروع قانون عام ١٩٩٥ شاركت في صياغته منظمة ايبك يقضي بنقل السفارة الامريكية من تل ابيب الى القدس.
٤. توسع اهتمام اللوبي الاسرائيلي ليشمل العلاقات بين الدول الاخرى مثل العلاقات بين ايران التي ظهرت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، حيث اجبرت على استصدار قانون يقضي بمعاينة الدول التي تقدم استثمارات ذات حجم معين مع ايران او بيع ايران تكنولوجيا عسكرية متقدمة.
٥. قدم الكونجرس بناء على نصيحة الايبك عام ١٩٩٧ مساعدات (لاسرائيل) بقيمة ١٠٠ مليون دولار لمساعدتها على مقاومة ما يسمى بالارهاب.
٦. بناء على ضغوط من عناصر اللوبي (الاسرائيلي) اخطرت الادارة الامريكية على استخدام الفيتو عند طرح مشكلة المستوطنات (الاسرائيلية) الجديدة في منطقة ابو غويم بالضفة الغربية وقد استخدم هذا الفيتو مرتين يوم ٧ و ٢١ مارس ١٩٩٧.
٧. ١٣ مارس ١٩٩٩م: ابقى وزير الدفاع الامريكي وليام كوهين على احتمال تزيد الولايات المتحدة مساهمتها في مشروع صواريخ (ارو) (الاسرائيلي) الذي يتكلف ١٥ مليار دولار. ذلك عام ١٩٩٩.
٨. ١٤ مارس ١٩٩٩ قال كوهي وزير دفاع الولايات المتحدة ان مساعدات جديدة قيمتها ١,٢ مليار دولار وعدت بها بلاده (اسرائيل) لمساعدتها في تنفيذ عمليات اعادة نشر القوات في الضفة الغربية.
٩. اعلنت واشنطن في سبتمبر ١٩٩٨ م انها عرضت بيع طائرات (F-١٥) و ٦٠ طائرة (F-١٦) (لاسرائيل) مقابل خمسة مليارات دولار.
١٠. ١٦ يناير ٢٠٠٠م اعلنت السلطات الاحتلال الصهيوني ان واشنطن وافقت على تزويدها بخمسين مقاتلة حديث من طراز (F-١٦) الامريكية الصنع. وأشارت اذاعة الكيان الصهيوني ان العقد قابل للمرونة اذ انه يتضمن امكانية بيع الكيان الصهيوني ٦٠ مقاتلة اخرى من الطراز نفسه.
١١. ٢٥ يوليو ٢٠٠٠م كشف تحقيق امريكي اجري اخيراً ان سلاح الليزر الذي اعده الجيش الامريكي لحماية المستوطنات الصهيونية في شمال فلسطين المحتلة من صواريخ الكاتيوشا هو سلاح في غاية الخطورة على الانسان.

## الختمة

من خلال متابعة ما حققه اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية من إنجازات ومكاسب عن طريق الضغط على صناع القرار هناك يتبين لنا:-

١. ان اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية ادركوا الخطأ الذي ارتكبوه في أوروبا من خلال العزلة التي كانوا يعيشونها. لذلك اعتمدوا استراتيجية جديدة فسي ان يندمجوا ويتفاعلوا مع المجتمع الأمريكي ويكونوا جزءاً منه.

٢. على الرغم من ان عدد اليهود لا يتعدى ٢,٥% من تعداد سكان الولايات المتحدة الأمريكية الا ان ٢٠% من معلمي الولايات المتحدة هم من اليهود. وهذا ما يبرز مكانتهم على المستوى الاقتصادي وهذا ناتج من الانتماء الذي ذكر آنفاً بالإضافة الى العقلية الاستقلالية لليهود والنزعة القومية عندهم مكنتهم من احتلال مراكز متقدمة جداً في الولايات المتحدة على الصعيدين الرسمي وغير الرسمي.

٣. استقلال اليهود في الولايات المتحدة المراكز السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها التي توصلوا اليها لتأسيس جمعيات ولجان ومنظمات ذات ساماء ومهام مختلفة الامر الذي جعلهم للطاقة الاولى في هذا المجال.

٤. يعد اللوبي الصهيوني ابرز مؤسسة يهودية في الولايات المتحدة تحمل لواء دعم اسرائيل والعمل من اجل مصالحها في الادارة الأمريكية وخارجها وهناك الكثير من المؤسسات اليهودية تدور في فلك اللوبي وتعمل وفق الخطة والدور المرسوم لها.

٥. ان التوافق الحاصل بين ما يدعوا اليه اللوبي في دعم اسرائيل وبين الاستراتيجية الأمريكية تجاهها ساعد بشكل كبير اللوبي اليهودي على الحركة في الساحة الأمريكية بقوة كبيرة ونجاح بارز ومقدرة واضحة على التأثير.

٦. على الرغم من اختلاف التسميات وتنوع المهام، الا ان الغالبية العظمى ان لم تكن جميعها اللجان والمنظمات والجمعيات اليهودية، عملت وتعمل من اجل (بولتهم) القومية لاسرائيل، كل واحد حسب دائرة اهتمامه.

٧. لم يكتف اللوبي بالتأثير في صناع القرار بل دفع بالعديد من اليهود الى الخط الاول في الادارة وهذا ما نراه واضحاً في ادارتي كلنتون وبوش الابن ليكونوا هم من يدعم ويصدر القوانين المفيدة لدولة اسرائيل وعزم الاكتفاء بالتأثير على صناع القرار.

## الطريق الثالث

خطوة في مجال التجريب السياسي ما بعد الحرب الباردة

المدرس المساعد

خضير ابراهيم سلمان<sup>(١)</sup>

## المقدمة

لا تتوافر الادبيات على تعريف لمفهوم المرحلة الانتقالية فالجامعة الاكاديمية قالت عنها<sup>١</sup>. ولكن من دون ان نذهب الى تحديد المفهوم. وبالعودة الى تجارب المراحل الانتقالية بدلالة تلك المدة الزمنية التي تفصل بين واقع نداعي وانتحي واخر لم يكن بعد، والتي تبعا لذلك، تتطوي على ما يمهد للسبيل لبسورة الواقع الجديد ومعطياته، أي انها بعبارة اخرى، الحاضر الذي يربط الماضي بالمستقبل في دورة زمنية كاملة ومتجددة، على ان المراحل الانتقالية على وفق تجربة للتاريخ، ليست واحدة من حيث بعدها الزمني، فهي قد تستغرق وقتاً طويلاً، كذلك التي فعلت بين عهد الاقطاع ونشوء الدولة القومية، وهي قد تكون قصيرة مثل تلك التي عقيبت نهاية الحرب العالمية الثانية وبدأ الحرب الباردة، فكيف الحال في عالم الاتصالات الحديثة الذي جعل العالم يبدو "قرية صغيرة". ولم يكن هذا التباين بمعزل عن بطاء او سرعة حركة المتغيرات الدافعة الى التغيير باتجاه الجديد ونوعية اثارها. ومع ذلك يتفق الرأي على ان العالم لم يكن ساكناً<sup>٢</sup>. اذ بدأ العالم يدرك خطر العولمة الامريكية وابعادها الثقافية والاقتصادية والسياسية<sup>٣</sup>.

ومن المثير ان هذا الرافض قد بدأ في الارض الامريكية نفسها واخذ بعض الامريكان يحذرون من خطر السياسة الاقتصادية الامريكية على المواطن الامريكي نفسه ووفقاً لذلك، نجد ان جينز يستعمل مصطلح "الطريق الثالث" للإشارة الى عملية تجنيد الديمقراطية الاجتماعية، فهو يأخذ هذا المفهوم للإشارة الى اطار فكري واطار يضع السياسة والذي يبحث عن تكييف الديمقراطية الاجتماعية مع العالم الذي اصابه التمييز بشكل جذري، انه "الطريق الثالث" بمحاولة تغطي كل من الديمقراطية

<sup>(١)</sup> كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية<sup>١</sup> شكري بلعد، نظام دولي جديد ام مرحلة انتقالية، مجلة شؤون سياسية، بغداد، العدد ٣، ١٩٩٤.<sup>2</sup> Richard. Rosecrance. International relations: peace of war, new yourk: Mcgraw-Hill book com paney, 1973, pp.25-49.<sup>3</sup> حكمت عبد الله الهزاز، العولمة والتربية، سلسلة افاق ٢٢، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، ط١، بغداد، ٢٠٠١، ص ٩٠٦.

الاجتماعية ذات الطراز القديم والليبرالية الجديدة، وفي تصورنا فإنه يحاول ان يؤلف بين الرأسمالية والاشتراكية<sup>4</sup>.

ويعلمنا تاريخ الافكار ان الجدل النظري لا يحسم قوة الاطراف الداخلة فيه والتي تتعارض رواها بالنسبة لموضوع محل الجدل ولكن حكم التاريخ هو الحاكم وهو يتمثل في وقائع ملموسة من شأنها ان تثبت صحة او زيف الاحكام التي صيغت في الجدل<sup>5</sup>. وهذا ما حدث في الواقع بالنسبة للجدل المتعلق بنهاية الايديولوجية السذي دار في الثمانينات وبالتحديد عام ١٩٨٩ بعد سقوط الانظمة الشمولية وانتهاء الشيوعية ومن ثم انهيار مشروعها للتغيير الاجتماعي الراييكالي للعالم<sup>6</sup>.

ومن هنا ارى الباحث تقسيم البحث وفق المحاور الآتية:

المحور الاول: مصطلح الطريق الثالث

المحور الثاني: اجواء التغيير (للجذور)

المحور الثالث: الجوانب التطبيقية للطريق الثالث

المحور الرابع: قضية المجتمع المدني

الخاتمة

المحور الاول

مصطلح الطريق الثالث

ان مصطلح الطريق الثالث تم تداوله منذ ان استخدم البابا بيوس الثاني عشر اواخر القرن التاسع عشر، حينما دعا الى طريق ثالث وسط بين الاشتراكية والرأسمالية، ومنذ ذلك الحين انتشرت استخداماته تحت مسميات مختلفة قريبة عن "الطريق الثالث" مثل طريق الوسط الذي استخدمه هارولد ماكميلان في بداية القرن العشرين وانتشر عندما تأسست حركة الاشتراكية الدولية عام ١٩٥١<sup>7</sup>. وهناك من يشير الى النموذج اليوغسلافي تحت قيادة تيتو بأنموذج الطريق الثالث وكذلك يشير الى معظم الحركات والنماذج التي قامت في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي والتي لم تتبع الاشتراكية في أنموذجها الموفيقي ولا الرأسمالية في أنموذجها السائد في

<sup>4</sup> انطونيو جينتز، الطريق الثالث تجديد الديمقراطية الاجتماعية، ترجمة وتعليق د. ملك عبيد ابو شهيرة، ود. محمد خلف.

<sup>5</sup> د. رجاء ابراهيم سليم، النظام العالمي للجديد وانعكاسه على افريقيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٧، ف ١، لسنة ١٩٩٢، ص ١٨٥.

<sup>6</sup> فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة وتعليق، د. حسين اسليخ، بيروت، دار العلوم العربية، ١٩٩٣، ص ٨-١٥.

<sup>7</sup> انطونيو جينتز، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

الدول الغربية<sup>٨</sup>. وفي السبعينيات استعمل المصطلح للإشارة إلى اشتراكية السوق، وكان الديمقراطيون الاجتماعيون في السويد أكثر من تحدث عن الطريق الثالث، وفي أواخر الثمانينات وأوائل التسعينيات برز مرة أخرى مصطلح الطريق الثالث للإشارة إلى مستوى الحركة، الأحزاب الممثلة ليمار الوسط والموجودة في البلدان الأوروبية وعلى مستوى الفكر إلى التوجه الذي يسعى إلى إعطاء وجه إنساني للرأسمالية الجديدة<sup>٩</sup>. ولصطلاح الديمقراطية الجديدة وبغض النظر عن المناقشات العديدة المختلفة والواسعة حول الطريق الثالث يمكن في النهاية تحديد المفهوم على أنه يعني محاولة جديدة لتجاوز الاشتراكية الديمقراطية والليبرالية الجديدة وخصوصاً بعد التحولات الكبرى التي حصلت في المجتمعات الغربية نهاية القرن العشرين<sup>١٠</sup>.

والطريق الثالث هو محاولة التوفيق بين إيجابيات التوجهات الاشتراكية ومنها اعتبارات العدالة في التوزيع، وكذلك بين حركة بعض النزعات الرأسمالية ومنها التركيز على الحافز الفردي كأساس للتقدم<sup>١١</sup>.

ولابد من الإشارة هنا من أن أغلب الكتاب والباحثين والمهتمين في السياسة ينظرون إلى أنطونيو جيننز على أنه المنظر الأول "الطريق الثالث" في بريطانيا وهو يعد الأب الروحي لتوني بلير الرئيس البريطاني الحالي فقد اعتمد بلير رئيس وزراء بريطانيا الحالي على الإسهامات الفكرية لجيننز كي يؤسس حزب العمال الجديد والذي صاغ برنامجه السياسي في ضوء الأفكار والطروحات الذي تبناها جيننز في "الطريق الثالث"، ومن هنا يمكن القول أن "الطريق الثالث" أصبح فلسفة جديدة تحاول أن تتبناها مجتمعات غربية متعددة وذلك للخروج من مأزق استقطاب الايديولوجي الحاد بين الرأسمالية والاشتراكية<sup>١٢</sup>. حيث استطرد السيد يسين: قائلاً ستكون هنالك محاسنات للتوفيق بين الفردية والجامعية على الصعيد الايديولوجي والاقتصادي والسياسي<sup>١٣</sup>:

- بين العلمانية والدين.
- بين عمومية مقولة الديمقراطية وخصوصية التطبيق.
- بين القطاع العام والخاص.
- بين الاستقلال الوطني والاعتماد المتبادل.
- بين المصلحة القطرية والمصلحة الإقليمية.

<sup>٨</sup> المصدر نفسه، ص ١٤.

<sup>٩</sup> نقلاً عن المصدر نفسه، ص ١٤-١٥.

<sup>١٠</sup> نقلاً عن المصدر نفسه، ص ١٤.

<sup>١١</sup> المصدر نفسه.

<sup>١٢</sup> السيد يسين، الطريق الثالث ايدولوجية سياسية جديدة، مجموعة مقالات، ص ٥٠-٦٠.

<sup>١٣</sup> المصدر نفسه، ص ٦٠-٧١.

- بين الانا والآخر على الصعيد الحضاري.
  - بين الدول الكبيرة المركزية في مواجهة التجمعات المحلية.
  - بيت تحديث الانتاج وزيادة الاستهلاك وتنويعه والبحث عن معنى للحياة في الوقت نفسه.
  - بين زيادة التنمية في البلاد المتقدمة ومساعدة دول العالم الثالث.
  - بين الاعلام القطري والاعلام العالمي: وقد حرص الكاتب "المسيد يسين" ان يحدد سمات ما اطلق عليه النموذج للتوفيقي العالمي بسمات ست وتحفظ قائلاً (لو استطاعت قوى التقدم ان تنتصر على قوى الرجعية)<sup>14</sup>.
- وهذه السمات هي:

١. التسامح الثقافي المبني على مبدأ النسبية الثقافية في مواجهة العنصرية والمركزية الأوروبية.
٢. النسبة الفكرية بعد ان تنتصر على الاخلاقية الايديولوجية.
٣. اطلاق الطاقات الخلاقة للانسان في سياقات ديمقراطية على كافة المستويات.
٤. العودة الى لحياء المجتمعات المحلية وتقليص مركزية الدولة.
٥. احياء المجتمع المدني في مواجهة الدولة التي غزت المجال العالم.
٦. التوازن بين القيم المادية والقيم الروحية والانسانية<sup>15</sup>.

#### المحور الثاني

##### اجواء التغيير (الجنور)

في التسعينات اثار عالم الاجتماع الامريكي دانييل بل في كثير من الدوائر السياسية والاكاديمية عن نهاية الايديولوجية ومنذ ذلك الحين قلمت عدة مناظرات حول موضوع "الطريق الثالث" بين مؤيد ومعارض وان كان يمكن رد اصول الموضوع، ان اردنا تطبيق مناهيج واساليب علم اجتماع المعرفة الى المعركة الفكرية الكبرى التي كانت دائرة بين الشيوعية والرأسمالية ابان الحرب الباردة<sup>16</sup>. لقد ائت التحولات الكبرى التي حصلت في المجتمعات الغربية في نهاية هذا القرن الى حدين مهمين:

١. سقوط الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية في اوربا الشرقية وما ترتب عن ذلك من تداعيات، اهمها فقدان الثقة في المشروع الماركسي وفشل التخطيط ومخالفة حقوق الانسان وغياب الديمقراطية وابتلاع المجتمع المدني

<sup>14</sup> نقلاً عن المصدر نفسه، ص ٦٢.

<sup>15</sup> مسيد يسين، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٢-٦٣.

<sup>16</sup> المصدر نفسه، ص ٧٠.



من طرف الدولة وبعد ان اتضح "ان الاتمان لا يعيش بالخبز وحده"<sup>١٧</sup> وانما يحتاج الى ان يمارس حريته كافة وخاصة للسياسية منها والتي تتمثل في حرية التفكير وحرية التعبير وحرية التجمع وحرية الاختيار بحيث لا يتناقض مع حريات ومبادئ المجتمع المدني<sup>١٨</sup>.

٢. ضعف الاجتماع حول فكرة الرفاهية التي كانت مهيمنة في الدول الصناعية حتى نهاية السبعينات من القرن العشرين وتحول الرأسمالية الى رأسمالية متوحشة تسعى الى الربح بلا حدود الامر الذي عمق سيادة حكم الاقلية الثرية، واخفاق مشروع دولة الرفاهية في معالجة هذه المشاكل وازدياد الفقر، وازدياد المهمشين وانتشار العنف والجريمة وارتفاع معدلات البطالة<sup>١٩</sup>. وهذا اثبت بان الحريات السياسية التي تمارس في المجتمعات الرأسمالية لا يمكن بديلاً عن عدالة التوزيع.

ومن هنا تبني بأن "الطريق الثالث" افروزته مجموعة من الظروف والتطورات المتتالية منذ اواخر الثمانينات واولئ التسعينات في اوروبا وامريكا وذلك للتوفيق بين قيم الاشتراكية (عدالة التوزيع) او التآليف بين العدل والحرية<sup>٢٠</sup>.

فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي ونظامه الشمولي عام ١٩٨٩ ظهرت اهتمامات من قبل الكثير من الكتاب والباحثين لمراجعة الماركسية وحركتها وما لت اليه وقد ظهر هذا الاهتمام حتى من قبل الماركسين انفسهم ومن ابرزهم المفكر الماركسي الأمريكي (رولاند ارنسون) مؤلف الكتاب المعروف ما بعد الماركسية والذي حاول من خلاله صياغة برنامج راديكالي جديد متحرر من جمود الفكر الماركسي، واعقبه كتاب (لاسترسوا) ما بعد الرأسمالية وهذان الكتابان يرمزان الى مراجعة الفكر العالمي والتي تتحدث عن لما بعد الرأسمالية وما بعد الاشتراكية، وهي اثاره الى القلق والتوتر التي تتناب العالم على مستوى النخبة والجمهور كما تبين من خلال استطلاعات الرأي العالمية<sup>٢١</sup>.

لقد كان الصراع بين الرأسمالية والماركسية يتمحور حول الديمقراطية فالماركسية كانت تؤكد الديمقراطية الاجتماعية والتي تعني تحقيق العدالة الاجتماعية ومن خلال تأميم وسائل الانتاج ولغاء الملكية الفردية في حين نجد الحريات السياسية

17 انطونيو جينتز، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

18 فرنسيس فوكوياما، مصدر سبق ذكره، ص ص ٩-١٠.

19 انطونيو جينتز، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

20 د. جميل مصعب، الطريق الثالث، محاضرات القايت على طلبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، للعام الدراسي ٢٠٠٠-٢٠٠١.

21 لاسترسو، المتناظرون، ترجمة د. محمد فريد، ابو ظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ٢، ١٩٩٦، ص ص ١٤-٥٠.

في النظام الرأسمالي تقتصر على شريحة الطبقة البرجوازية المستقلة<sup>٢٢</sup>. إلا أن الماركسية عدت الحريات الأساسية مسألة ثانوية، بعبارة أخرى يمكن القول إن الرأسمالية ضحت بالعدالة والتوزيع والمساواة لحساب الحرية في حين ضحت الاشتراكية بالحرية لحساب العدالة والتوزيع والمساواة<sup>٢٣</sup>.

القيم والبرامج والتحديات التي يؤمن بها "الطريق الثالث":

يمكن سرد أهم هذه القيم والبرامج والتحديات التي يؤمن بها الطريق الثالث

وكما يأتي:

١. المساواة في كل شيء.
  ٢. حماية الجماعات المهمشة اجتماعياً.
  ٣. لا حقوق دون مسؤولية.
  ٤. لا سلطة دون ديمقراطية.
  ٥. الحرية كاستقلال ذاتي.
  ٦. التعددية العالمية.
  ٧. الإيمان بالنزعة الفلسفية المحافظة<sup>٢٤</sup>.
- أما البرنامج الذي يؤمن به الطريق الثالث فيستند إلى المعايير الآتية:
١. الوسط للرديكالي.
  ٢. الدولة الديمقراطية الجديدة (دولة بلا اعداء).
  ٣. الإيمان بالاقتصاد المختلط.
  ٤. الاسرة الديمقراطية في كل شيء.
  ٥. المساواة كأداة للاستيعاب المجتمعي.
  ٦. الرفاهية الإيجابية.
  ٧. دولة الاستثمار الاجتماعي.
  ٨. العمل بشكل اساس بالديمقراطية الكونية<sup>٢٥</sup>.
- أما التحديات التي تواجه "الطريق الثالث" فهي:
١. الشركات العابرة للقارات والتي تعد أكبر مؤسسات المجتمع المدني.
  ٢. عدم الاهتمام بالمنظمات غير الحكومية.
  ٣. التفاوت الكبير بين الدولة الغنية والدولة الفقيرة وبين سكان الدول أنفسهم.

<sup>٢٢</sup> أرنتس ماننل، المنار، العدد ٥٩، ص ١٠٢-١٠٤.

<sup>٢٣</sup> المصدر نفسه، ص ١٠٤.

<sup>٢٤</sup> أنطونيو جيننز، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.

<sup>٢٥</sup> المصدر نفسه، ص ١١٣.

٤. المؤسسات التكنوقراطية كالبانك الدولي وصندوق النقد الدولي.
٥. مؤسسات الامم المتحدة سواء في مجلس الامن والتصويت فيه ودورها المتراجع بسبب الهيمنة الامريكية عليه.
٦. فقدان الديمقراطية على المستوى الدولي<sup>٢٦</sup>.

وقد تبين من خلال ما تقدم على ان "الطريق الثالث" هو طريق وسط يحاول التوفيق الخلاق بين ايجابيات الرأسمالية وحسنات الاشتراكية<sup>٢٧</sup>. ومن هنا نطرح السؤال الآتي؟ هل ان مهمة الطريق الثالث ممكنة حقاً على مستوى النظرية والتطبيق.

### المحور الثالث

#### الجوانب التطبيقية للطريق الثالث

ان اهمية الطروحات الفكرية للطريق الثالث ينبع من كونها محاولة جاءت لاعادة النظر في تيار الديمقراطية الاجتماعية كما انه "الطريق الثالث" ليس مشروع سياسي لادارة الازمة التي تعاني منها الدولة في المجتمعات الرأسمالية، ولا هو مجرد مشروع نظري ينحدر الاولويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للتحويل الديمقراطي في العالم ولم يعد على اساس قبول النظم الدكتاتورية بجميع اشكالها. بل هي سياسات تطبق بالفعل في العديد من الدول الاوروبية التي تحكمها في الوقت الراهن احزاب اليسار الوسط مثل بريطانيا، فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، اليونان، وبعض الدول الاسكندنافية ودول اوربوا الشرقية<sup>٢٨</sup>.

وجوباً على السؤال الذي طرح حول مهمة "الطريق الثالث" على مستوى التطبيق؟ ولكن اذا عدنا صياغته من جديد، وقلنا هل يمكن استنتاج مبادئ الطريق الثالث من واقع التطبيقات الفعلية التي تقوم بها الحكومات التي تتبناه في شكل سياسات اقتصادية واجتماعية، لقد اختلفت الاراء بين الكثير من الباحثين في بعضهم فضل تسميته بالنهج التطبيقي وأخرون اطلقوا عليه (النهج القيمي) ولكل نهج مميزاته وعيوبه غير انه لا يمكن فهم "الطريق الثالث" الا بدراسة كلاً من السياسات والقيم<sup>٢٩</sup>.

يقوم المنهج التطبيقي بمحاولة استنتاج المبادئ من خلال تحليل السياسات المطبقة، كذلك في ضوء هذا النهج التطبيقي يتم التركيز على الضيقة القابلة للتطبيق بدلاً من محاولة فرض ايديولوجيات شاملة لاتلبي بالاً الى حدود الحقائق السياسية. ان الايديولوجية اذا عرفناها بأنها نمق محدد من القيم يحدد اهداف التطور الاجتماعي

26 د. جميل مصعب، مصدر سبق ذكره.

27 السيد بسين، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠-٧٢.

28 السيد بسين، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

29 Anthony Giddens: Begond left and right Combridge polity press 1994.

يمكن ان يتحول بسهولة الى صيغ جامدة لا تتسم بالمرونة، على سبيل المثال لا الحصر الايديولوجية الاشتراكية في الاتجاه التي تفضل القطاع العام عن القطاع الخاص في عملية التنمية، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار المميزات النسبية للقطاع العام، قد يمكن قبول مثل هذا التوجه في ظروف معينة، ولكن لو تحول الامر الى تقديس صيغة القطاع العام بغض النظر عن فضله او فساد او حتى لو نتحول لكي يصبح عائقاً للتنمية، فإن ذلك يعني تحول المبدأ الى صيغة جامدة يمكن ان يؤدي الى الدمار الاقتصادي، وهكذا يمكن القول ان البرجماتية يمكن ان تكون وصفاً أساسياً للطريق الثالث بمعنى التركيز على التوجه العملي للسياسات القابلة فعلاً للتنفيذ، ومن الاهمية بمكان الا نجعل "الطريق الثالث" يركز على كل شيء، مثلاً لا يدخل في اهتمامه مباشرة الهوية القومية ولا السياسة الخارجية<sup>30</sup>.

ان القضية الجوهرية في "الطريق الثالث" هو حل اشكالية العام والخاص والتي اختلفت عليها معظم الانظمة السياسية المعاصرة، والفكرة السياسية المحورية للطريق الثالث في هذا المجال، ان الدولة يقع على عاقبتها مسؤولية ضمان حصول الناس على سلع معينة ولكن ليس عليها ان تكون هي ذاتها التي توفر هذه السلع للناس، وقد ذهب بعض الباحثين الى اهمية النهج المفتوح فكرياً في تعامل الحكومة في بعض المجالات، ففي مجال التعليم والصحة يمكن ان تحتفظ الحكومة بحق الاشراف العام على الخدمات التعليمية والصحية وفي الوقت نفسه اتاحة الفرص للقطاع الخاص لكي تتخذ قراراتها بطريقة مستقلة على اساس ان تلك السياسة طريقة جيدة لتعظيم الكفاءات في اداء الخدمة من خلال المنافسة وتحقيق المساواة، وذلك عن طريق اشراف الدولة على عملية التمويل، وب نفس الطريقة يمكن في مجال النقل العام ان تقدم خدمات اكثر فعالية وجودة من قبل اطراف من القطاع الخاص الخاضعين للقرارات التنظيمية للدولة والمتلقين الدعم منها، فمن تلك المشاريع التي تمتلكها الدولة هي المشاريع العامة والتي تعاني من نقص في التمويل، فعلى سبيل المثال لا الحصر بالنسبة للحالة البريطانية، اقترح احد الباحثين تخصيص خطوط مترو لندن كل خط على ان يحتفظ بخط واحد على الاقل ملكية عامة حتى تستطيع الحكومة ان تتعرف بشكل مباشر على اقتصاديات التشغيل وعلى كل الفعاليات المتعلقة بالجوانب العلمية<sup>31</sup>.

ونستنتج من كل ذلك ان الخلافات في الرأي لا تتور حول تدخل الدولة او عدم تدخلها وخصوصاً في المجال الاقتصادي والاجتماعي ولكن في نوع هذا التدخل وفي الطرق المستحدثة التي يمكن فيها الدولة من خلال تدخلها ان تركز على تفعيل

30 السيد يمين، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٠-٩٠.

31 السيد يمين، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٥-٦٩.

الديناميكية في الاقتصاد في نمط من العدالة للمواطنين وفي ضوء احترام كل الاطراف للمسؤولية المدنية<sup>٣٢</sup>.

#### المحور الرابع

#### فقيه المجتمع المدني

المجتمع المدني<sup>(٣)</sup>، يشير الى الدلالة على نموذج من التنظيم الاجتماعي والسياسي والثقافي والذي ينأى خارج نطاق سلطة الدولة<sup>٣٣</sup>.

أو بعبارة أخرى إن المجتمع المدني يمثل مجمل البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي لا تخضع لهيمنة السلطة لأن الهامش يضيق ويتسع حسب السياق وينتج فيه الفرد ذاته وتضامنه وإبداعاته ومقوماته، أي إن هنالك هوامش من الحصانة الفردية والجماعية تفصل بين المستوى الاجتماعي والمستوى السياسي وهذه الهوامش هي التي يمكن تسميتها مجتمعاً مدنياً<sup>٣٤</sup>.

إن تقوية المجتمع المدني الفاعل عنصر من العناصر الأساسية لسياسة "الطريق الثالث" يعكس اليسار القديم الذي ينمو بصرف النظر عن القلق حول انهيار المواطنة، السياسات الجديدة تقبل يمثل هذا القلق وانهيار المواطنة هو حقيقي وملحوس في الكثير من المجتمعات المعاصرة، ويظهر ذلك من خلال ضعف الشعور بالتضامن في بعض من الجماعات في المناطق المختلفة والمدن وارتفاع حالات نسب الجريمة والبطالة وتفكك المجتمع<sup>٣٥</sup>. أما اليمين فينحو الى انكار ان الحرمان الاقتصادي مرتبط بتلك المشاكل. وإذا كان خطأ رد انهيار المواطنة للاقتصاد كما كان يفعل اليسار القديم، فإنه أيضاً خطأ انكار تأثير الفقر، إن ضعف المواطنة في دولة الرفاهية لو معاكستها في

32 المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٣) أما الحديث عن مؤسسات المجتمع المدني فأكبر يشير الى مجموعة من المنظمات الاجتماعية التي تتمتع بدرجة من الاستقلالية تحفظ لها مكاناً ووسط بين الدولة من جهة والمجتمع من جهة أخرى. ومصطلح المجتمع المدني (Civil Society) ليس بالمصطلح الحديث وجذوره تعود الى فلاسفة العقد الاجتماعي الذين تعاملوا مع العلاقات التنسيقية والتعاونية بين الافراد باعتبارها علاقات منشئة للمجتمع وحافظه لاستمراره ومن ثم بعد تطور المفهوم على يد (هوبز) عندما ميز بين المجتمع المدني كشبكة من التحالفات التنقيبية القائمة على العادات والعرف والتقاليد، والدولة بوصفها مجموعة من المؤسسات السياسية والقانونية التي تمارس في اطارها شبكة العلاقات الدولية. د. علي الدين هلال، معجم المصطلح السياسي، تحرير نيفين مسعد، القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٤، ص ١٥٨.

33 علاء جابر احمد، الدولة القطرية العربية بين العولمة والخيار القومي العربي، اطروحة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٢م، ص ٦٢.

34 د. ثامر كامل، الدولة في الوطن العربي على أبواب الالفية الثالثة، بيت الحكمة، بغداد، طبعة الاولى، ٢٠٠١، ص ص ٤٠٥-٤٠٦.

35 الطونيو جينتز، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٢.

حالة ترك المجتمع المدني لآلياته الذاتية، فالحكومة بإمكانها فعل ذلك، وعلى الدولة ان تؤدي دوراً في تجديد الثقافة المدنية<sup>37</sup>.  
ان السياسة الجديدة للطريق الثالث تدعو الى تجديد المجتمع المدني من خلال ما يأتي:

- اعتبار الحكومة والمجتمع المدني شركاء.
- تجديد الجماعة بالمعنى للواسع من خلال استخدام المبادرة المحلية.
- حماية المجال العام للمحلي.
- منع الجريمة على اساس مجتمعي.

وعلى هذا الاساس الحكومة والمجتمع المدني يجب ان يتصرفا كشريكين كل واحد يسير للآخر اعماله ولكن كل واحد منهم يقوم بمهمة المراقبة على الطرف الاخر<sup>38</sup>. اما اطروحة الجماعة الواسعة السياسية للسياسة الجديدة، تقدم العولمة يجعل الجماعة ذات مركز اهتمام لامكانية للتأثير التي يمكن ان تمارسها في القاعدة الجماعية الواسعة لتعمل على استعادة اشكال التضامن المفقودة، انها تتوجه الى الايلات العملية لتعميق الخصائص المحلية. اذ ليس هناك موانع بين الحكومة والمجتمع المدني، الحكومة تحتاج الى ان تكون في المجال المدني في بعض الاحيان وحياتياً اخرى تتراجع، عندما تتسحب الحكومة من للتدخل المباشر فان مصادرها ضرورية لتأكيد النشاطات الى استعادتها او تقديمها المجموعات المحلية في المناطق الاكثر فقراً، لذا الجماعة للواسعة من خلال تعزيز المبادرات المحلية يمكن ان تعطي اعلى مردود<sup>39</sup>.

وسياسة الجماعة يجب ان لا تهمل المجال العام، فالمجال العام مهم على المستوى المحلي كما هو مهم على المستوى العام، وهو الطريق الوحيد الذي يرتبط فيه التحول الديمقراطي مباشرة بتطور الجماعة الواسعة ودون حيوية المجال العام فسان مشاريع تجديد الجماعة توجه مخاطر انقسام الجماعة عن المجتمع<sup>40</sup>. الدولة تستطيع ان تلقي المجتمع المدني، هذا ما حصل في الاقتصاديات الشيوعية لشرق أوروبا والاتحاد السوفيتي، حيث لم يكن هنالك مجال مدني عام متطور وحيث الحياة الاجتماعية ومحددة بالبيت والأسرة<sup>41</sup>.

36 المصدر نفسه، ص ١٢٢.

37 Robert Wuthnow: Sharing The Journey, New York free press, 1994. p.12

38 انطونيو جيرنز، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٢-١٢٤.

39 المصدر نفسه، ص ١٢٩.

40 المصدر نفسه، ص ١٣٠.

ومن هنا فإن المجتمع المدني يحمي الفرد من هيمنة السلطة، وعلى الرغم من ذلك فالمجتمع المدني ليس مصدراً للتنظيم للقوى والانسجام، لذا فإن للجماعة المتحدة تخلق مشاكلها لذا يجب على الدولة تحمي الأفراد من صراع المصالح في المجتمع المدني، الدولة لا تستطيع ان تتحول الى المجتمع المدني، وإذا كانت الدولة في كل مكان فليس لها مكان<sup>41</sup>. وخلاصة القول ان الاهداف العامة للطريق الثالث في المجال الديمقراطي تتمثل في اعادة خلق وسائل جديد للحكم الفعال واعادة صياغة العلاقات بين الدول والاسواق والمواطنين واستكشاف المجالات الجديدة وفي هذا الصدد هنالك اشارة على اهمية خلق مؤسسات وسطية لتعميق الديمقراطية واعادة تأسيس المجتمع المدني، وإذا تبينا تلخيص الاتجاه العام لتجديد الديمقراطية الذي يحاول "الطريق الثالث" تطبيقه سوف نجد انه يندرج تحت ما يطلق عليه (الديمقراطية التشاركية) التي تؤدي فيها مشاركة الجماهير دوراً أساسياً على حساب فكرة التمثيل السياسي، وفي هذا المجال يقع على عاتق الحكومة ان توسع دائرة التشاور مع المواطنين والمنظمات الاجتماعية خارج نطاق الاطار الدستوري التقليدي، الذي يعطي للحكومة ونواب البرلمان حق تشريع القوانين<sup>42</sup>.

غير ان هناك افكار متنوعة في مجال التجديد الديمقراطي، وفي مقدمتها تدعيم مؤسسات المجتمع المدني، وتحثيها على المشاركة في اتخاذ القرار، بالإضافة الى تدعيم الحركات الاجتماعية المستقلة، وهنالك اشارات على خطورة العقبات التي تواجه عملية التجديد الديمقراطي التي تسعى الى اشراك اكبر عدد من الافراد في عملية تشريع القرارات التي تسن لصالحها، واهم هذه العقبات الحرب الشرسة التي يشنها في الغالب اصحاب المصالح، حيث من شأن هذه القرارات والتشريعات ان تمس مصالحهم الاقتصادية وخير مثال على ذلك الاصلاح في مجال الرعاية الصحية، الذي اراد ان ينفذه الرئيس الامريكي الاسبق كلنتون، وما جوبه به من اعتراض ومعارضة قوية<sup>43</sup>.

#### الخاتمة

خلاصة القول ان الكثير من الباحثين اتفقوا حول مستقبل الديمقراطية الاجتماعية وعبروا عن خيبة الامل في تحديد الديمقراطية الاجتماعية، كما فقد الاجتماعيون في اوروبا الثقة في كيفية مواجة فلسفة السوق الحرة، ولكن نتيجة لعدد من الاحداث التي ساعدت على انتخاب عدة زعامات من تلك الزعامات الرئيس الامريكي الاسبق بل كلنتون في عام ١٩٩٢ ساعدت على تغيير هذا التوجه ومناقضته،

<sup>41</sup> Emil Durkheim in Anthony Giddens: Durkheim of Politics and the State. Cambridge: polity press, 1986, p.56.

<sup>42</sup> السيد يمين، الطرق الثالث ايدولوجية سياسة جديدة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

<sup>43</sup> المصدر نفسه، ص ٧٢.

ووصول ليونيل جوسبان إلى المنطقة في فرنسا، حيث جاء انتصار العمال في المملكة المتحدة حيث نظر إليه في الكثير من البلدان على أنه بداية جديدة، وبعد ذلك انتصار رئيس الوزراء البريطاني الحالي توني بليز بعد انهزام العديد من هؤلاء الذين امتكحوا مدى النجاح الذي تحقق يرون أن مشروع العمال الجديد فارغ والاعلبية التي حصل عليها حزب العمال الجديد كانت نتيجة للدعاية الانتخابية التي اعتمدت على التكنولوجيا الاعلامية المتطورة التي روجت لذلك، وبذلك بدء ينظر إلى حزب العمال الجديد، على أنه يعتمد بشكل واسع على الاعلام السياسي أكثر مما يهتم بالمشاريع الضرورية، وبذلك يتضح للعيان أن "الطريق الثالث" سياسية، ولا يحق هي ايدولوجية، ولكنها تحولت إلى مراجع سياسية نجحت على أساسها لحزب اوروبية عديدة وصلت إلى الحكم، وإيما كان الامر فيمكن القول أن "الطريق الثالث" لم يقدم حتى الآن نظرية متكاملة الأركان تعطي المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، أنه خطوة في مجال التجريب السياسي في عالم ما بعد الحرب الباردة.



عرض كتاب : امبراطورية العقل الامريكي "الفوضى الشاملة والسلام الدائم"

تأليف سعد سلوم

اصدارات مسارات بغداد ٢٠٠٦

عدد الصفحات ١٦٧ ص

المدرس المساعد

سهيلة عبد الانيس<sup>(١)</sup>

"الولايات المتحدة الامريكية هي تلك التي يحدها الشفق القطبي شمالاً، والاعتدالان جنوباً، والعماء البدائي شرقاً، ويوم القيامة غرباً" جون فايسك  
خلال مسيرة التاريخ تظهر بعض الدول التي يتلبسها الدور الامبراطوري فتحتس انها تمثل البشرية قاطبة في مهمتها الرسولية في الحفاظ على الامن العالمي، ويكون ذلك حين يتوافر المناخ الملائم لدولة كبرى في توفير اسباب القوة مما يمكنها من فرض هيمنتها على "الآخر الموضوع" ومعاملته على انه "شيء مادة منفعة" مما يتوجب خضوعه الى نظامها القيمي الفريد وهو ما شهده النظام العالمي بالوان لامبراطوريات ظهرت ملامح وجوها على سطحه بتقاسيمه الرومانسية والاسلامية بوجهيهما العربي والعثماني والامبراطورية البريطانية وامبراطوريتي الحرب الباردة السوفيتية والامريكية واخيراً الانعكاس للزجسي للوجه الامريكي على مرآة العالم بعد تمزق الوجه السوفيتي وتفكك ملامحه. الا ان النفوذ الامريكي وتوسعه الجيوسياسي يتميز عن طبيعة انتشار جميع الوان الامبراطوريات السابقة (الهيمنة الشاملة ذات الابعاد الافقية والعمودية والقيمية) وهذا التميز في اللحظة الامبراطورية الامريكية في مجرى الزمن قد دفع المخيلة في تجدد تخيل لحظة الانهيار حيث يلاحظ في الانبيات السياسية التي تتناول النظام العالمي طغيان نوع من الموضة تتناول مستقبل الولايات المتحدة تنطلق من تقديم تصور مغاير عن اللحظة الامبراطورية الامريكية.  
على هذا يقارب الكاتب في فكره رأي "توفر" في ان العالم اليوم امام مفترق طرق، اما ان يحصل تفاهم دولي يحفظ الثقافات الوطنية من الذوبان ويسهل التعايش في عالم من التناقص القاس او الفوضى او ان يمر.

يحاول هذا الكتاب مواجهة هذا التحدي من خلال رسم نوع من خريطة طريق بين الفوضى الشاملة التي تم عالمنا اليوم "عالم هوبز" ونقطة الاستقرار والتوازن في ظل عالم السلام الدائم "عالم كانط". فمن للمحزن حقاً التفكير في ان الحروب وسلطان الفوضى لن تختفي في المستقبل، ويقرر "توفر" في كتابه "الحرب والحرب المضادة.

انه اقدم على تأليف كتابه من اجل الطفل اليوسني الذي مزق الانفجار نصف وجهه ومن اجل امه التي تراقب بعين معيشة ما تبقى من منزلها، انه من اجل ابرياء الغد الذين سيقتلون ويموتون لاسباب لن يفهموها. انه كتاب عن السلام... وهذا يعني انه كتاب عن الحرب في الظروف الجديدة والغريبة التي يكون البشر بصدد صغها في سباقهم نحو مستقبل مجهول. فتوقلر يرى اننا نغرق في عصور وسطى جديدة تملؤها الكراهيات العصبوية، ويعم خرابها اتحاء المعمورة وتتألى فيها الحروب، ويرى ان الطريقة التي سنتبعها في مواجهة هذا العنف المتفجر ستحدد الى حد كبير كيف سيعيش اطفالنا، وربما كيف سيموتون، ويرى الكاتب انه ومن هنا تبرز اهمية التفكير لوضع حد لحروب المستقبل وتأسيس مستقبل السلام.

من هنا انطلق كتاب "امبراطورية العقل الامريكي" الذي تضمن ستة فصول كان اولها في نقد العقل السياسي الامريكي، الذي يبدها الكاتب بالتصور العالمي لصعود القوة العظمى والذي نتج باحتلال العراق ٢٠٠٣ لاذ بهذا الحدث بدأ للعالم وكان الولايات المتحدة الامريكية قد وصلت الى ذروة عالمية في انفرادها المطلق بالنظام الدولي، وبقي على المراقبين المنفعلين "الافاعلين" ان يشاهدوا من خلال عسكات حضارية مزودة باضاعات بنوئية كيفية انحدار القوة العظمى المطلقة من قمة العالم الى سفح الحظر الذي انزلقت عبره الامبراطوريات الكبرى جراء سياسة الافراط في استخدام القوة.

ان الخيط الرفيع الذي ينسج تأكيداً عبر الحالات السابقة يدور حول الاستعراض الدرامي للقوة الماحقة التي اثبتت عبر حربها على العراق في بداية التسعينات وحربها على يوغسلافيا نهاية التسعينات وتشينها بداية الالفية الثالثة باحتلال افغانستان ٢٠٠١ واحتلالها العراق ٢٠٠٣ سيطرة الامبراطورية الكونية المطلقة على النظام الدولي، مهما اختلفت الوسائل وتبدل الشركاء وتغيرت ساحات القتال.

ويرى الكاتب ان صناعة الازمة او تصيغها هي وجه الكتابة في عملة السياسة الامريكية اما وجه الصورة "صناعة الاعداء او تصنيفهم، ولابأس في تفريخهم ورعايتهم على الحدود الملائمة "نموذج بن لادن" والعقل السياسي الامريكي لا يؤكد وجه النقيض فحسب، بل تبين حركيته من خلال دينامية تجاوزه ومحقة عبر السعي دوماً للوصول الى تركيبة، وهو ما يتطلب حسب "هيجل" قوتين متعارضتين، ومن هنا ندرك والكلام للكاتب حجم المأزق الانطولوجي الذي يواجهه العقل الامريكي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتكشاف الفراغ الناجم عن انهيار النقيض، مما افقد العقل الامريكي المغزى والاتجاه وباتت "الامبراطورية او الدولة العالمية" التي تمثل هذا العقل، قوة "مطلقة السراح" لا يقف لزاءها النقيض، فواجهت للعرب الرهيب الكامن

في الانهيار من السطح المطلق لجبروتها المنفرد، وكاد العقل السياسي الأمريكي ان يفقد للمنظور لولا ان جمع شظايا المرايا المحطمة التي خلفها انهيار المنظومة الاسترلاكية لتعكس امامه وجه دولة متوسطة القوة "العراق" فكانت النقيض الملائم له عبر لعبة التوازنات الجديدة فخرج منها بـ(عراق محتل / المحرر) لزاء عالم عربي "بحاجة للإصلاح" ووضع نصب عينيه ان يخرج من صندوق للنقائص السحري "عالمًا عربيًا جديدًا" لكن السخرية التي تنسم بالمأساوية تجعل المواضيع ونقائضها تتفجر على ذاتها في السياسة ولا تستقيم لسحر المنطق الجدلي فتأخذه على علاته، فالفوضى قد لا تؤدي الى النظام بقدر ما تؤدي الى المزيد من الفوضى "مما يشد اعماق العراقيين مثلاً، بقوة الى سحر النظام واغواء القوة الماحقة". من هنا تمارس الولايات المتحدة جانبيتها بوصفها ضامنة النظام في ساحة اصبحت اكبر مثال على "الفوضى الخلاقة" (هي من الكلمات المحببة لدى برينجسكي) الذي ما يزال يرى بأن "التاريخ هو نتاج الفوضى اكثر منه نتائج المؤامرة".

ويصل الكاتب في نهاية نقده للعقل السياسي الأمريكي بالقول ان تسويق الحروب الامريكية "الكورية-الفيتنامية-الحرب ضد الارهاب يجري في اطار المبالغة التي تلقن الانذمان القوة الامريكية في شكل من الاستعراض "الموبرماني" ولكن الاخر العدو ينبغي ان يبال شيئاً من بضاعة المبالغة. فلا يمكن للنصر الامريكي ان يترك اثره الكامل اذ ما تم القضاء على قوة كسيحة او اختراق دولة صغيرة او طقطقة عظام القدرات التقليدية لدول متوسطة- القوة" بل يجب التهويل من القدرات العسكرية التي يمتلكها العدو وتصوير سقوطه وانهياره بكونه معجزة ومفاجأة امريكية، وهذا ما حصل في العام ١٩٩١ من التهويل من قدرات الجيش العراقي "والتهويل من قدراته ذات الدمار الشامل" عام ٢٠٠٣، وكانت المبالغة الشديدة بالتهديد الذي يشكله نظام ضعيف فاسد كالنظام العراقي السابق وحقته بأسلحة الدمار الشامل يجري في اطار علقمة منطاد عدو خارجي مما جعل الهة الحرب تنتصب في سياق التسويق لحرب وقائفة ومن الافضل جمع كل الاعداء الصغار المارقين في اطار محور واحد وليكن "محور الشر" وهو ما لايعود كونه صياغة مخلص للثوية العيساية الحاكمة للعقل الامريكي التي تضفي بعداً اخلاقياً على تحركاته الخارجية واعتراكاً بجوى تلاقسي النقيضين ضمن الثوية الانطولوجية الواقية للحضارة الامريكي من التفسخ والانهيار.

"الى أي نوع من السلام نتطلع.. انه ليس سلام الهيمنة الامريكية، التي تفرضه على العالم آلة الحرب الامريكية، ليس مجرد السلام للامريكيين دون سواهم، بل سلام لكل الرجال والنساء.. ليس سلاحاً لزمنا فحصب بل سلام في كل حين". بكلمات "جون كيندي" افتتح الكاتب فصله الثاني في محاكمة العقل السياسي الامريكي، على هذا يرى

الكاتب وجود اتجاهات في مجال العلاقات الدولية هذان الاتجاهان يعكسان رؤيتين متميزتين الى الطبيعة البشرية اولهما هو الاتجاه الواقعي "الميكافيلي-الهوبزي" الذي يذهب الى ان العلاقات بين الامم والشعوب منتظمة في نوع من العداء المتحكم بين امم وشعوب تحتمي وراء توارخها الثقافية والجغرافية وتحكمها حتمية النظر من خلال عذمات الصراع الذي يمثل اللقاء الوحيد الممكن بين المجموعات البشرية المختلفة وهو ما يعكس الابحاث بوحيثية الانسان حسب وجه نظرهم.

في المقابل هناك اتجاه مثالي "الاتجاه الكانطي" نسبة الى الفيلسوف الالماني "كانط" ويتأسس هذا الاتجاه على نزعة نقاؤلية في الطبيعة البشرية كما يراهن امكانية تغير مسار البشرية من التوحش الى المدنية ويتوافر على قدر كبير من الايمان بقدرة الانسان على وضع حد للحروب والصراعات والتطاحن الذي شغل البشرية طوال تاريخها عن حلم تحقيق سلام ابدى شامل.

الى ذلك اشار الكاتب الى مستويات العقل السياسي الامريكي في استخدام القوة مؤكداً وجود ثلاثة مستويات هي: مستوى التفسير "التبريري" مستوى التطبيق "الانتهاكي". مستوى التسيويع "التبريري". ويرى الكاتب من حيث مستوى التفسير تؤيد الولايات المتحدة التفسير الضيق لاصلاح "القوة" الوارد في المادة (٤/٢) من ميثاق الامم المتحدة والتي تنص على ان "يتمتع اعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة او استخدامها ضد سلامة الاراضي او الاستقلال السياسي لاية دولة او على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الامم المتحدة". اما على مستوى التطبيق فيرى الكاتب ان الولايات المتحدة تد الدولة الاولى وبامتياز من بين جميع دول العالم التي اخترقت وانتهكت المادة "٤/٢" من الميثاق، ومن حيث مستوى التسيويع يرى الكاتب هنا ان الولايات المتحدة طالما حاولت الالتفاف على الحظر الوارد في المادة المشار اليها من الميثاق وتسيويع تدخلاتها الدولية بدعوى ان تحريم استخدام القوة المنصوص عليه في الميثاق يجب تغييره للعديد من الاعتبارات اهمها اللجوء للقوة من اجل الدفاع عن بعض القيم المنصوص عليها في الميثاق من ديمقراطية وحرية وسلم، وعليه فان استخدام القوة يصبح في نظر الولايات المتحدة مناسباً اخلاقياً للحفاظ على النظام القيمي للعقل السياسي الامريكي.

يتقدم الكاتب هنا بخطاب قيمي مضاد وان يكن جوهر ما ندعو له اليوم والكلام للكاتب بمناسبة محاكمتنا يبدو في ظاهرة دعوة مثالية قد لا تتفق مع حقيقة وواقع العلاقات الدولية، لكنه يمثل في نظرنا ضرورة عملية عاجلة، وبدون ان ترفع اصواتنا التي يطغى عليها ضجيج القنابل لن يتشكل لحاضرنا ومستقبلنا ارضية صلبة لبناء بيئة دولية سلمية ومستقرة يتوافر لها اطار قيمي يمثل بمبادئ الامم المتحدة ولاسيما واذ ما طبقت باخلاص وموضوعية تشكل اداة فاعلة في اعادة صياغة السياسات الفعلية، للقوة

والهيمنة بين الدول ذات السيادة الى سياسات مبنية على الآخر المتبادل وعلى عكس ذلك يرى الكاتب ان تهديد الامن والمسلم الدوليين يكمن في فرض ارادة دولة قوية على العالم بواسطة الهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية وان المفتاح لبناء بيئة دولية مستقرة يتمثل في تطوير العلاقات الدولية بين الامم مبنية على الاحترام الكامل لحق الشعوب في تقرير مصيرها وعلى درجة اعظم في المساواة الاقتصادية والاجتماعية على المستوى الدولي.

وبدا الكاتب فصل كتابه الثالث عن "يوتوبيا السلام وقضبان الواقع" حلم نزع السلاح واسطورة تكوين جيش دولي عالمي، بمقولة ليروبرت هندي وجوزيف ريلانت "ان مفهوم عالم مجرد من الحروب فكرة خيالية ورؤية بعيدة لا يمكن تحقيقها، وحتى الذين توصلوا الى تقبل مفهوم عالم مجرد من الاسلحة الوطنية مازالوا يرفضون مفهوم عالم مجرد من قوات حربية مسلحة وطنية". بنى على اساسها القول بان الطريق نحو السلام العالمي ظل منذ عصر الامبراطوريات الكبرى مروراً بعصر الامبراطوريات الكبرى مروراً بعصر الدولة القومية وافتقاء بعصرنا الموسوم بعصر التنظيم الدولي طريقاً صخرياً تكتفئه الصعاب والمهاترات وعدم الاكترث وفقدان الحس بالاتجاه وضعف الاحساس بالمسؤولية التاريخية.

الى ذلك حاول الكاتب في الفصلين الرابع والخامس وضع خارطة طريق لاصلاح المنظمة العالمية "الامم المتحدة" مستنداً في ذلك الى تقرير الامين العام للمنظمة كوفي عنان" في تقريره عن تجديد الامم المتحدة بالقول.. الان وبعد انقضاء الهياكل الجنوني الذي ساد السنوات التي تلت انتهاء الحرب الباردة مباشرة، يمكن للامم المتحدة ويجب عليها ان تقف وقفة تعيد فيها تقييم السبل لمعرفة ايها اكثر فعالية في تحقيق اهدافها حاول الكاتب في هذا الفصل الاشارة وتحليل خارطة الطريق التي تقدمها "بطرس غالي وكوفي عنان" للاصلاح مشيراً الى ان رؤيتهما انطوت على التميز بين اربعة مفاهيم لتحقيق الاصلاح وهو مفهوم "الدبلوماسية الوقائية" ومفهوم صنع السلام ومفهوم حفظ السلام ومفهوم بناء السلام بعد انتهاء الصراع" الى ذلك لا ينكر الكاتب فكرة او الواقع الذي لا مفر منه وهو سيطرة قبضة الدول الكبرى على هذه المنظمة الذي يحجم بالنتيجة امكانية تحقيق الاصلاح المرتقب، وفي الختام وضع الكاتب ان وصفة اصلاح المنظمة موجودة في ميثاقها ورأى ان تفعيل بعض محاور هذا الميثاق جديرة بتحقيق الاصلاح ومنها لحياء المشروع الكانطي ومناهضة المشروع الهوبزي وتحكيم مرجعية العقل.

وفي فصل الكتاب السادس والذي جاء تحت عنوان "دخل البرج العاجي للامم المتحدة في نيويورك انطلق الكاتب من مقولة لبريجنسكي في كتابه "الاختيار - السيطرة على العالم لم قيادة العالم".

"ربما كانت نيويورك ستصبح العاصمة العالمية الاولى لو ان النظام العالمي الجديد انبثق على اساس تعاون شامل بين الدول الاعضاء يستند الى تصور قانوني للتساوي في السيادة".

في نيويورك ينتصب مقر المنظمة الدولية التي تعد تنويعاً لافكار "كانط" وتجسد المرجعية القيمية والقانونية للسلام العالمي وفكرة الوحدة بين الجنس البشري والخط الفاصل بين الفوضى العالمية والحكومة العالمية حيث تخضع جميع الدول الاعضاء لمنطق واحد ومبادئ مساواة واحد في السيادة "من زاوية الميثاق النظرية على الاقل" وعن خارطة طريق للامم المتحدة، حدد الكاتب ثلاثة نقاط اساسية لتكون البداية لاصلاح هذه المنظمة العالمية وهي التي تركز على حقوق الانسان والتنمية ونزع السلاح اذ يرتبط موضوع التنمية بعملية نزع السلاح، ويفترض على الامم المتحدة مسؤولية التنبه لمخاطر سباق التسلح وتوضيح التغيرات الحاصلة في الامن الدولي.

وفي ختام كتابه اشار الكاتب بالقول "ان لم نستطع ان نتعلم كيف نتكيف ونتعايش مع بعضنا البعض بأحترام في القرن الحادي والعشرين، فقد نهلك بعضنا البعض هلاكاً مدمراً لا يبقى من الجنس البشري الا قليلاً".

الى ذلك رأى الكاتب انه على الرغم من ان الجنس البشري ليس الا في اول رحلته الانثروبولوجية على هذه الارض فانه يقترب يوماً بعد يوم من القضاء على مستقبله ولاننا لا نريد والكلام للكاتب عن احقاد الماضي ان نأكل مستقبلنا فاننا نعي بان تهديد السلام اليوم يعني تهديد البقاء، لذا سيمثل رفض اعتبار واقع اللحظة الامبراطورية الامريكية مرجعية مؤيدة لمستقبل عالمنا والدعوة لاستعادة اللحظة الكانطية عبر تفعيل مرجعية العقل والعودة الى التضامن الدولي الجماعي من خلال الامم المتحدة جوهر دعوتنا للوحدة الانسانية التي كانت تمثل حلم جميع الفلاسفة الانسانيين العظام.

الكتاب في حقيقته عبارة عن مجموعة من البحوث والمقالات التي نشرها الكاتب، واعاد كتابتها وصياغتها. في الكتاب العديد من الاسماء لمفكرين وفلاسفة وكتاب وسياسيين حاول الكاتب من خلالها احدث مقاربة واعتمادها كأساس لافكاره وعلى هذا فالكتاب جدير بالقراءة والاهتمام كونه يحوي الكثير من المعلومات المهمة التي خضعت لتحليل الكاتب. وعلى ما تقدم من عرض موجز لكتاب امبراطورية العقل الامريكي نضع تساؤلاً مفتوحاً عسى ان نجد له جواباً. هل سيبقى عالمنا عالماً "هوبزياً" "امريكياً" ام سيتحول يوماً ما الى عالم "كانطي"؟.

## عرض رسالة ماجستير الدولة القطرية العربية بين العولمة والخيار القومي العربي

المدرس المساعد

خضير ابراهيم سلمان (\*)

تتبع أهمية للدراسة في كونها إسهاماً علمياً في دراسة وتحليل الخيارات المتاحة بين الدولة القطرية العربية وبين العولمة والخيار القومي، وتحليل ظاهرة العولمة في مختلف حقول المعرفة سواء الاقتصادية أم الثقافية أم السياسية أم الاجتماعية. حيث هنالك دعوات تروج عن محاسن العولمة وإيجابياتها، فأن المتفق عليه أن العولمة يترتب عليها مخاطر تنال من المقدسات الوطنية والقومية للأمم والشعوب، وتتجه الدراسة الى الكشف عن مخاطر العولمة على الدولة القطرية والقومية ومن ثم الوقوف على الخيار المستقبلي الذي يضمن للامة العربية القدرة على مواجهة هذه التحديات.

وقد ركزت الدراسة على أن العولمة ظاهرة تهدف الى إعادة هيكلة العالم اقتصادياً وسياسياً وثقافياً على أسس جديدة تختلف عن الهيكلية السابقة، وتعني التوحيد والتكامل العالمي على أساس الليبرالية الغربية من الجوانب المختلفة. وعلى الرغم من كون ظاهرة العولمة موجلة في القدم وليست حديثة، إلا أن بروز القطبية الأحادية الأمريكية وهيمنتها على التفاعلات السياسية في إطار العلاقات الدولية أثار انهيار الاتحاد السوفيتي كقطب مهيمن في العلاقات الدولية المعاصرة قد جعل العولمة أحد مظاهر الهيمنة الأمريكية على العالم.

ومن جانب آخر تمثل العولمة مرحلة تاريخية تفرضها القوة الفاعلة والمؤثرة في النظام العالمي والتحدي الذي تفرضه العولمة على الدولة القطرية والعربية ويتجسد ذلك في كيفية تحقيق التوازن بين الحفاظ على الهوية والوطن والامة وبين ضرورات ضمان البقاء داخل نظام العولمة ذاته. وعلى هذا الأساس فإن الموقف العربي بين رافض ومؤمن، وتحديداً بعض مواقف الاقطار العربية من العولمة المتمثل بالنظر اليها على انها عملية تاريخية غير قابلة للرفض يعكس حقيقة ضعف القدرة على مجابهة مخاطر العولمة. من حيث يطرح البعض امكانية التكيف العربي مع العولمة عن طريق جني ثمارها وإيجابياتها وتقايد مخاطرها الضارة على الامة والوطن والهوية. فهذا لا يؤخر المعدات الحقيقية للكفافة لمنع الوقوع في شرك العولمة، ومن ثم خسارة الهوية القومية والسيادة الوطنية والاستقلال الوطني.

(\*) كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

وفي هذا السياق بينت الدراسة، بأن المضامين الاقتصادية والسياسية والثقافية للعوامة بقدر ما تعكس أنموذجاً وابتكاراً غريباً فإنها تشكل تحدياً خطراً أمام الدولة القطرية العربية إن ظلت متفردة في مواجهة هذه المخاطر، ومن هنا فإن بناء قاعدة قومية عربية قوية يمثل الخيار الحاسم الذي يمكن أن يجنبها للمخاطر المحتملة. وعلى هذا الأساس انطلقت فرضية البحث:- أن العوامة بأنماطها والياتها المعروفة لها انعكاسات خطيرة على الدولة القطرية العربية فهي لا تستطيع منفردة مواجهة تحديات وانعكاسات وأثار العوامة، فخير الدولة للقومية العربية يمثل خياراً حاسماً للتغلب على الانعكاسات الخطيرة وتجاوزها في عالم متسارع التطورات والاحداث.

وفقاً لذلك عالجت هذه الدراسة الخيارات بين الدولة القطرية العربية وبين العوامة والخيار القومي العربي، في ثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة. جاء اولها للدراسة الاطار النظري لمفهوم العوامة وتطورها التاريخي مركزاً على المضامين الاقتصادية والسياسية والثقافية للعوامة.

وجاء فصل الدراسة الثاني:- لدراسة اثار وانعكاسات العوامة على الدولة القطرية العربية وابرار التحديات التي تضعها امامها وهي العوامة، وهوية الدولة القطرية، ودراسة العوامة وشرعية للدولة القطرية العربية.

كما ركز على دراسة العوامة والوظائف السيادية للدولة القطرية العربية. اما الفصل الثالث، كرس للوقوف على خيار الدولة للقومية العربية في مواجهة العوامة، وركز على دراسة الدولة للقومية العربية والامن القومي العربي، ودراسة القومية العربية وسبل مواجهة التكتلات الاقليمية والعالمية، كذلك ركز لدراسة القومية العربية في مواجهة الهيمنة الامريكية.

وخلصت الدراسة:- أن الدولة القطرية العربية عاجزة عن مواجهة هذه التحديات والتهديدات بمفردها وحماية امنها الوطني، وهي ازاء مخاطر تطل كيانها وهويتها بينما تمثل الدولة للقومية العربية الخيار المستقبلي الذي يضمن لاجتماع الامكانات العربية الاقتصادية والمالية والبشرية والسياسية والعسكرية والتنسيق بينهم من اجل تحقيق التكامل القومي في مواجهة التكامل العالمي المضلل الذي تدعو اليه العوامة<sup>(٢)</sup>.

(٢) رسالة ماجستير تقدم بها الطالب علاء جبار احمد الى كلية العلوم السياسية جامعة بغداد ٢٠٠٢.









Ministry of Higher education  
And Scientific Research  
Al-Mustansiriyah University College of political Sciences

*The International and Political Journal*



No.6

2006-2007